

دراسة تاريخية في
الحياة الاجتماعية والاقتصادية

(١١٠٠ - ١٤٠٠هـ / ١٦٨٨ - ١٩٨٠م)

تأليف :
الدكتور غيثان علي جريس
... ورئيس قسم التاريخ
...ود - فرع أبها - كلية التربية

(١٤١٥هـ - ١٩٩٤)



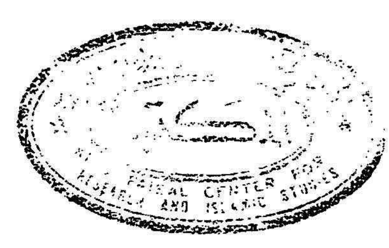
دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية

« ١١٠٠ ـ ١٤٠٠هـ / ١٦٨٨ ـ ١٩٨٠م »

تأليف

الدكتور/ غيثان علي جريس

الاستاذ المشارك ورئيس قسم التاريخ
جامعة الملك سعود ـ فرع أبها
كلية التربية

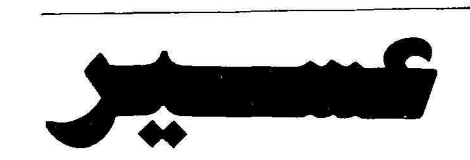




الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م

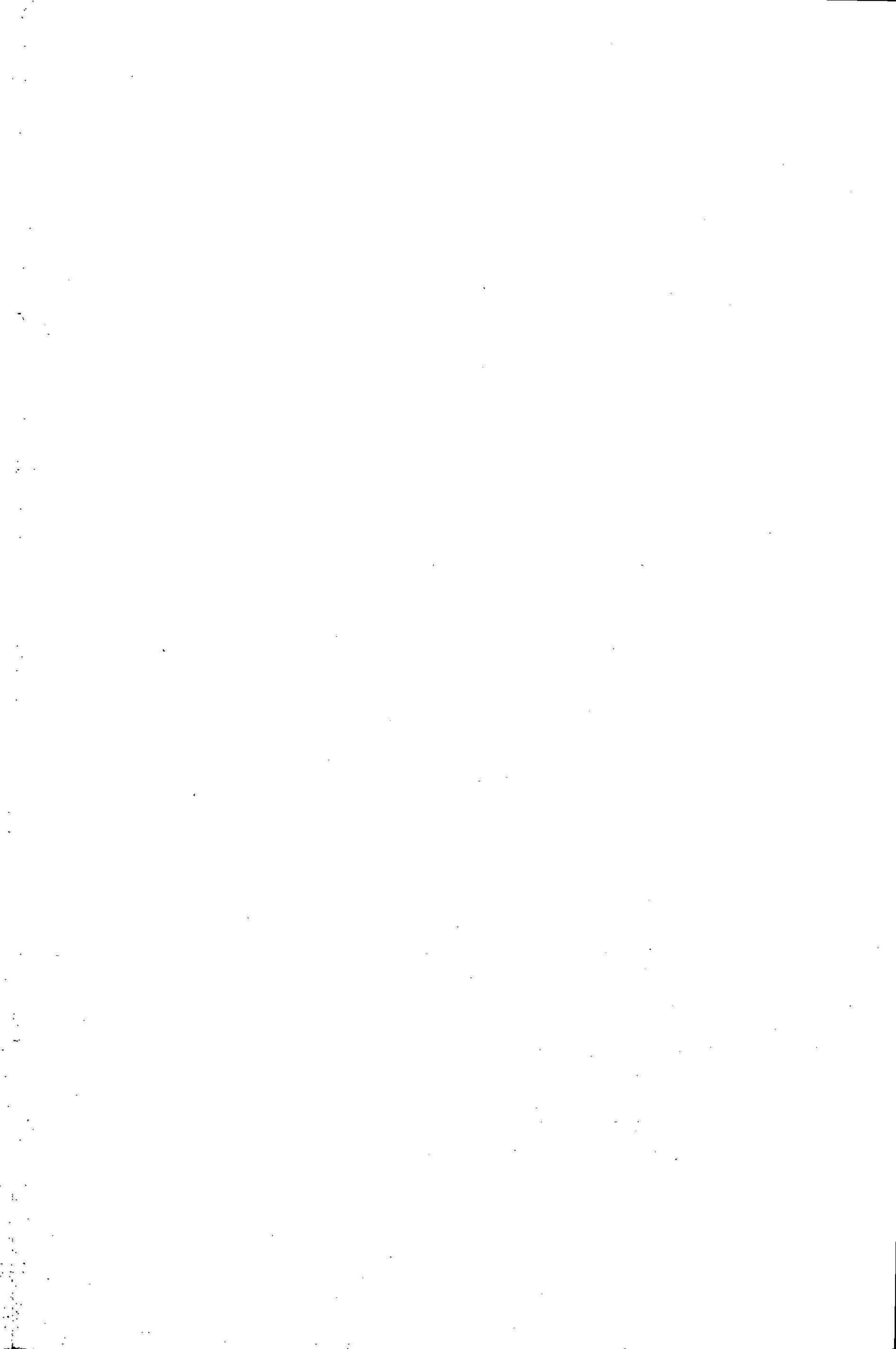
٩٥٣,١٠ ابن جريس ، غيثان بن علي
٨٠٥ ج عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ..
غيثان علي جريس . - ط ١ . - أبها : غ .ع . ابن جريس ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
... ص ؛ ٢٤ سم
ردمك ٧ - ٠٩٤ - ٢٧ - ٩٩٦٠
١ . عسير - تاريخ ٢ . عسير - الاحوال الاجتماعية
أ . العنوان

رقم الإيداع : ١٤/١٠٢٠ في ١٤١٤/٧/١٩هـ
ردمك ٧ - ٠٩٤ - ٢٧ - ٩٩٦٠



دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية

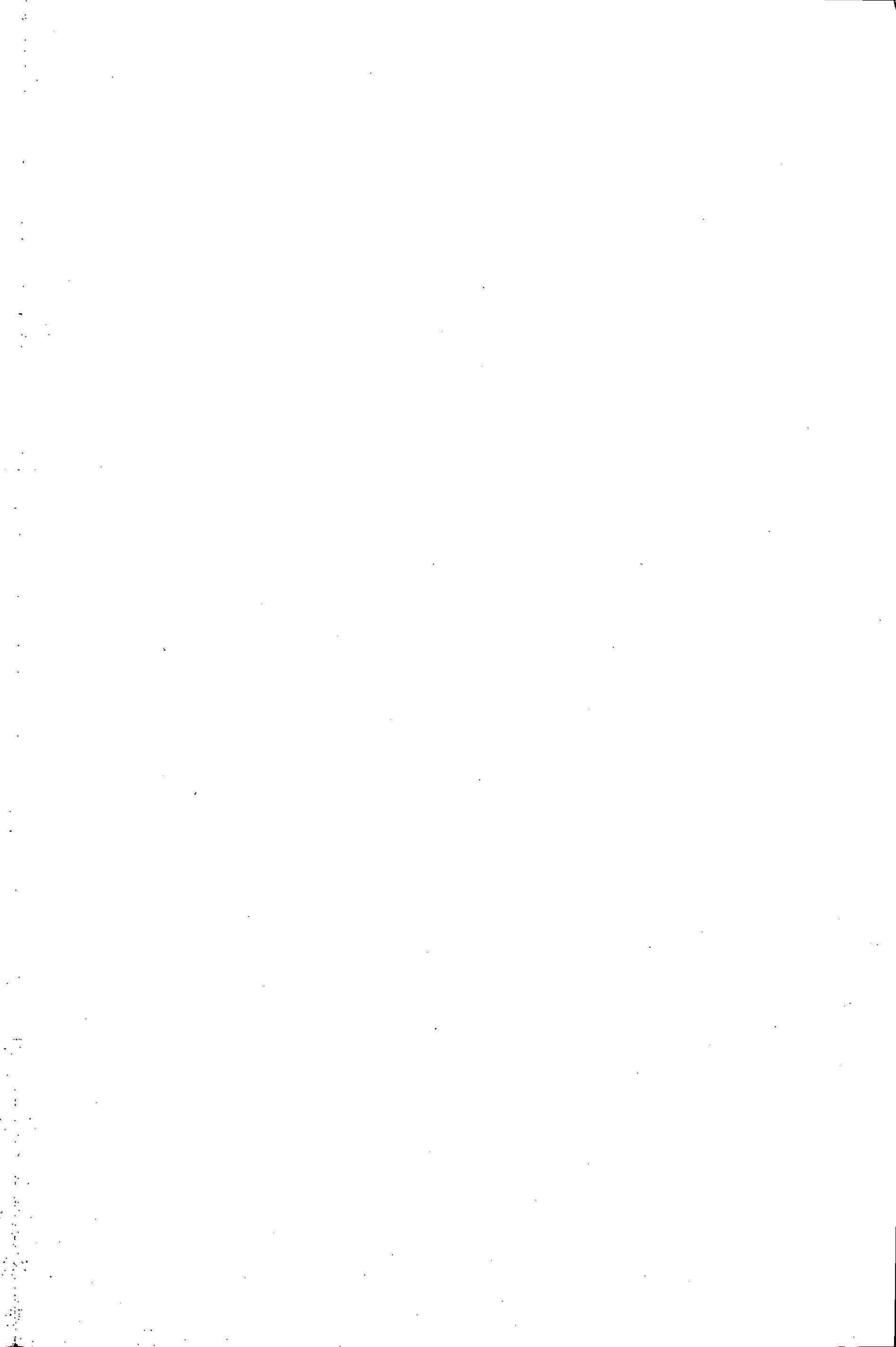
« ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ / ١٦٨٨ - ١٩٨٠م »



بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

سورة فاطر الاية ٢٧ ـ ٢٨



إهـــداء

* إلى ذكرى والدى الذى قضى عمره يحفر الصخر بجهده يرعى أهله ، ويحافظ على حقوق المهضومين من أبنائه وأحفاده . . رحمه الله .
* إلى أمي الحنون التي رعتني بعطفها ، وشملتني بحنانها ، وضحت من أجلي بشبابها وعمرها . . أبقاها الله .
* إلى زوجتي الفاضلة ، وابنائي قرة عيني ، وإلى كل فرد من أفراد أسرتي (آل جريس) ، وإلى أخوالي وابنائهم وأحفادهم الأعزاء .
* إلى كل هؤلاء . . . أهدي هذا الجهد المتواضع .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

غيثان بن علي بن جريس

المقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعنيه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (ﷺ) ، الذي كانت رسالته هدى ورحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد : إن البحث في تاريخ وحضارات الأمم ليس بالأمر اليسير ، لما يواجهه الباحث من عقبات عديدة . أهمها اختيار الموضوع الذي يرغب دراسته ومعرفة الدراسات التي تدور حول هذا الموضوع ، والحصول على مصادر هذه الدراسات وإتقان لغتها ، وغير ذلك من العقبات ، وهكذا يستطيع (وأحياناً لا يستطيع) الباحث أن يمضي قدماً في الموضوع الذي فكر فيه ، وقد ينجح بعد عناء شديد ، وربما لا ينجح ويخفق في منتصف الطريق .

ومن أصعب الدراسات عند المؤرخين القدامى والمحدثين ، هي التي تتعلق بالجوانب الحضارية البعيدة عن الأحوال السياسية ، فمن يستقرىء تاريخ الحضارات القديمة ، أو تاريخ العرب الجاهلي ، أو تاريخ الأمة الاسلامية منذ ظهور النبي محمد (ﷺ) وحتى الآن ، يجد أن معظم الدراسات التي إستطعنا الإطلاع عليها تدور في فلك الجوانب السياسية مثل : قيام الدول وسقوطها ، وحدوث الوقائع والحروب بين الدول بعضها مع بعض ، أو بين الزعماء والخلفاء والحكام بعضهم مع بعض ، أو إيجاد المؤامرات والدسائس ، أو الأحزاب والتكتلات السياسية والعسكرية المتنوعة في أحجامها وتنظيماتها . أما إذا حاولنا معرفة تاريخ الجوانب الحضارية الأخرى ، كالأحوال الاقتصادية ، أو الإجتماعية ، أو العلمية والفكرية والأدبية وغيرها ، نجد صعوبات عديدة مثل : قلة المادة العلمية المدونة عن هذه العناصر . وكذلك إذا حاولنا معرفة تاريخ عامة المجتمع ، وخاصة الطبقات الوسطى والسفلى في أي أمة أو شعب ، فالأمر يزداد غموضاً والمشكلة تصبح أكثر من سابقتها .

فدراسة التاريخ الإجتماعي والإقتصادي من أصعب الدراسات ، وخاصة تلك التي تتعلق بدراسة حضارات الأمم السابقة على الإسلام ، أو ترجع إلى القرون المبكرة والوسيطة في العهد الإسلامي . ولربما يقرأ الباحث عشرات المصادر المتنوعة ، ولا يجد ما يفيد أو يشفي الغلة ، أو لا يجد إلا عبارات متفرقة في بطون المصادر المختلفة . وهذه تجربة

لستها وعشتها أثناء دراساتي العليا في كل من أمريكا وبريطانيا ، بل وسمعتها من كثير من المؤرخين المتخصصين الذين هم أطول باعا مني .

والسبب في إختياري (**التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية**) ليكون موضوعاً لهذا الكتاب ، هو أنه لا يوجد هناك دراسة مستقلة عن هذا الأقليم ، وبشكل مفصل كما أوردنا . وقياساً على القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وما تعانيه من نقص في دراسات التاريخ الإجتماعي والإقتصادي ، رأينا أنه لازال من الضروري تدوين بعض الجوانب الإجتماعية والإقتصادية في بلاد عسير ، لاسيما منذ القرن الثاني عشر وحتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري . وما دفعني قدماً للمضي في هذه الدراسة هو :

(١) توفر بعض المصادر التي إستقى منها الباحث معظم تاريخ هذه البلاد في الجوانب الاجتماعية والإقتصادية ، كالمخطوطات والوثائق والرسوم والنقوش وما شابهها من الآثار المتنوعة ، وبعض المصادر والمراجع المكتوبة ، وكذلك الاستفتاءات والمقابلات مع المسنين الذين عاصروا بعض الأحوال الإجتماعية والإقتصادية ، وخاصة في القرن الرابع عشر الهجري .

(٢) الرغبة في المساهمة ولو ببعض الشيء في دراسة مثل تلك الأحوال التي نجدها شبه مغفلة في كتب التراث الإسلامي المبكرة ، ولهذا لا نرغب أن تفتقر الأجيال القادمة إلى ما افتقرنا إليه من نقص معرفي عند الأوائل ، وإنما يجب أن نقوم على تدوين ما قد يهلك ويندثر مع مر الزمن .

(٣) كذلك هذه الدراسة ، كما أسلفنا ، جديدة في بحثها ، فحسب علمنا لا يوجد هناك أي دراسة مستقلة في كتاب وضع باللغة العربية ، أو بلغات أخرى أجنبية ، وبالتالي فهي الدراسة الأولى من نوعها في هذا المجال . وآمل أن يتبعها محاولات أخرى مني أو من جيل الباحثين الشبان ، حتى يكتمل النقص الواضح في المكتبة العربية بشكل خاص ، والمكتبة الإسلامية على وجه العموم في مثل هذه الدراسات . ولذلك فقد حاولت أن أدلي بدلوي في هذه الدراسة التي أعتقد أنها سوف تفتح الأبواب للعديد من الأفكار والقضايا والدراسات الخاصة بالتاريخ الحضاري لمنطقة عسير .

ولا ندعي الكمال فيما تم تدوينه ، وإنما هي محاولة ، نرجو الثواب من الله عليها ، وقد

يكون بها بعض الأخطاء ونواحي النقص ، ونرجو من الله أن يظهر بعدنا من يصحح ما أخطأنا فيه ، أو ما لم نستطع استكماله .

وإختياري إقليم عسير دون غيره من الأجزاء في شبه الجزيرة العربية ، ليس ناتجاً عن أن الأجزاء الأخرى استهلكت بحثاً ، وإنما أغلبها ، إن لم تكن كلها لازالت بحاجة إلى دراسة تاريخية حضارية . أما التركيز على بلاد عسير في هذا الكتاب فإنما يعود إلى بعض الأسباب ، كمعرفتي للكثير من أحوال الأقليم ، بصفتي أني ولدت وتربيت وعشت فيه ، فسمعت وقرأت وشاهدت كثيراً من الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية التي عاشتها البلاد خلال القرون المتأخرة الماضية . ومن ناحية أخرى يعود ذلك أيضا إلى إهتماماتي الدراسية والبحثية (منذ زمن دراستي للدكتوراة) عن بلاد الحجاز ، والأجزاء السروية والتهامية الممتدة من مكة المكرمة وحتى حواضر اليمن الكبرى ، جعلتني أختار هذه الدراسة عن عسير موضوعاً لهذا الكتاب ، على أمل أن تتبعه كتب مماثلة تتعلق بأجزاء في شبه الجزيرة العربية .

وقد يلاحظ القارىء الكريم اختياري اسم « **عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية** (١١٠٠ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨ ـ ١٩٨٠م) » ، وقصدت بذلك المنطقة الممتدة من جازان ونجران جنوباً إلى الباحة والقنفذة شمالاً ، كما يُلاحظ أن تركيزنا على النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، أو بداية القرن الخامس عشر خفيفة جداً ، فهذا لا يعني قلة المادة العلمية ، أو هروباً من التقيد بمنهجية البحث ، ولكن التغير الذي طرأ على المملكة العربية السعودية ، بعد أن وحدها الملك عبدالعزيز ، وبعد تدفق البترول ، جعل الكثير من الأحوال الاجتماعية والإقتصادية تتغير عما كانت عليه قبل ، بل توفر المعلومات الغزيرة جعلتنا لا نتمكن من إخراج دراسة تشمل الزمن منذ القرن الثاني عشر وحتى الآن ، ولهذا آثرنا التركيز على القديم الذي ربما يضيع ويندثر ، ونترك التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة لتكون عنواناً لكتاب آخر ـ بإذن الله . ومن المؤكد أن كتابا واحدا غير كفيل بتغطية الأحوال الاجتماعية والاقتصادية منذ أواخر القرن الهجري الماضي وحتى الآن ، وإنما تحتاج هذه الفترة إلى عدة مجلدات حتى يخرج لنا دراسة علمية نافعة إن شاء الله .

ومن المعلوم أن يكون لكل بحث ظروف معينة ، ويقابل الباحث عقبات ومشكلات معينة

ايضا ، فالمشكلة الرئيسية هي قلة المادة العلمية بل وتناثرها فمن يطلع على الحواشي المدرجة اسفل الصفحات أو يرى قائمة المصادر في نهاية البحث فسيعرف المعاناة التي وجدها الباحث ، حيث هناك وثائق محلية لدى أهل البلاد قمنا بجمعها أو الاطلاع عليها لدى اصحابها ثم أخذ ما يراد إيصاله للقارىء . مثل هذه الوثائق ليست ضمن تصنيف معين أو في مكان مخصص كالمكتبات وغيرها وإنما هي متناثرة لدى أبناء البلاد ، وخاصة عند الشيوخ منهم ، لهذا حرص الباحث في أن يحصل على صورة من كل وثيقة ثم يصنفها ويضع لها أرقاما معينة في مكتبته الخاصة ، وبهذا فعند استخدام مثل هذه الوثائق يذكر رقمها في الهامش وأحياناً يذكر رقمها لدى الباحث واسم الشخص الذي أخذت من عنده .

أما بقية المصادر والمراجع فكما صنفها الباحث في قائمة المصادر ، منها المصادر الأساسية والمراجع العلمية ، ومنها المقابلات وما شابهها . ولإنجاز هذه الدراسة فقد تم تقسيم البحث الى مقدمة ، وخاتمة ، وثلاثة فصول وزعت على النحو التالي :

في الفصل الأول : درسنا الوضع الجغرافي لإقليم عسير ، فذكرنا الحدود ، والتركيبة السكانية ، والجغرافية ، مع الإشارة إلى الأحوال المناخية والجوية في البلاد .

أيضا تعرضنا لذكر موجز عن الأحوال السياسية في المنطقة ، ابتداء بظهور الإسلام حتى القرن الرابع عشر الهجري .

أما الفصل الثاني ، فناقشنا الحياة الاجتماعية ، من حيث وضع المجتمع والأسرة ، والمباني ومرافقها ، ونوعية الأطعمة والأشربة التي كان يقتات بها العسيريون ، ثم تعرضنا لأصناف الملابس وطريقة الزينة المتعارف عليها ، ثم تحدثنا عن عادات الأعياد ، والزواج ، والختان ، والمآتم ، والأنظمة والقوانين العرفية التي كانت دارجة بين سكان البلاد ، إلى جانب عادات وتقاليد أخرى ، كالتعاون ، والكرم واستقبال الضيوف ، والشجاعة ، والصلح ، وعادة اعطاء الوجه والجوار ، وعادة توديع واستقبال المسافرين ، وعادة تبادل الأخبار ، وعادة السموة . كما أشرنا إلى طبيعة المجالس العلمية والاجتماعية ، وطريقة ممارسة الطب والتطبيب ، ثم ذكر نماذج من الألعاب الرياضية ووسائل التسلية التي يمارسها العسيريون .

وفي **الفصل الثالث والأخير** تعرضنا للحياة الاقتصادية فذكرنا ما كان يمارسه العسيريون من رعي وصيد وجمع والتقاط ، كما أشرنا إلى طرق ممارستهم للزراعة ، ثم ذكرنا البعض من أهم الصناعات والحرف التقليدية التي كانت تمارس ، ثم الحياة التجارية وطرق ممارستها عند الكثير من السكان ، وختمنا هذا الفصل بالحديث عن بعض العقبات التي كانت تواجه العاملين في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية على حد سواء .

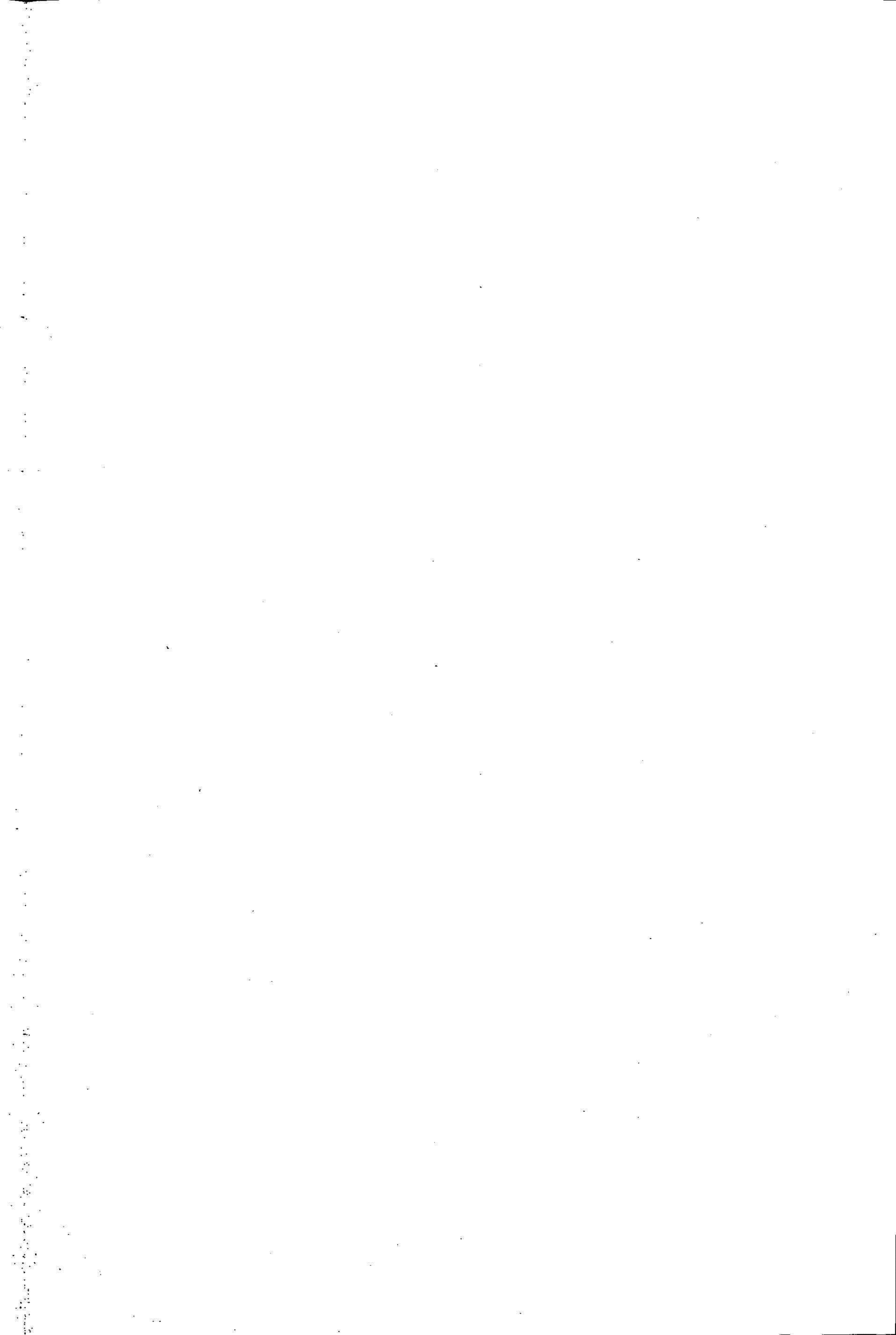
ولا يسعني هنا إلا أن أقدم جزيل شكري لطلابي الذين كانوا عونا لي في إخراج هذا الكتاب ، حيث أن البعض منهم زودني ببعض الصور الفوتوغرافية ، وآخرين زودوني ببعض المعلومات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة ، وأخص منهم الطلاب الذين وردت أسماؤهم ضمن قائمة مصادر ومراجع هذا الكتاب . كما لا يفوتني أن أقدم جزيل شكري لشيوخ العشائر الذين زودوني ببعض الوثائق التي احتجتها في إخراج هذه الدراسة ، وكذلك أشكر كل من ورد اسمه في هذا البحث وقدم لي خدمة سواء كانت وثيقة ، أو مصدرا أو مرجعا ، أو مقابلة شخصية ، وكل من قدم مساعدة مهما كان حجمها .

ولا يفوتني أيضا أن أقدم جزيل الشكر لكل من ساعدني في كلية التربية بأبها ، أثناء جمع معلومات هذا الكتاب ، أو أثناء كتابه ومراجعه مسودته ، أو أثناء الرسم أو التعليق على الخرائط والأشكال الواردة به ، أو أثناء طباعته على الآلة الكاتبة ، وأخص منهم الدكتور/ وديع فتحي عبد الله ، والأستاذ سلطان محمد أبو ملحة ، والاستاذ محمد صلاح الأزهري ، والاستاذ أبوبكر سلامة ، والاستاذ عمرو قطب ، وجميع من قدم لي يد العون والمساعدة من أبنائي وإخواني ، وأصدقائي ، وزملائي . وإلى كل من والدتي وزوجتي وأولادي أقدم جزيل شكري وعرفاني لهم بالجميل على تحملهم لي ، وصبرهم عليَّ أثناء إنجاز هذا العمل .

كما أقدم جزيل الشكر للأخ الفاضل والأستاذ الكريم/ عبدالله بن سعيد أبو ملحه رئيس الغرفة التجارية الصناعية بأبها على تفضله بدعم هذا الكتاب ونشره على نفقته الخاصة راجياً من الله العلي القدير أن يجزيه خير الجزاء وأن يثيبه احسن الثواب إنه نعم المولى ونعم النصير .

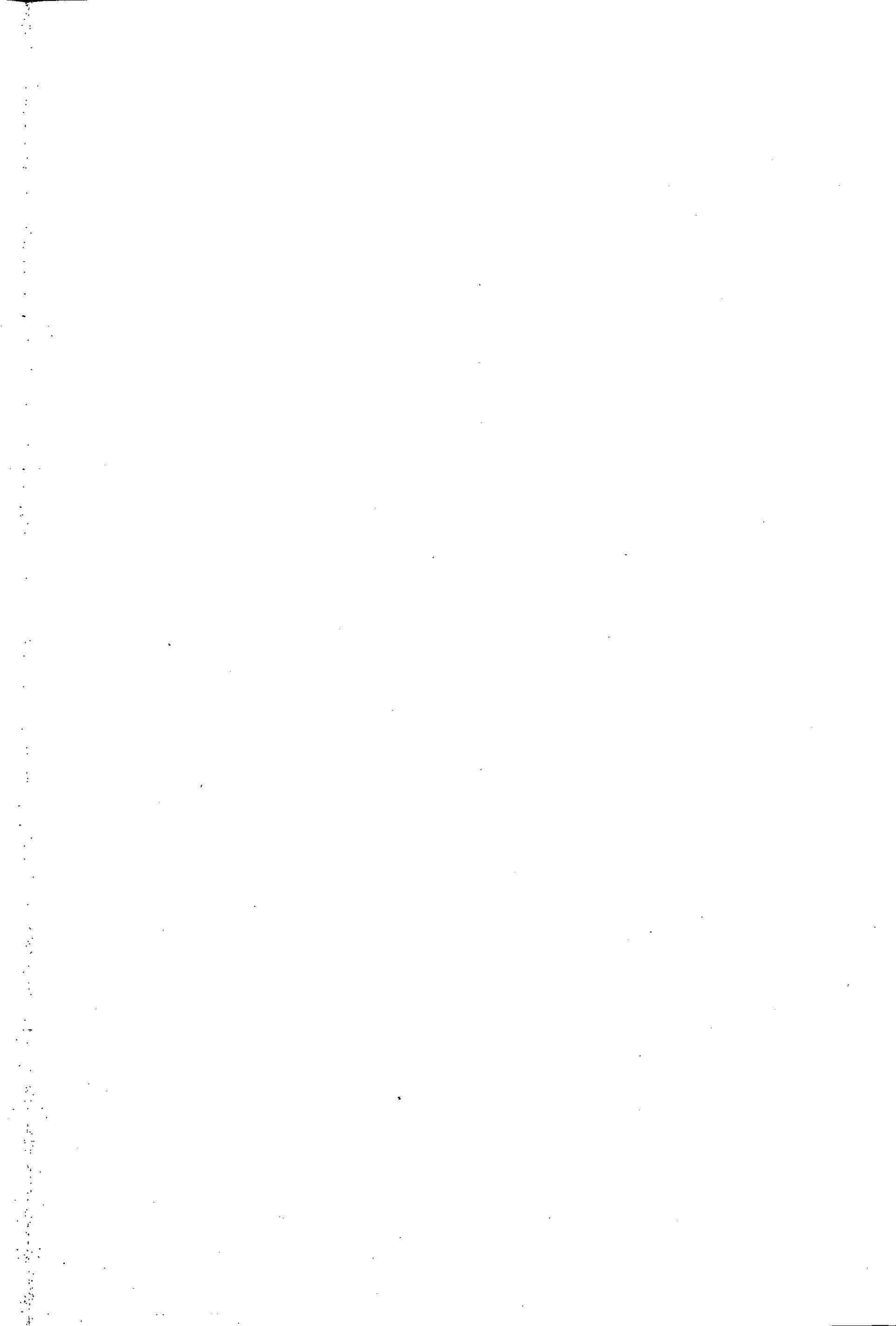
وأخيرا فإن هذا جهدي فيما استطعت الحصول عليه ، وإخراجه في هذا الكتاب الذي لا أدعي فيه الكمال ، فإن أخطأت فمن نفسي ، وإن أصبت فمن الله ، والله أسأل السداد والتوفيق ، وأخر دعوانا ، أن الحمد لله رب العالمين .

« وكتبـــــه »
غيثان بن علي بن جريس
بمدينة أبها ، في الليالي الأخيرة من
شهر ربيع الثاني سنة أربع عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة
على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم



الفصل الاول

الأحوال الجغرافية و السياسية في عسير



الفصل الأول :

الأحوال الجغرافية والسياسية في عسير

١ - الوضع الجغرافي

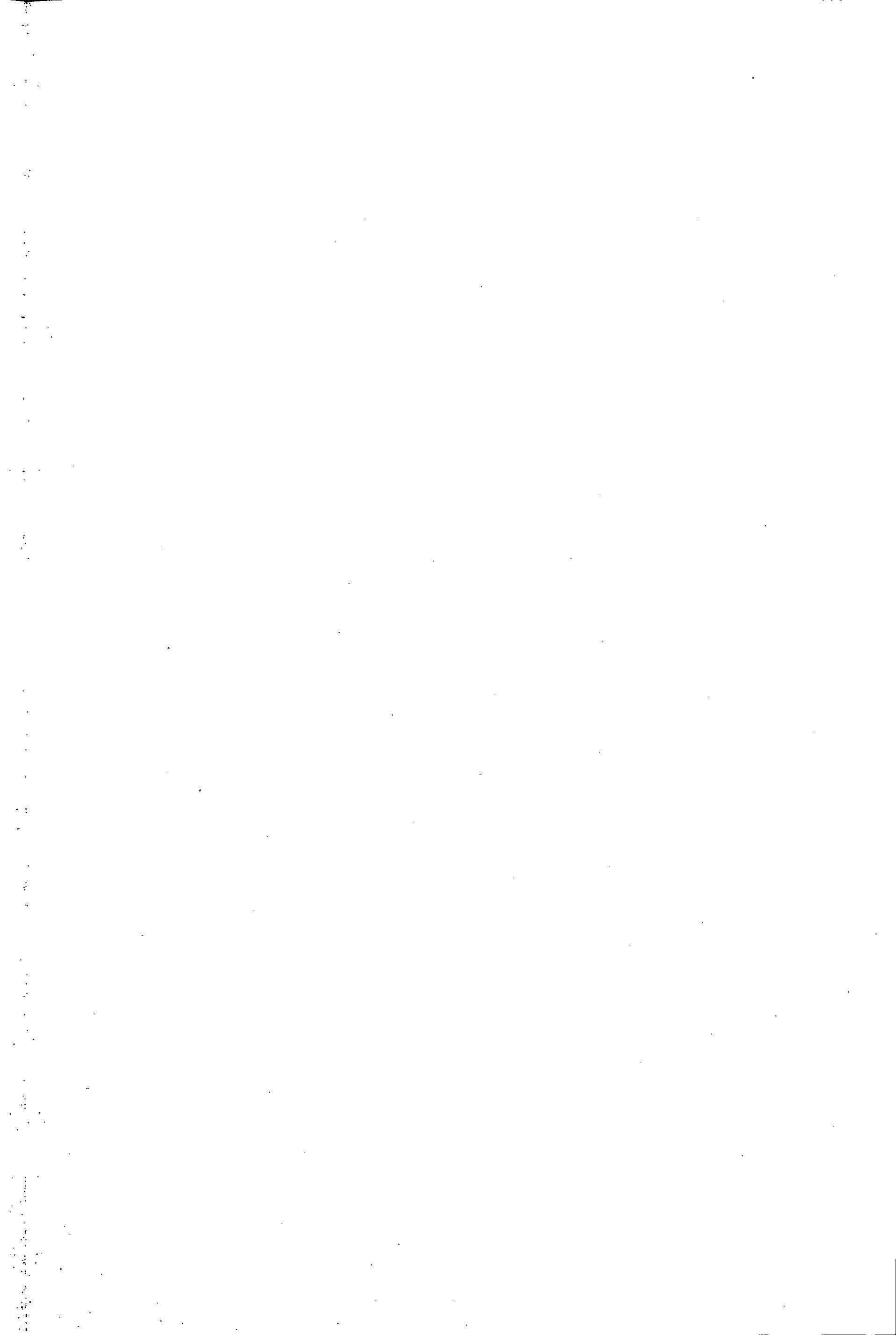
أ - الحدود

ب - السكان

جـ - التضاريس

د - الأحوال الجوية والمناخية

٢ - نبذة عن الحياة السياسية .



الأحوال الجغرافية والسياسية

١ ـ الوضع الجغرافي :

أ ـ الحـــدود :

إذا حاولنا معرفة أصل اسم عسير كوحدة طبيعية ، محدودة المعالم الجغرافيـة والادارية ، فلابد من العودة إلى الوراء لعدة قرون لنتأكد ، هل اسم عسير ، كإقليم ، قد عرف من قديم الزمان ؟ وهل كان هناك اسم آخر يطلق على المنطقة قبل اسم عسير ؟. وبالإجابة على هذه الأسئلة نستطيع أن نصل إلى معرفة التطورات الجغرافية والسياسية التي مر بها إقليم عسير .

ثبت أن اسم عسير ، كإقليم معلوم بحدود إدارية ، لم يكن معروفاً على الإطلاق ، خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، ومن يطالع كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل ، **كابن خرداذبة ، والاصطخري ، وابن حوقل ، والبكري ، وناصر خسرو ، والإدريسي ، والمقدسي ، واليعقوبي ، والمسعودي ، وابن جبير ، وابن المجاور ، وابن بطوطة ، والقزويني ، وياقوت الحموي** وغيرهم ، يجد أنهم جميعاً لا يذكرون عسير كمنطقة أو إقليم معين ، وإنما ذكر البعض منهم أسماء مواقع عديد توجد ضمن إقليم عسير في وقتنا الحاضر ، كبيشة ، وترج ، وحلي ، وبارق ، وغيرها كثيردون أن يُبيّنوا وقوع هذه الأماكن في منطقة معلومة باسم عسير ، وعندما يورد أحدهم تفصيلاً أكثر عن المواقع التي ذكرت ، فقد يضمها إما إلى بلاد الحجاز ، أو اليمن ، أو نجد ، وأحياناً أخرى يورد بعضهم أماكن معينة فيطلق عليها مخلاف ، أو ناحية كذا وكذا . وقد وجدنا البعض منهم يذكر أسماء عديدة ، مثل مخلاف جرش ، أو مخلاف تبالة ، أو مخلاف حكم ، ويراد بكلمة مخلاف أي منطقة أو إقليم . أيضا من الجغرافيين الواردة أسماؤهم آنفا ، أو بعض المؤرخين من ذكر اسم الحجاز وتهامة ، أو السروات ، ثم بينوا أن سلسلة الجبال الممتدة من الطائف إلى صنعاء جزء من الحجاز أو السروات ، وقد كثر النقاش والجدل والاختلاف في وجهات النظر حول توضيح الحدود الفاصلة بين الحجاز واليمن[1] . ومع كل ما أشارت إليه المصادر المبكرة ، لا نجد ذكرا لاسم منطقة عسير .

وأول إشارة وصلت إلينا عن اسم عسير كمكان معين ، هي المعلومات التي حفظها لنا

---

(١) انظر تفصيلات اكثر . صالح احمد العلي ، تحديد الحجاز عند المتقدمين ، مجلة العرب (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) جـ١ ، ص ١ ـ ٤٩ عبدالله الوهيبي ، ، الحجاز كما حدده الجغرافيون ، مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) جـ١ ، ص ٥٣ ـ ٧٠ .

العلامة اليمني **الحسن بن أحمد الهمداني** ، المتوفى سنة (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) حيث يقول : « **ويصالي قصة جرش أوطان حزيمة من عنز ، ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز ، وعسير يمانية تنزرت ، ودخلت في عنز ، فأوطان عسير إلى رأس تيه ، وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي أبها ، وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمائة من تاريخ الهجرة ، والدارة ، والفتيحا ، واللصبة ، والملحة ، وطبب ، وأثانة ، وعبل ، والمغوث ، وجرشه ، والحدبة ، هذه أودية عسير كلها** ... »[1] وفي موضع آخر يقول : « **والدّارة ، وأبها ، والحللة ، والفتيحا ، فحمره ، وطبب فأثانة ، والمغوث ، فجرشة ، فالايداع أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض الطود** »[2].

وتتميز المعلومات التي أوردها الهمداني بقدمها ، إذ تعود الى بداية القرن الرابع الهجري ، إلا أنها غير كافية في توضيح تسمية بلاد عسير ، فقد أوردها ضمن عنوان عام في كتابه سماه (**جرش وأحوازها**) ، وفي محاولة لمعرفة موقعها من سياق الحديث في ذكر المواطن التي أشار إليها ، نجدها تشغل مساحة صغيرة من (**مخلاف أو إقليم جرش**)[3]، الذي كان يشمل أغلب أجزاء إقليم عسير في أيامنا ، ولم تكن عسير في عهد الهمداني تشمل إلا جزءاً بسيطاً ، هو الموقع القائمة عليه الآن مدينة أبها وما حولها ، أو ما يسمى بمواطن قبائل عسير المعروفة باسم : (**بنو مغيد ، وعلكم ، وبنو مالك وربيعة ورفيدة**)[4].

وبعد الهمداني بقي الأمر غامضاً عن عسير كمنطقة معلومة ، حتى جاء القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي ، عندما نشطت الحكومات الغربية في مد نفوذها على أقاليم ومناطق عديدة من بلاد المسلمين ، وبالتالي ظهر العديد من الرحالة والكتاب الغربيين ، أمثال دومينغوباديا اي لبخ (Dominigo Badia Ay Lebich) والذي بدل اسمه إلى علي بك العباسي ، وبوركهارت (Burckhardt) ، ونيبور (**Niebuhr**) فأشار بعضهم إلى اسم عسير بشكل سريع ، دون أن يذكر أي تفصيلات عن كيانها الجغرافي والسياسي[5]. وأخيراً كلفت الحكومة البريطانية القسم الجغرافي في المخابرات البحرية البريطانية بإعداد بحث عن عسير ، يشمل موقعها وتضاريسها ، وأحوالها الطبيعية والاجتماعية ، وقد

---

(١) الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الأكوع (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ص ٢٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .

(٣) وجرش مدينة تاريخية اثرية تقع في بلاد رفيدة القحطانية ، بجوار خميس مشيط ، ولا تزال آثارها التاريخية ماثلة للعيان بجوار جبل حمومة ، وإني أنادي إدارة الآثار في وزارة المعارف ، بالمملكة العربية السعودية ، وقسم الآثار في كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، إلى البحث والتنقيب عن آثار هذه المدينة التاريخية العظيمة . وللمزيد من التفصيل انظر محمد أحمد معبر . مدينة جرش من المراكز الحضارية القديمة (خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص ١٤ وما بعدها ؛ يحيى ابراهيم الألمعي . رحلات في عسير (معلومات النشر بدون) جـ ١ ص ٣٤ ـ ٣٥ وهناك مقالة سوف تنشر لنا في أحد الأعداد القادمة من مجلة العصور ، تحت عنوان : «تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى .

(٤) انظر مقدمة كتابنا ، صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول ، ص ٧ ـ ١٠ .

(٥) انظر . علي احمد عيسى عسيري . عسير في ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ـ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ، دراسة تاريخية . (ابها : النادي الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ٣٢ وما بعدها .

تضمن البحث معلومات دقيقة . كما وضّح حدود قبيلة عسير بالنسبة لبقية قبائل الإقليم ، مع الإشارة إلى أن عسير آنذاك كانت تعرف بالمنطقة العربية من الجزيرة العربية ، بجنوبي الحجاز . وتقع بين الحجاز واليمن ، مع التأكيد على أن اسم عسير يقتصر على المنطقة التي تنتشر فيها أربع القبائل العسيرية الرئيسية (**بنو مغيد ، وبنو مالك ، وعلكم ، وربيعة ورفيده**)[1].

وفي القرنين الماضيين خرج العديد من البحوث العربية التي لم تكن تتفق على رسم حدود عسير[2]. وإنما تباين الاختلاف في تلك الدراسات ، فمنها ما اقتصر في توضيح الحدود على القبائل الأربع السابقة الذكر ، والتي تستوطن مدينة أبها وما حولها ، ومنها من مد حدود عسير إلى بلاد رجال الحجر شمالا وإلى شهران وأجزاء من بلاد قحطان جنوبا وشرقا ، ومنها أيضا من مد حدود إقليم عسير إلى بلاد زهران والقنفده والليث شمالا ، وإلى بيشة واطراف نجران وصبيا شرقاً وجنوباً[3]. وقد تم العثور على وثيقة خلال الحكم العثماني لعسير (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م-١٣٣٧هـ/١٩١٨م) ، بينت حدود بلاد عسير في تلك الفترة ، ونص الوثيقة على النحو التالي : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، حدود لواء عسير في تهامة والسواحل من دوقة إلى أبي عريش ، وسواحلها من جهة ولاية مكة مرسا دوقة قبائل المشائخ ... والمرفا القنفدة ويبه ... وحلي والمرفا البرك والقحمة ... حدود اللواء في الجبل من الجنوب ظهران ، ومن الشمال ناحية زهران من أعمال قضاء غامد ، ومن جهة الشرقية بيشة وتبالة ، والجبل وما يتبعه ثلاثة أقضية[4]، أبها ، وقضاء بني شهر ، وقضاء غامد ونواحيها . تهامة والجبل سبعة[5] مراكز له منصوب وشيخ وبيت مال وحامية** »[6].

ومن نص هذه الوثيقة عرفنا أن نفوذ الحكم العثماني قد وسّع نطاق اقليم عسير حتى صار ممتدا من زهران إلى ظهران ، ومن دوقة والقنفذة إلى أبي عريش وبالتالي لم يصبح مسمى عسير مقصورا على القبائل الأربع الرئيسية السابقة الذكر ، وإنما انضوى تحت اسم الإقليم قبائل أخرى عديدة ، كقحطان ، وشهـران ، ورجال الحجـر (**بللحمر**

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٥ . انظر ايضا Geographical Section of the Naval Staff, Admiralty. A handbook of Arabia, Vol.L.P. 130 ff.

(٢) انظر ، عسيري . عسير . ص ٢٦ ـ ٥٢ .

(٣) في اعتقادي ان هذا التباين والاختلاف في رسم حدود بلاد عسير ، في المصادر المحلية المتاخرة ، ناتج من الأوضاع السياسية التي عاشتها المنطقة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، حيث ظهر العديد من الإمارات المحلية ، ثم قدوم الحكم العثماني إلى البلاد وجعل حدود البلاد بين مد وجزر ، خصوصاً أن اشراف الحجاز كانوا يطمعون في مد نفوذهم على عسير ، وكذلك ائمة اليمن ، أو بعض الحكومات التي كانت في بلاد اليمن . للمزيد من التفصيل انظر . عسيري ، عسير ، ص ١٢٣ وما بعدها ، أحمد السباعي . تاريخ مكة ، القاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافي . المقتطف في تاريخ اليمن ، عبدالمنعم إبراهيم الجميعي . عسير خلال قرنين ، ١٢١٥هـ/١٨٠٠م ـ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (ابها : النادي الأدبي ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) محمود شاكر . عسير (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

(٤) في الاصل قضا .

(٥) في الاصل سبعت .

(٦) غيثان بن علي بن جريس . صفحات من تاريخ عسير (جدة : مطابع البلاد ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) جـ ١ ، ص ٨٩ ، ايضا ، صورة من هذه الوثيقة ضمن اوراق الباحث تحت رقم (٦) .

وبللسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو) وبلقرن ، وبلعريان ، وشمران ، وخثعم ، وغامد ، وزهران ، إلى جانب عشائر وقبائل أخرى تقطن الأجزاء التهامية أو النجدية الشرقية من الإقليم نفسه .

وبعد الحكم العثماني جاء الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ودخلت عسير تحت حكمه عام (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م) ، وأصبحت منذ ذلك الوقت إقليماً إدارياً قائماً بذاته ، تحت شعار لواء حكومة المملكة العربية السعودية[1] .

ب ـ السـكان :

لو رجعنا إلى عصر ما قبل الإسلام ، لوجدنا أن بلاد عسير كانت مسكونة ببعض الأقوام التي بادت واندثرت آثارها كالعماليق أو الأنباط الذين انطلقوا منها إلى أطراف جنوبي بلاد الشام ، وبنو ثابر الذين عاشوا فيها حتى جاءتهم القبائل اليمانية الأزدية التي هاجرت من اليمن بعد تهدم سد مأرب ، فنزل بعضهم فيها وغلبوا قاطنيها ، وأقاموا فيها ، وعرفوا ، عندئذ ، باسم أزد السراة[2] .

ونسب عسير مختلف فيه عند النسابه والمؤرخين ، فالبعض منهم ينسب مسمى عسير إلى العدنانيين ، أمثال : **هشام بن محمد السائب الكلبي ، وأبو عبد الله الحسن بن أحمد الهمداني**[3]، الذي ذكر في كتابه الإكليل بعد أن أورد أسماء عشائر من خولان ... **« ولئلا تلتبس هذه القبائل بقبائل عنز بن وائل ، فلنذكر نسب عنز بن وائل : وأولد عنز بن وائل على ما أخبرني بعض من يصاليهم من جنب**[4]**: رفيدة وارشة ، فأولد رفيدة ربيعة ومعاوية وعامراً وعبد الله وعمراً وحماراً ، فأولد ربيعة مالكاً ، فأولد مالكا جُريهة وتولباً وسلامان . وولد عامر بن رفيدة : عبد الله ووهباً وإياساً ، وولد عمرو بن رفيدة : سلمة وشقيقاً وتميماً ، وعبد الله ، أراشة بن عنز : عسيرا**[5]**وقنانا وجندله ، فولد عسير ، مالكاً وتميماً ، فولد مالك ، غما وحارمة وجدبلا وتيماً ، فولد تيم بن مالك ، زهيراً وسلمة ... »**[6]. وفي رأي آخر لحسين بن عبد الله الضمدي من

---

(١) لم يصبح عسير في وقتنا الحالي ممتدا تجاه الجنوب والشمال إلى ما كان عليه في بعض فترات القرن الثالث عشر ، والثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجريين ، والسبب في ذلك أنه أوجد إمارات أخرى مجاورة لإقليم عسير ، كامارة نجران ، وإمارة جيزان ، وإمارة الباحة . (انظر خريطة رقم ١) .

(٢) للمزيد من التفصيل عن هجرات القبائل اليمانية الأزدية من اليمن ، انظر . عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية (بيروت : دار القلم ، تاريخ النشر بدون) جـ ١ ، ص ١٣ ـ ٢٠ ، احمد حسين شرف الدين . اليمن عبر التاريخ ، من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين (مكان النشر غير مذكور ، ١٩٨٠م) ص ٥٥ وما بعدها .

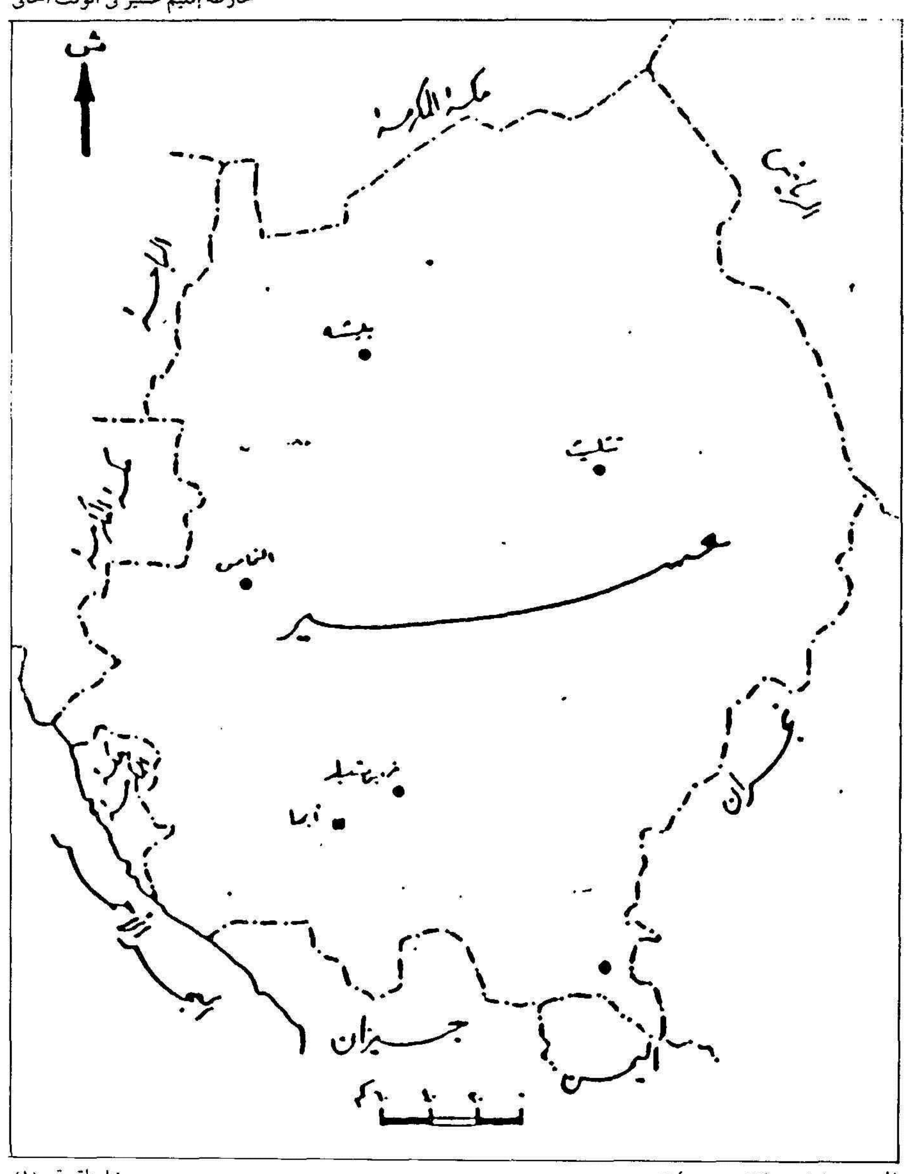
(٣) انظر ، كتابه الإكليل ، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، ط ٣ (بيروت : شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) جـ ١ ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٤) جنب ستة أولاد : منبه ، والحارث ، والنخلي ، وسنحان ، وشمران ، وهفّان ، هؤلاء الستة بنو زيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج ، سموا بجنب ، لأنهم خالفوا اخاهم صدا ، وحالفوا سعد العشيرة ، وحالفت صدا بني الحارث بن كعب ، وسكنوا البلاد الواقعة إلى الشمال من صنعاء ونجران ، وخالطوا عشائر وقبائل قحطانية أخرى .

(٥) يظهر ان بلاد عسير سميت بهذا ، وإلا فالمؤلف يذكر في كتابه (صفة جزيرة العرب) « وعسير يمانية تنزرت » انظر كتاب الصفة ، ص ٢٥٦ .

(٦) الهمداني ، الاكليل ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

خارطة إقليم عسير في الوقت الحالي



خارطة رقم (١)

المصدر : امارة منطقة عسير ، أطلس منطقة عسير الادارية : ١٩٨٥م ص ٢٣ .

علماء المخلاف السليماني(١)، للقرن الثاني عشر الهجري ، يرجع نسب عسير إلى العدنانيين لكن من فرع يخالف ما أورده الهمداني ، فيذكر أنه عسير بن عبس بن

---

(١) المخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف احد ولاته في القرن الرابع الهجري (٣٧٣هـ/٩٨٣م - ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) ، وكان يتسع و يضيق تبعاً لتطورات الأحوال السياسية . اقتطع سليمان مخلاف (حكم) ومخلاف (عثر) من املاك الدولة الزيادية وسماها المخلاف السليماني .

انظر : محمد بن احمد العقيلي . المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٧١ وما بعدها .

شحارة بن غالب بن عبدالله بن عك بن عدنان ، وهو ينقل ذلك عن عدة علماء من النسابين منهم محمد بن أحمد بن ابراهيم الأشعري ، في كتابه (**التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب**) [١] ، وهناك رأي ثالث يذكر أن مسمى عسير مشتق من العسر لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها [٢]. وفي حقيقة الأمر أن طبيعة أرض عسير تجعل الكثير من الباحثين يرجحون هذا الرأي ، مع أن الآراء الأولى ربما تكون أقرب إلى الصواب ، لأن جد عسير كان يعرف بهذا الاسم ، وقبائل عسير الرئيسية اليوم ربما تكون من نسله ، ولهذا احتفظت بمسمى عسير إلى الآن [٣].

وأياً كان نسب عسير ، فمن المحتمل أن الوقت الذي جاءت فيه القبائل اليمانية الأزدية إلى المنطقة كانت تقيم فيها قبائل تنتمي إلى عك بن عدنان ، ثم حدث قتال بين الطرفين تغلبت فيه القبائل اليمانية على العدنانية ، إلا أن الثانية لم تغادر أماكنها نهائيا ، وانما اختلطت مع مرور الزمن بالغالبين عن طريق المصاهرة ، والحلف والموالاة ، وبالتالي غلب على الجميع اسم عسير .

وكما أوردنا سابقا عن عدم وجود إقليم معين باسم عسير خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، ولم يظهر هذا الاسم وتتضح معالمه إلا في العهود المتأخرة الماضية ، وخاصة منذ القرن الثانى عشر الهجري ، ولأن كتابنا هذا يركز على دراسة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في منطقة عسير خلال القرون المتأخرة الماضية ، فمن الأفضل ذكر أسماء ومواطن العشائر والقبائل القاطنة في إقليم عسير ، والتي ستكون ضمن حدود البلاد التي يراد دراستها .

وإقليم عسير لا يشمل فقط القبائل العسيرية الرئيسية (**بنو مغيد** ، **وعلكم** ، **وربيعة ورفيدة** ، **وبنو مالك**) وإنما انضوى تحت هذا المسمى عشائر وقبائل أخرى نوردها على النهج التالي بادئين من الجنوب إلى الشمال . فيأتي في الطرف الجنوبي من الإقليم العسيري بلاد قحطان التي يوجد بها العديد من العشائر والقبائل ، **أمثال** : **سنحان** ، **وبنو بشر** ، **وشريف** ، **وعبيدة** ، **ورفيدة** ، **وجارمة وخطاب** ، وتقع مضارب قبائل قحطان على طول وادي ظهران الجنوب ووادي تثليث ، ووادي الجوف ، ويحدها من الشمال قبائل شهران وبعض قبائل عسير الرئيسية ، ومن الجنوب **بني صحار ويام** ، **ومن الغرب قبائل وادي بيش ، ومن الشرق بعض أجزاء الربع الخالي** [٤]. **وإلى الشمال من منطقة قحطان يأتي قبائل شهران ، ويطلق عليها بلاد شهران العريضة ،**

---

(١) حققه سعد عبدالمقصود ظلام ، ونشره النادي الأدبي في أبها ، عام (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) .

(٢) انظر : فؤاد حمزة . في بلاد عسير (الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ص ٨٧ ، ٨٨ ، هاشم بن سعيد النعمي . تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، ص ٤ ، ٥ .

(٣) الهمداني ، الاكليل ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٤) عسيري ، عسير ، ص ٩٤ ، النعمي ، عسير ، ص ٤١ ، Sir Kinahan Cornwalls -Asir Before World War.I: A handbook (New York, 1976) P.60.

لاتساع رقعتها . ويحدها من الجنوب ديار قحطان ومن الغرب أجزاء من ديار عسير الرئيسية . وبعض قبائل بلاد الحجر (**بللحمر ، بللسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو**) ، ومن الشمال الشلاوة وبلقرن . ومن الشرق تثليث . ومن قبائل شهران **آل رشيد ، وناهس . وبنو وهب . وبنو منبه . وكود . وآل غمر ، وبنو بجاد ، ويتبع لهم بنو مالك الشعف . وآل سرحان . وبنو جابرة . وأهل المسقي . والجهرة . وأهل تندحة** .
ويشير الهمداني في كتابه الاكليل إلى نسب شهران فيقول : « ... **أولد مالك بن زيد كهلان نبتا والخيار . فأولد نبت الغوث . فأولد الغوث الأزد وعمرا وقدار ومقطعان . فأولد عمرو بن الغوث أراشة . فأولد أراشة أنمار . بجيلة وخثعم . فأولد خثعم خلف بن خثعم . فأولد خلف عفرساً . فأولد عفرس شهران العريضة ونهشا وكودا وربيعة أباكلب** »[1] .

ويلي شهران نحو الغرب قبائل عسير الأساسية (**بنو مغيد ، وعلكم ، وبنو مالك ، وربيعة ورفيدة**) ويحدها من الشرق شهران ومن الجنوب بلاد قحطان وأجزاء من بلاد تهامة ، التابعة اداريا لإمارة جازان ، ومن الشمال قبائل بللحمر ، ومن الغرب رجال ألمع ، وهي تعود بالنسب إلى قبائل عسير الرئيسية ، وبلاد محائل وما حولها .
وإلى الغرب من بلاد شهران والشمال من قبائل عسير تأتي ديار رجال الحجر ، التي تعود في نسبها إلى حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان[2] . وتتكون من أربع قبائل رئيسية هي : بللحمر ، بللسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو ، ويحدها من الشمال ديار بلقرن وخثعم وشمران ، ومن الجنوب قبائل عسير الرئيسية ، وأجزاء من ديار شهران ، ومن الغرب السهول التهامية الممتدة إلى البحر الأحمر ، ومن الشرق بلاد شهران . وإلى الشمال من بلاد الحجر يأتي قبائل بلقرن وبلعريان ، وخثعم ، وشمران ، ثم قبائل غامد وزهران .

ومعظم سكان القبائل الواردة ذكرها تقطن الأجزاء السروية من بلاد عسير ، ولا تخلو الأجزاء الساحلية في تهامة من أفخاذ وعشائر تعود في نسبها إلى بعض القبائل الرئيسية في السراة ، أيضا يوجد في تهامة عسير قبائل معروفة بأماكنها وأسمائها ، مثل : **قبائل درب بني شعبة ، وقبيلة المنجحة ، وبنو هلال ، وقبائل قنا والبحر ، والريش ، وقبائل رجال ألمع ، ومحائل وبارق والقنفدة وغيرها**[3] .

---

(١) الحسن بن أحمد الهمداني . الإكليل ، تحقيق محب الدين الخطيب (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٦٨هـ) جـ ١٠ ، ص ٥ .

(٢) انظر ، غنيان بن علي بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (ابها : مطابع ملازن ، ١٤١٣هـ) ص ٤٣ .

(٣) محمود أبو العلا ، إقليم عسير ، بحث منشور في الدراسات الخاصة رقم (١) . بمعهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة : ١٩٧٦م) ص ٨٧ ـ ٢٢٠ ؛ عبدالرحمن صادق الشريف . جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقليم غرب المملكة (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) جـ ١ ، ص ٢٩٦ وما بعدها ، يوسف حسن محمد العارف . اضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا (ابها . النادي الادبي ، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ص ٥٨ ـ ٦٠ .

جـ ـ التضـاريس :

ينقسم إقليم عسير من الناحية التضاريسية الى قسمين هما : السروات الممتدة من بلاد غامد وزهران شمالاً إلى ظهران ونجران جنوبا ، والأجزاء التهامية الواقعة إلى الغرب من بلاد السراة ، والممتدة إلى شواطىء البحر الأحمر ، والواقعة بين الليث والقنفدة شمالا والشقيق وجازان جنوبا .

والأجزاء السروية عالية الارتفاع تنحدر بشدة تجاه الغرب ، ومتدرجة الانحدار نحو الشرق حيث يقل ارتفاعها عن تسعة آلاف قدم بالقرب من الحائط الجبلي في الغرب ، ويتناقص هذا الارتفاع كلما اتجهنا شرقا حتى يبلغ ثلاثة آلاف قدم في بيشة ، ويصل إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم عند حافة الربع الخالي[١].

وتعتبر سلسلة جبال السراة سداً منيعاً من جهة الغرب ، فلا يستطيع سكان المنطقة الصعود أو النزول إلى الأجزاء التهامية إلا من فجوات محددة تعرف باسم (**العقبات**) ومفردها (**عقبة**) ، وبدون هذه الفجوات لا يمكن ، في السابق ، ارتقاء جبال السروات ، والعبور إليها أو منها نحو الأجزاء التهامية[٢].

وجبال السراة هي الموزعة للمياه بين تهامة في الغرب والمناطق النجدية في الشرق ، فمن الأودية الكبرى المتجه ناحية الشرق ، وادي نجران في الجنوب يليه إلى الشمال وادي حبونة ، ثم وادي تثليث ، فوادي بيشة ، ثم وادي رنية ، وهذه الأودية الرئيسية يدعمها عشرات الروافد والأودية التي تصب في أعالي بلاد السراة نحو الشرق[٣].

أما تهامة فتتميز بسطحها المنخفض ، وبخاصة قرب ساحل البحر ، أما الأجزاء التهامية البعيدة إلى الداخل نحو الشرق فيوجد بها جبال أقل ارتفاعا من جبال السراة ، وأقل ترابطا لكثرة الأودية العميقة التي تفصل بينها . ومن أعظم أودية تهامة ، وادي جازان ، وادي ضمد ، وادي صبيا ، وادي بيش ، وادي عتود ، وادي حلى ، وادي تيه ، وادي بارق ، وادي يبه ، ثم وادي قنونا ، وأودية أخرى عديدة يأتي معظمها من أعالي السراة ، فتجتمع مع هذه الأودية الكبار ، ثم تصب جميعها في البحر الأحمر .

وعند أسفل جبال تهامة من الغرب يأتي ذلك السهل التهامي الممتد إلى البحر ، فيكون طرفه من ناحية البحر مأهولا بالسكان الذين يزاولون مهنتي التجارة أو الصيد ، أما الأجزاء الداخلية والقريبة من سفوح جبال تهامة فمستوطنة بالقرى الكثير التي يسكنها من يمارس مهناً عديدة من أهمها الرعي والزراعة .

---

(١) انظر ، ابو العلا ، المرجع السابق ، ص ١١٠ ، K.S. Twitchell «Water Resources of Saudi Arabia» Geog. Review, Vol.34 (1944) PP.65-6.

(٢) كانت منحدرات جبال السراة الغربية في الماضي تشكل عقبات صعبة لسكان المنطقة عندما يذهبون او يعودون مابين تهامة والسراة ، اما في وقتنا الحاضر فصار هناك العديد من الطرق المعبدة ، او الطرق الترابية الجيدة التي ترتادها السيارات مابين سراة وتهامة عسير ، ولم يبق هناك مشكلة لدى السكان في الذهاب والإياب بين تلك الأجزاء .

(٣) انظر ، فؤاد حمزة ، عسير ، ص ١٦٨ ـ ١٧٠ ، عسيري ، عسير ، ص ٦٢ ـ ٦٥ .

د - الأحوال الجوية والمناخية .

يختلف المناخ في بلاد عسير بين الأجزاء السروية والتهامية ، والاختلاف ناتج من التباين التضاريسي في المنطقة ، ففي البلاد المرتفعة (السراة) تكون الحرارة معتدلة في الصيف ، ثم تنخفض إلى ثلاث درجات ، واحياناً إلى درجة واحدة في بعض الأجزاء خلال فصل الشتاء . اما المناطق الساحلية (تهامة) فعلى العكس من ذلك ، فالحرارة مرتفعة في منطقة السهول صيفاً ، ويبلغ معدلها في بعض الأحيان خمساً وأربعين درجة مئوية ، وتكون في الغالب حرارة مقرونة بالرطوبة ، مما يجعل تحملها صعباً ، فيشعر المرء بكثير من الضيق ، إذ يتصبب العرق منه باستمرار ، أما في الشتاء فتكون الحرارة معتدلة ، فلا تنخفض درجة الحرارة عن (١٥) إلى (٢٠) درجة مئوية[١].

والرطوبة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحرارة والبرودة ، وأيضاً بالارتفاع عن سطح البحر والقرب منه ، ولهذا فنسبتها في بلاد عسير ، ترتفع في المناطق التهامية الساحلية في فترتي الصيف والشتاء ، أما في الأجزاء السروية فترتفع في فصل الشتاء ، وتنخفض في الصيف[٢].

أما سقوط الأمطار فبعض الجغرافيين يرون طبيعة الأمطار في عسير أمطاراً دائمة ، ولكنها أكثر هطولاً في الصيف منها في الشتاء ، وهذا يعود إلى هبوب الرياح الموسمية التي تصل إلى بلاد عسير بعد مرورها على البحر الأحمر ، وهي حاملة معها بعض الرطوبة ، وعندما تصطدم بجبال عسير العالية تنزل الأمطار بغزارة[٣].

وفي ضوء الأحوال الجوية ، من حيث التضاريس والحرارة ، أيضاً تختلف كمية سقوط الأمطار سواء في الجبال أو المناطق التهامية أو النجدية من البلاد ، فهي تسقط بغزارة على السروات المرتفعة ، ثم تتناقص تدريجياً كلما اتجهنا نحو الأجزاء التهامية أو النجدية . ومن الأمطار تتشكل أودية المياه الجارية التي تتجه نحو الشرق أو الغرب ، فيجري بعضها طوال العام ، أو تتسرب في باطن الأرض فيتم استخراجها عن طريق حفر الآبار .

ومن التباين الواضح في التضاريس والطبيعة والمناخ في إقليم عسير ، ظهر هناك أيضا بعض الاختلاف في البنية النباتية ، والزراعية ، والحيوانية ، والجوانب الاجتماعية والاقتصادية المتنوعة ، والتي ستكون مجال دراستنا في الفصلين القادمين من هذا الكتاب .

---

(١) محمود شاكر ، عسير ، ص ١٩ ، العارف ، اضواء ، ص ٥٥ ، ايضا مشاهدات الباحث وانطباعاته في بلاد تهامة والسراة ، اثناء فصلي الصيف والشتاء عام (١٤١٢هـ) .

(٢) مشاهدات وانطباعات الباحث في بلاد عسير خلال عامي (١٤١١هـ-١٤١٢هـ) .

(٣) انظر محمود شاكر ، عسير ، ص ١٩ - ٢٠ ، ابو العلا ، المصدر السابق ، ص ١١٦ وما بعدها .

٢ ـ نبذة عن الحياة السياسية

عندما نعود بتاريخ عسير إلى ما قبل القرن العاشر الهجري تصادفنا مشكلة ، وهي أن المصادر التي تحدثت عن شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وكذلك المصادر التي تناولت تاريخ اليمن والحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، تكاد تكون خالية من تسجيل الأحداث التي دارت في بلاد عسير ، بل إنها لا تذكر منطقة معلومة باسم عسير ، وإنما بعضها إذا أشارت إلى أي جزء جنوب مكة المكرمة فقد يطلق عليه اسم بلاد اليمن ، وأحيانا يرد اسم بلاد السراة ، نسبة إلى جبال السروات ، أو بلاد تهامة ، ومن هذه المصطلحات الفضفاضة لا نكاد نخرج بفائدة توضح لنا تاريخ عسير في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة .

وأغلب البلاد التي تعرف اليوم باسم إقليم عسير ، كانت تعرف في العهود الإسلامية الأولى باسم (**مخلاف جرش**) ، ولكن إذا أردنا معرفة الأحداث السياسية التي دارت في بلاد جرش (**عسير**) منذ فجر الإسلام ، لا نجد إلّا شذرات متناثرة في بطون المصادر التاريخية والجغرافية والفكرية المبكرة .

وأول ما وصلنا عن جرش وأهلها في عصر الإسلام ، هو قصة إسلامهم ، حيث تذكرلنا بعض كتب السير والطبقات والتواريخ الموضوعية والحولية وغيرها من كتب التاريخ الإسلامي[١]، قصة قدوم صرد بن عبد الله الأزدي على رسول الله (ﷺ) في السنة العاشرة للهجرة ، ثم دخوله مع بعض قومه في الإسلام ، وتلبيتهم أمر رسول الله (ﷺ) عندما أمرهم بالعودة إلى ديار جرش لمحاربة من كان على غير دين الإسلام ، فنجحوا في جهاد المشركين ، ونشروا الإسلام في أوطانهم ، وبالتالي أمّرَ الرسول (ﷺ) صرد بن عبد الله الأزدي على أهل جرش ومن حولهم ، وحمى لهم حمى في ديارهم ، وصاروا ضمن دولة الإسلام في عهد الرسول (ﷺ)[٢].

واستمر أهل جرش يدافعون عن راية الإسلام في عهد الرسول (ﷺ) ، ثم في خلافة الخليفة الراشد الأول ، أبوبكر الصديق (١١هـ/٦٣٢م-١٣هـ/٦٣٤م) ، فحاربوا مع جيوش المسلمين من ارتد من المرتدين في عهده ، وسعوا إلى توطيد رقعة الإسلام في أوطانهم ، ثم استمروا على هذا النهج في عهد من جاء بعده من الخلفاء الراشدين الأوائل ، عمر ، وعثمان ، وعلي (١٣هـ/٦٣٢م - ٤٠هـ/٦٦٠م) ، وكذلك في عصر الدولة الأموية

---

(١) امثال ، فتوح البلدان ، للبلاذري ، والسيرة لابن هشام ، والطبقات لابن سعد ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ، وغيرها كثير .

(٢) وللمزيد من التفصيلات عن إسلام اهل جرش ، انظر ، ابن هشام ، السيرة ، جـ ٤ ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ . ويذكر ان الرسول (ﷺ) كتب إلى اهل جرش كتابا قال فيه : «إن لهم حماهم الذى أسلموا عليه فمن رعاه بغير بساط اهله فماله سحت ...» وفي حديث اخر عن ابن عباس ان رسول الله (ﷺ) كتب إلى اهل جرش ينهاهم عن خلط التمر مع الزبيب . انظر . محمد حميد الله . مجموعة الوثائق للعهد النبوي والخلافة الراشدة . (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

... ٦٦٠م - ١٣٢هـ/٧٤٩م) ، والعقود الأولى من عصر الدولة العباسية ، بل ... البعض منهم للمشاركة في الفتوحات الإسلامية المبكرة في بلاد الشام ، ومصر ، والمغرب ، والأندلس ، والعراق وفارس ، وبلاد الهند والسند ، ولم يكن يكتفي البعض ممن ... في الفتوحات بالمشاركة ثم العودة إلى أوطانهم الأصلية ، وإنما استوطنوا في الأمصار الإسلامية المختلفة ، وشاركوا في مهن عديدة ، كالادارة ، والتجارة ، والزراعة ، والتعليم وغيرها .

وعندما بدا الضعف يدب في جسد الخلافة العباسية ، وخاصة منذ عهد النفوذ التركي (٢٣٢هـ/٨٤٦م - ٣٣٤هـ/٩٤٥م)[١]، وظهر العديد من الدويلات المستقلة عن بلاط الخلافة ، كالدولة الطولونية ، والطاهرية ، والصفارية ، والأخشيدية ، والفاطمية ، وغيرها كثير في اجزاء عديدة من العالم الإسلامي . وصارت بلاد جرش ضمن سلطة الدولة الطولونية في مصر من عام (٢٥٤هـ/٨٦٨م - ٢٩٣هـ/٩٠٥م) ، ثم عاد أمرها للعباسيين في العراق من سنة (٢٩٣هـ/٩٠٥م - ٣٣٠هـ/٩٠٥م) ، ولكنها عادت إلى نفوذ حكام مصر في العهدين الأخشيدي والفاطمي . وإن كانت بلاد جرش (عسير) تبعت تلك الحكومات البعيدة في العراق أو مصر ، فلم تكن تبعيتها إلا صورية فقط ، كالاعتراف باسم الخليفة أو الحاكم في مصر أو العراق ، وأحياناً ربما يدفعون الجبايات لموظفي تلك الحكومات ، والذين كانوا يقيمون في حواضر الحجاز أو اليمن الكبرى ، ويرسلون من قبلهم من يجبي الزكاة من أهل جرش وغيرهم من السكان في الأجزاء السروية والتهامية بين الحجاز واليمن ، أما الادارة الفعلية لشئون أهل جرش وغيرهم من السكان في البلاد الواقعة بين الحجاز واليمن فكانت بيد شيوخ ورؤساء القبائل من أهل المنطقة أنفسهم ، وما ذكر لنا الرحالة **ناصر خسرو** في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، عندما تحدث عن الأجزاء الواقعة بين الحجاز واليمن ، والتي تضم بلاد عسير ، فقال : « ... **وفي هذا الجزء قرى كثيرة وبوادي لا تدخل تحت الحصر ، وفي كل بادية حاكم لا يخضع لأي سلطة مركزية ، وتكثر في هذه النواحي السرقة ، والقتل والنهب** ... »[٢] وجاء بعد ناصر خسرو ابن المجاور ، فقال عن هذه البلاد أيضاً : « ... **أن بها قبائل من العرب ، ليس يحكم عليهم سلطان ، بل مشائخ منهم وفيهم بطون متفرقون** ... » ثم يقول : « **وجميع تلك المناطق قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، ثم ان كل قرية مقيمة بأهلها ، وكل فخذ أو بطن من البدو في قرية ..... ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير السن ، ذو عقل وفطنة ، فاذا حكم بأمر لم يشاركه ، ولا يخالفه أحد فيما يشير عليه ويحكم فيه** ... »[٣].

ومنذ عام (١٢١٥هـ/١٨٠٠م) دخلت عسير مرحلة جديدة من تاريخها ، عندما ظهر

(١) الدولة العباسية استمرت في الخلافة اكثر من خمسة قرون ، أي من (١٣٢هـ/٧٤٩م - ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) . وظهر في بعض فترات ذلك العصر ، عناصر مهيمنة على مركز الخلافة في العراق ، امثال : الاتراك ، والفرس والديالمة وغيرهم .

(٢) ناصر خسرو . سفر نامة ، رحلة ناصر خسرو ، ترجمة من الفارسية وقدم له ، احمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شئون المكتبات ، بجامعة الملك سعود ، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ١٤٢ .

(٣) جمال الدين يوسف بن المجاور . تاريخ المستبصر . تحقيق اوسكر لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١) جـ ١ ، ص ٢٦ .

فيها أحد أبنائها ، وهو محمد بن عامر المتحمي ، المعروف بـ (**أبي نقطة**)[1]، ثم وقف إلى جانب عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، أمير الدرعية ، الذي كان يحمل لواء الدعوة السلفية ، فحارب أمير عسير آنذاك ، وتم التغلب عليه ، ثم أعلن محمد بن عامر نفسه أميراً على عسير ، واتخذ قرية (**طبب**) إحدى قرى قبيلته ، عاصمة لإمارته ، واستمر في امارة بلاد عسير حتى عام (١٢١٧هـ/١٨٠٢م) ، ثم تلاه في الامارة أخوه عبدالوهاب بن عامر من (١٢١٧هـ/١٨٠٢م - ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م) ، ثم طامي بن شعيب (١٢٢٥هـ/١٨١٠م - ١٢٣٠هـ/١٨١٤م) ، ثم محمد بن أحمد المتحمي (١٢٣٠هـ/١٨١٤م - ١٢٣٣هـ/١٨١٧م) ، الذي انتهى عهده بضياع إمارته على عسير ، واستيلاء حاكم المخلاف السليماني (**الشريف حمود أبو مسمار**) عليها ، ولكن الوضع لم يدم طويلاً عندما قرر محمد علي باشا حاكم مصر القضاء على قاعدة التمرد بأبي عريش ، عاصمة المخلاف السليماني ، فأرسل حملة عام (١٢٣٤هـ/١٨١٨م) نجحت في الاستيلاء عليها ، كما استولت حملة أخرى على بلاد عسير ، وبالتالي صارت الديار العسيرية تحت الحكم العثماني من (١٢٣٤هـ/١٨١٨م حتى عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م) ، ثم ثار أحد أبناء عسير ، وهو سعيد بن مسلط على العثمانيين ، فطردهم وأعلن نفسه أميراً على البلاد ، واتخذ بلدة السقا عاصمة لإمارته من عام (١٢٣٨هـ/١٨٢٢م حتى ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م) ، ثم جاء من بعده الأمير علي بن مجثل (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م - ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م) ، فاتسعت الإمارة في عهده إلى المخلاف السليماني وظهران ونجران جنوباً ، وإلى بلاد غامد وزهران والقنفذة والليث شمالاً ، ثم حكم عسير من بعده عائض بن مرعي (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م - ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م) ، ثم ولده محمد بن عائض بن مرعي (١٢٧٣هـ/١٨٥٦م - ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) الذي قضي عليه من قبل الحكم العثماني ، وبعد ذلك صارت عسير تحكم حكماً عسكرياً عثمانياً مباشراً من عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م حتى ١٣٣٧هـ/١٩١٨م) متخذين من مدينة أبها مركزاً لادارتهم[2].

وبهذا قضى العثمانيون في حكم بلاد عسير ، حوالي سبعاً وأربعين سنة ، تميز فيها حكمهم بعدم الاستقرار ، وقيام الثورات ، والاضطرابات الأولى ، ثم انسحابهم من عسير ، وترك الحكم بها للأمراء المحليين من أسرة آل عائض ، حتى جاء الامام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود سنة (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) فضم بلاد عسير إلى دولته ، وصارت بعد ذلك جزءاً من المملكة العربية السعودية .

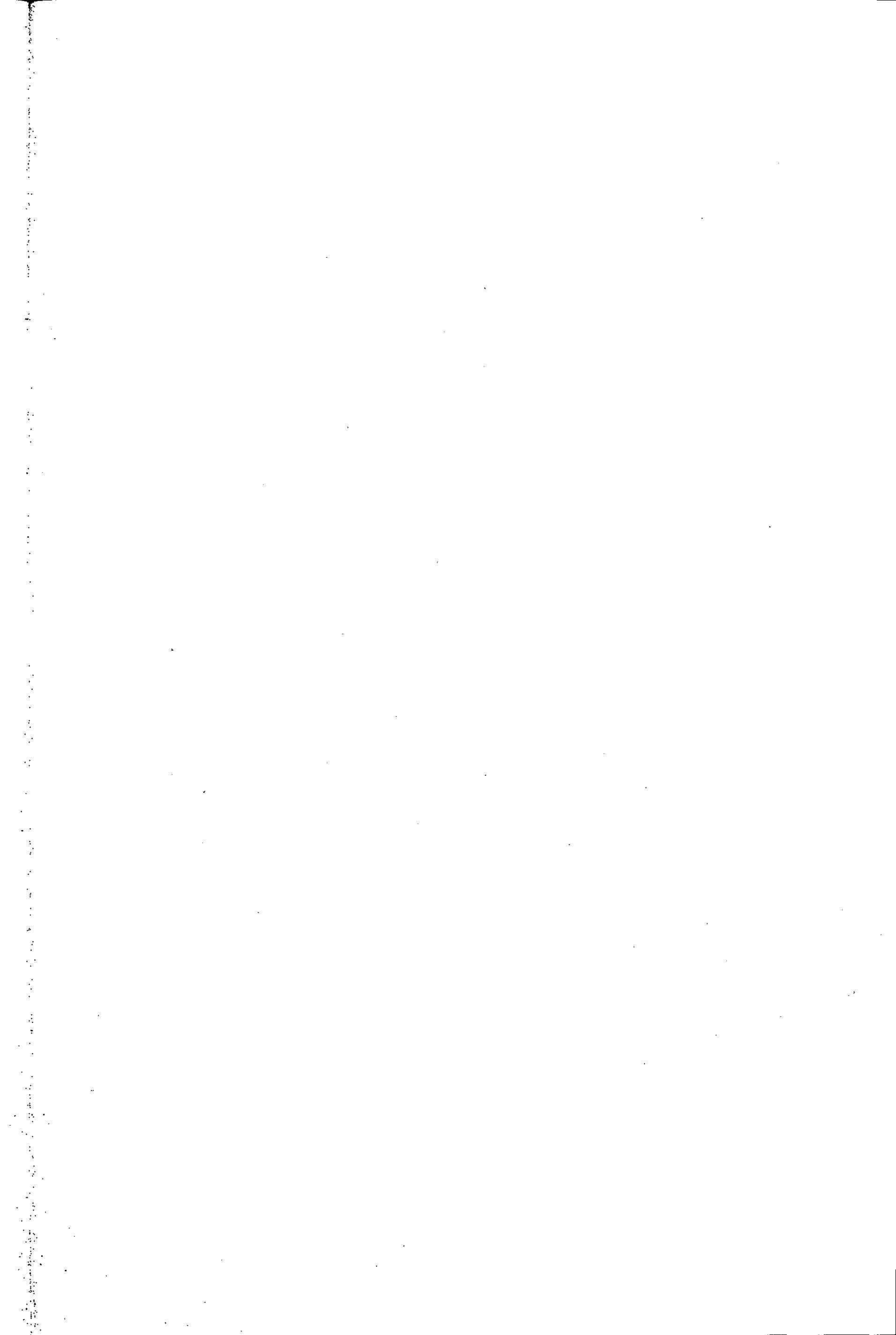
---

(١) وفد محمد بن عامر واخوه عبدالوهاب آل المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة ، احد قبائل سراة عسير ، إلى الدرعية ، مركز الدعوة السلفية ، التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، رغبة منهما في طلب العلم والدعوة إلى الله لإخراج الناس مما كانوا فيه من فتن وفوضى وصراعات قبلية ، إلى أمة واحدة يسودها الأمن والرخاء والطمأنينة ، انظر ، محمد بن أحمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٥٢٨ .

(٢) للمزيد من التوضيحات عن تاريخ عسير السياسي خلال القرنين الماضيين ، انظر . الجميعي ، عسير ، ص ٣٧ وما بعدها ، عسيري ، عسير ص ١٢١ وما بعدها ، ابن جريس ، صفحات من تاريخ عسير ، جـ ١ ، ص ١٥ وما بعدها ، محمد بن عبدالله آل زلفه . دراسات من تاريخ عسير الحديث (الرياض : مطابع الشريف ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ١١ ومابعدها ، عصام ضياء الدين السيد . عسير في العلاقات السياسية السعودية (١٣٣٨هـ/١٣٥٣هـ - ١٩١٩م/١٩٣٤م) القاهرة : دار الزهراء ، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص ٣٣ وما بعدها .

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية



الفصل الثاني :

الحياة الاجتماعية

١ ـ المجتمع والأسرة

٢ ـ المباني بأنواعها

٣ ـ الأطعمة والأشربة

٤ ـ الألبسة والزينة

٥ ـ عادات الأعياد ، والزواج ، والختان ، والمآتم

أ ـ الأعياد

ب ـ الزواج

جـ ـ الختان

د ـ المآتم

٦ ـ القوانين العرفية

٧ ـ عادات وتقاليد أخرى

أ ـ التعاون

ب ـ الكرم واستقبال الضيوف

جـ ـ الشجاعة

د ـ الصلح

هـ ـ عادة اعطاء الوجه أو الجوار .

و ـ عادة توديع واستقبال المسافر .

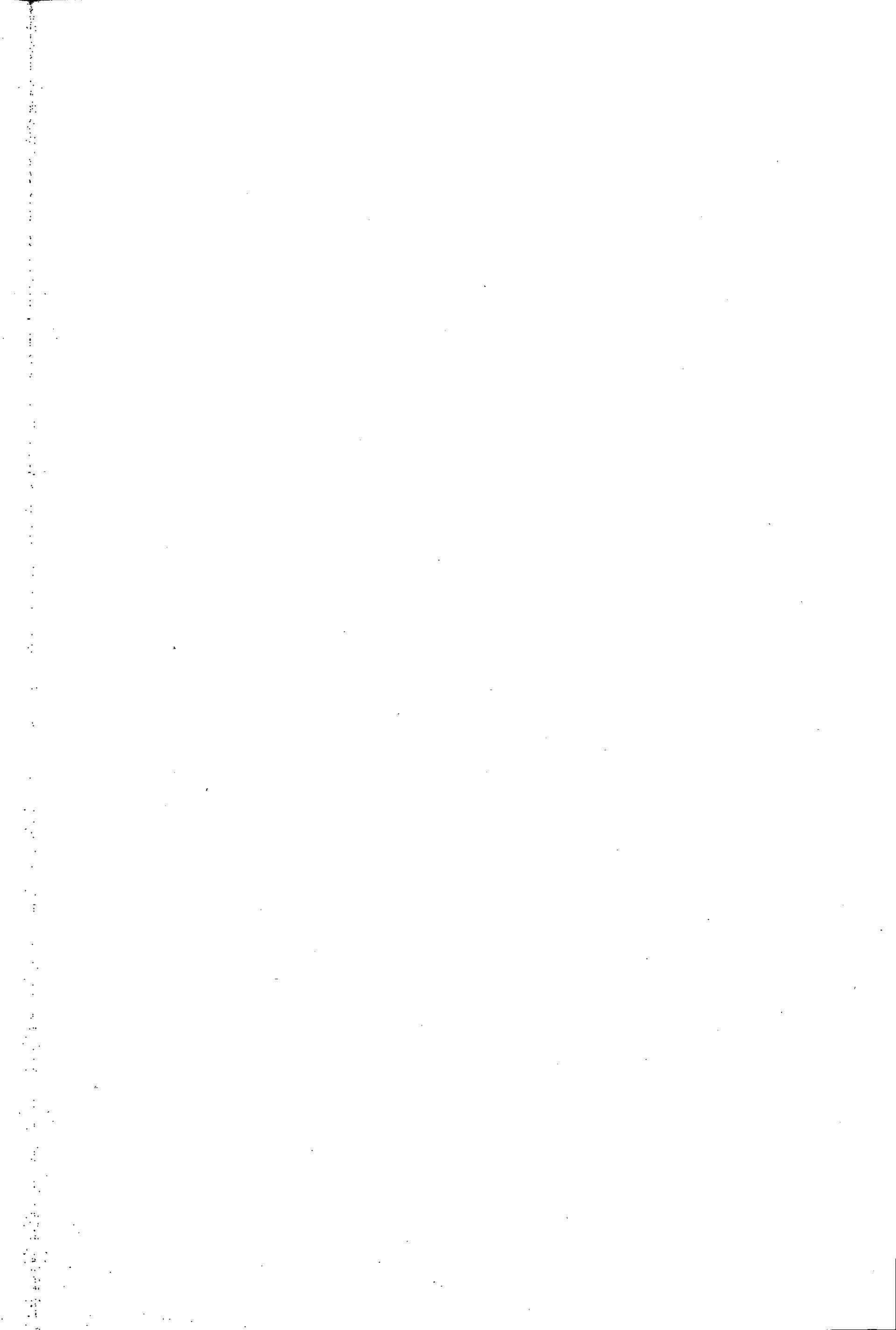
ز ـ تبادل الأخبار .

حـ ـ عادة السموة أو (السماية)

٨ ـ المجالس العلمية والاجتماعية

٩ ـ الطب والتطبيب

١٠ ـ الألعاب الرياضية ووسائل التسلية



الحياة الاجتماعية

١ - المجتمع والأسرة :

إن السواد الأعظم في المجتمع العسيري من القبائل العربية (**سواء كانت عدنانية أم قحطانية**) امتزج بعضهم مع بعض منذ عهود ما قبل الإسلام ، وبخاصة عندما كانت هجرات القبائل في ذهاب وإياب داخل وخارج شبه الجزيرة العربية ، ويوم كان يخرج من اليمن أعداد كثيرة من العشائر التي تبحث عن الماء والكلأ والمواطن الجديدة ، كانت بلاد عسير من الديار التي استوطنتها بعض تلك القبائل اليمانية المهاجرة ، ثم اختلطت وعاشت مع كل من يعيش فيها من العدنانيين وغيرهم ، واستمرت هكذا على مر العصور الإسلامية ، حتى نشطت الدول الغربية خلال القرون المتأخرة الماضية ، وصارت أساطيلها وسفنها الحربية والتجارية تستخدم موانىء البحر الأحمر ، وتعمل في تجارة الرقيق ، فنتج عن ذلك تصديرهم من أفريقيا ، ومن أطراف أخرى من العالم إلى شبه الجزيرة العربية . ولم تكن تعدم بلاد عسير من قدوم أعداد من الرقيق إليها ، ثم البقاء فيها حتى تم إعتاقهم في العقود المتأخرة الماضية ، أيضا قدوم العثمانيين إلى جزير العرب ، ثم إقامتهم بها عقوداً عديدة ، أدى إلى اندماج بعضهم مع بعض أهل البلاد عن طريق المصاهرة ، أو الموالاة ، وصاروا بعدئذ من أفراد المجتمع العسيري . ومنذ أواخر القرن الماضي ، وبعد تدفق البترول في المملكة العربية السعودية ، وتحسن الأحوال الاقتصادية بها ، صار يفد إلى أنحاء البلاد السعودية ، بما فيها بلاد عسير ، العديد من الجنسيات المختلفة ، سواء كانت من دول عربية إسلامية ، أو من دول غير إسلامية ، للعمل بها بعض الوقت ، لتحسين أوضاعهم الاقتصادية ، ثم الرجوع إلى مقر أقامتهم الرئيسية في أوطانهم الأساسية .

والطابع الذي يغلب على مجتمع إقليم عسير ، هو الطابع القبلي ، لأن جل ساكنيه عبارة عن قبائل وعشائر وبطون مختلفة ، يرأس كل عشيرة أو قبيلة منها شيخٌ أو نائبٌ يتم اختياره من بينهم ، وفي العادة يكون هذا الشيخ المختار ممن عرف عنهم الفطنة والحنكة ، ومعالجة الأمور بطرق حكيمة . ومما استطعنا الاطلاع عليه من الوثائق المحلية ، سواء في الأجزاء السروية أو التهامية من بلاد عسير ، لاحظنا أن شيخ القبيلة ، أو نائبها ، أو عريفها ، أو أميرها (**وهذه أسماء تختلف من مكان لآخر**) يتم اختياره بمشورة وإجماع من أعيان ووجهاء القبيلة أو العشيرة التي يراد أن يكون مسئولاً عنها . ومن نصوص أغلب الوثائق

أنهم يكتبون وثيقة عبارة عن اتفاق يوضحون فيها بعض محاسن الشيخ أو العريف المختار ، ثم يذكرون أنهم اختاروه بمحض ارادتهم ، وفي بعض الأحيان ترفع مثل هذه الاتفاقيات إلى الحاكم الإدارى في البلاد للتصديق على ما ورد بها ، وسواء رفعت أم لم ترفع إلى الحاكم الإدارى أو بعض الجهات الحكومية المسئولة ، يبقى منها نسخة عند الشخص المختار ليحتفظ بها ، وتكون شهادة له تبين اختياره برغبة أفراد عشيرته أو قبيلته[١].

وليست مهمة شيخ القبيلة أو عريفها أن يترأس على أفراد عشيرته فقط ، دون القيام ببعض المهام التي تساعد على حفظ الأمن في البلاد ، فهو يحرص دائماً على حل مشاكل أفراد قبيلته ، ويكون حلقة وصل بين الإدارة الحاكمة في البلاد وبين أفراد العشائر التي هو رئيس عليهم ، فعندما يحدث في القبيلة حادثة ما ، فالحاكم الإدارى يكلفه ببحثها ، فان استطاع معالجتها فعل ، وإن لم يستطع رفعها إلى الحاكم الإدارى ، الذي يحيلها بدوره إلى الشرع وحينئذ يعتبر حكمه الفصل[٢].

وإذا كان المجتمع العسيري يغلب عليه التشكيل القبلي ، كما يغلب على بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية ، فالقبائل أو العشائر ومواطنهم تتكون من قرى ومنازل مختلفة ، والقاسم المشترك في هذا كله ، أنهم يتكونون في الأساس من أفراد وأسر تتفاوت في الكبر والصغر ، ولكن الغالب على نظام الأسرة في اقليم عسير خلال القرون الماضية ، أن جميع أفرادها يعيشون في بيت واحد ، يبدأ بالجد ان كان موجودا وينتهي بالأبناء والبنات والزوجات والأحفاد ، وتقوم حياتهم على أساس الترابط والتعاون في ممارسة أعمالهم وكسب عيشهم من خلال المهن التي يمارسونها ، سواء كانت رعيا ، أو صيداً ، أو زراعة ، أو تجارة ، أو غيرها[٣].

وكون لكل قبيلة أو عشيرة من إقليم عسير شيخ . أو نائب ، أو عريف ، فإن لكل أسرة أيضا رئيسا ، أو ما يسمى بـ (**كبير الأسرة**) ، وأحياناً يطلق عليه في لهجة أهل البلاد العامية اسم (**الشائب**) ، وجميع أفراد الأسرة ، رجالاً ونساءً ، بنين وبنات ، وزوجات أبناء وأحفاد يأتمرون بأمره ، فالنساء مثلاً ، لا يخرجن لزيارة أهلهن إلا بعد استئذان كبير

---

(١) للمزيد من التفصيل ، انظر . ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٥ ـ ٢٤ ، ولنفس المؤلف ، انظر ، صفحات من تاريخ عسير ، جـ ١ ، ص ١٤٧ ـ ١٨١ . كما يوجد لدى الباحث العديد من الوثائق التي تؤكد صحة ما ذكر ، وأرقامها ضمن أوراقه هي (٩٠، ١٠٧، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢١٢، ٢١٣، ٢٥٢ ، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٨، ٢٨٠) .

(٢) وهذه الطريقة تبلورت بشكل واضح في عهد الحكومة السعودية الحالية ، أما في العقود السابقة لذلك ، فالحروب كانت قائمة ، والفوضى والصراعات كانت ضارية أطنابها ، ولم يكن هناك قوة ادارية حاكمة (بالمعنى الصحيح) تستطيع أن تردع الظالم وتعطي المظلوم حقه ، وبخاصة في عهد الحكم العثماني ، وفي فترات أخرى متقطعة من القرنين الماضيين . مع العلم أن بعض عرفاء او شيوخ القبائل كانوا يبذلون ما في وسعهم لحل مشاكل أفراد عشائرهم ، ولكن أحياناً يعجزون لعدم وجود ادارة حكومية قوية تساندهم فتنصر المظلوم وتعاقب الظالم .

(٣) تجلى هذا الترابط والعيش بين افراد الأسرة الواحدة ، وبشكل واضح وملموس في العهود السابقة . أما في وقتنا الحاضر ، فاصبحت هذه العادات شبه معدومة ، فلم يعد يوجد ذلك الترابط القوي ، وأصبح أفراد العائلة الواحدة متفرقين في أماكن مختلفة من البلاد ، وإن كانوا في مكان واحد ، فكل واحد منهم أصبح يسكن بمفرده ، حتى أنك تجد في أكثر الأحيان ، الجد والجدة أو الأب والأم يسكنان بمفردهما في منزلهما القديم ، في حين أن أولادهم وأحفادهم بنوا المنازل الجديدة ، وصاروا يسكنون فيها مع زوجاتهم واولادهم . وذلك نتيجة للتحسن الاقتصادي الذي نتج عن توفر المال والخيرات في أيدي الناس . وهذا فضل من الله ، ويجب علينا الشكر لله ، ثم التمسك بعاداتنا الحسنة ، وما حثنا عليه ديننا ، وهو الترابط ، والتآزر ، والتآلف ، والتعاون فيما بيننا ، فيعطف كبيرنا على صغيرنا ، ويحترم صغيرنا كبيرنا .

الأسرة . وأحياناً يكون هذا الاذن صعب المنال ، وإذا حصل الإذن فالعودة إلى الدار قبل الغروب من أوجب الواجبات . والرجال من الأبناء فضلاً عن الأحفاد لا يجوز أن يذهبوا إلى تلبية دعوة أو يتغيبوا عن المنزل ، في الأوقات المفروض تواجدهم فيها ، إلا بإذن مسبق من رئيس الأسرة ، الذي كان يأمر فيطاع . وبالإجمال فكل أمور الأسرة بيد رئيسها ، فهو الذي يقطع في أمر تزويج البنات والأولاد ، وفي كل ما يتعلق بشئون الاسرة ، وليس هناك من يفكر في التمرد على هذا النظام ، وإذا كان هناك رغبة خاصة فيجب التلطف في الوصول إليها ، إما بالكلام اللين ، أو توسيط أحد الأصدقاء المقربين إليه .

وكان رئيس الأسرةُ ، في إقليم عسير ، إذا كان جداً أو أباً ، هو المكلف بالإنفاق على أفراد أسرته ، وكسوتهم ، واقامة أفراحهم ، وتجهيز من يتزوج من البنات ، ودفع مهور من يتزوج من الأولاد ، والإنفاق على حفلات الزواج والختان ، وكان الأولاد جميعا يعملون في كنف الأب ، ولمصلحة الأسرة ، وإذا توفى رئيس الأسرة هذا ، فربما انفرد الأبناء كل منهم بحياته وعمله الخاص ، ولكن يصبح أكبر الأبناء رئيساً للأسرة ، يبت في الأمور الكبيرة ، كالزواج ، وما شابه ذلك من الأوضاع التي تخص العائلة ككل ، ومع انفراد كل رجل في الأسرة بخصوصياته ، إلا أنه يبقى لرئيس العائلة مهابتـه ، فالكـل يراعي تقـديره واحترامه ، وخاصة إذا كانت الأسرة تسكن في بيت واحد كما أسلفنا[١].

٢ ـ المباني بأنواعها :

تختلف وتتنوع الأبنية في منطقة عسير من مكان لآخر ، وهذا الاختلاف يعود إلى إمكانات أهلها ، وإلى طبيعة إقليم عسير ذات التباين الواضح في التضاريس ، فهناك المنازل التي تسكنها الأسر ، وما يتبع تلك المنازل من مرافق وخدمات ، وهناك أيضا أبنية أخرى مثل المدرجات الزراعية ، أو بناء الآبار ، أو أسوار حول القرى أو بعض الأحمية ، أو بناء للقبور وبعض المقابر .

وقبل الحديث بالتفصيل عن بناء البيوت خلال القرون المتأخرة الماضية ، نتعرض بالإشارة إلى القرية أو القرى المكونة في الأساس من المنازل المتعددة . ومن يلقي نظرة سريعة على القرى القديمة في طول وعرض بلاد عسير ، سواء في الأجزاء السروية أو التهامية ، يلاحظ عدة أمور منها :

(١) تراكم منازل القرية الواحدة بعضها فوق بعض مع وجود ممرات ضيقة جداً توصل بعضها ببعض ، وهذا التخطيط في اندماج وتقارب بيوت سكان القرية ، ربما كان ناتجا من الخوف الذي كان يسود الناس في الماضي ، لما كان هناك من سلب ونهب وفوضى وحروب قبلية ، ولهذا فأفراد القبيلة أو القرية الواحدة ، لابد أن يكونوا متقاربين في مساكنهم حتى يتكاتفوا في صد أي عدو خارجي يهاجم مضاربهم[١].

---

(١) مع التطور الحضاري الذي تعيشه البلاد العسيرية في الوقت الحاضر ، زاد تفرق وسفر الكثير من افراد الأسرة الواحدة ، وتوسع الناس في مساكنهم . وبالتالي ضعفت الروابط بين افراد الأسرة ، ولم يصبح لكبير العائلة إلا الاسم ، اما النفوذ الذي كان يمارسه الأوائل على افراد اسرهم ، فلم يعد كما كان .

(٢) يظهر على العديد من القرى القديمة أنها توجد حول المناطق الزراعية ، أو بعض الأماكن الرعوية المتوفر فيها الماء والكلأ ، أو أنها توجد حول أسواق تجارية أسبوعية مرتبطة بالعديد من الطرق التجارية البرية ، أو على مقربة من سواحل البحر الأحمر ، وبخاصة في الأماكن الصالحة لمرسى السفن التجارية[١]. وبهذا فموقع القرى في عسير كان متأثراً بالحياة المعيشية ، وبما يعود على أفراد القرية أو العشيرة الواحدة من دخل وتحسين لمستوى معيشتهم ، وممارسة لمهنهم التي يقتاتون منها[٢].

ومحاولة لمعرفة مقدار حجم القرية في عسير ، خلال القرون الماضية ، فلم نجد مصادر توضح لنا ذلك من حيث مساحتها ، وعدد المنازل في القرية الواحدة . وقد إستطعنا العثور على بعض الروايات المتناثرة في بعض المصادر ، فالرحالة **تاميزية (Tamisier)** الذي قدم إلى بلاد عسير ، مع قوات محمد علي باشا في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري أشار إلى بعض المواقع العسيرية ، وعدد قراها ، فقال عن بيشة : « ... **وفيها نحو ستين قرية أكبرها نمران ، والروشن الكبير ، والروشن الصغير . وهذه القرية مبنية بالطين ، ويستعمل أهلها للبناء جذوع النخل ، ويدخل الناس إليها من بابين أو ثلاثة أبواب ، تقفل في أيام الحرب ، وحيطان بيوتها متلاحمة ، فهي مثل السور في وجه العدو ، وليس لها سوى طابق واحد** ... »[٣]. ثم يواصل هذا الرحالة حديثه بإيجاز عن قرى خميس مشيط ، وحجلا ، وأبها[٤]، لكنه لم يفدنا كثيراً في توضيح بعض التفصيلات عن هيئة القرى وطرق تخطيطها ، بقدر ما ذكر عن عدد الأدوار في كل قرية ، ونوعية المواد المستخدمة في البناء . ويأتي رحالة انجليزي آخر إلى بلاد عسير ، قبل الحرب العالمية الأولى ، فيشير إلى مواقع عديدة ، مثل صبيا ، وأبو عريش ، والنماص ، وقرية الشعبين في بلدة رجال ألمع ، وسراة عبيدة ، والظفير في بلاد غامد ، ثم يصف طبيعة المنازل في تلك الأماكن ، والطرق والمواد المستخدمة في عملية البناء[٥]. والجيد في ملاحظات هذا الرحالة أنه ذكر عدد المنازل في بعض تلك المواقع ، فقال عن قرية الظفير : « **هي قرية كبير وفيها حوالي (٤٠٠) بيت من الحجر .. وهي بلدة السوق الرئيسي** »[٦]. ثم أشار إلى

---

(١) وهناك العديد من المراكز الحضارية في اقليم عسير ، وبعضها يقع على ساحل البحر ، والبعض الآخر يقع إلى الداخل اما في الأجزاء التهامية أو السروية ، ومن تلك المراكز القنفذة ، حلي ، القحمة ، البرك ، صبيا ، جازان ، محائل ، رجال ألمع ، ابها ، خميس مشيط ، سراة عبيدة ، بيشة ، الباحة ، باشوت ، النماص ، سبت العلاية ، ظهران الجنوب .

(٢) مشاهدات وانطباعات الباحث في بلاد عسير خلال عامي ١٤١٢هـ/١٤١٣هـ .

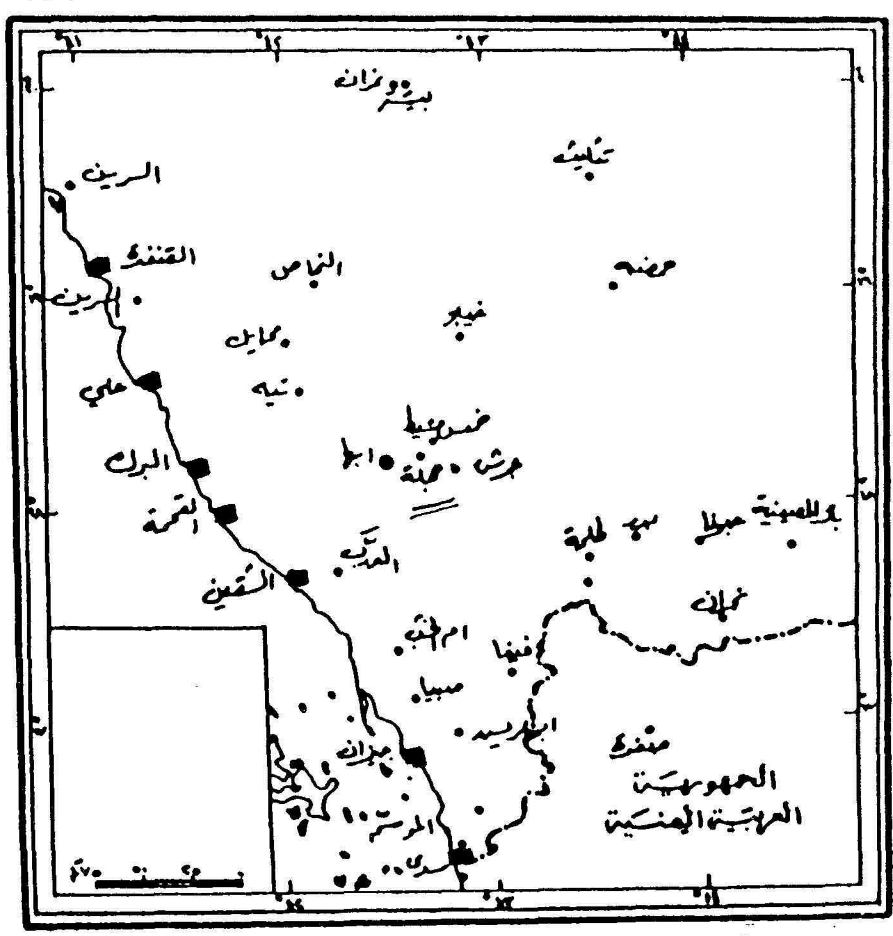
(٣) انظر ، « رحلة تاميزيه إلى الجزيرة العربية » ترجمة يوسف شلحد . مجلة العرب ، جـ ٩ - ١٠ (س ٢٤ ، الربيعان ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ص ٦٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٦٢ - ٦٧١ .

(٥) Sir Kinahan Cornwalls. Asir Before World War.I. Ahandbook (New York, 1976) PP.32 ff.

(٦) المصدر نفسه P.45.

خارطة رقم (٢)



خارطة توضيحية لأهم المراكز الحضارية والموانىء في عسير .

قرى أخرى ، كالنماص التي تتألف من أربعمائة بيت مبنية من الحجر[١]، والشعبين من ثلاثمائة بيت[٢]، وقرية رجال من حوالي ألف بيت[٣]، وسراة عبيدة من مائتي بيت مبنية من الحجر الآجر[٤]، وعند ذكره لسراة عبيدة ، قال عن أهلها : « ... **وقراهم عديدة ، ومبنية جيداً ، وهم متخصصون في البناء - أي كبنائين - يروجون تجارتهم في عسير ...** »[٥].

---

(١) المصدر نفسه . P.49

(٢) المصدر نفسه . P.60

(٣) المصدر نفسه . PP.60-1

(٤) المصدر نفسه . PP.75-6

(٥) المصدر نفسه . PP.75-6 . وللمزيد من التفصيلات والمعلومات عن بعض القرى في عسير ، وعدد سكان بعض الأجزاء ، انظر كتاب هذا الرحالة الانجليزي S.K.Cornwalls PP.32-78

ويشير سليمان شفيق باشا الكمالي(١) ، إلى طبيعة المنازل والقرى في أبها ، فيذكر أنها كانت تتألف من ثلاث قرى منفصلة ، وفي كل قرية سبعون أو ثمانون منزلا (٢). ويتعرض أيضا إلى وصف بعض القرى الواقعة في أجزاء من بلاد شهران ، كتمنية ، والقرعاء ، والمسقي وما حولها ، فيقول : « ... **وقرى هذه الجهات مبنية بالحجارة ، وفيها أزقة ضيقة ، ومنازل متصلة ، بحيث تشبه القرية بمجموعها قلعة قائمة بذاتها ، ومنازل القرى ذات طابقين أو ثلاثة طوابق ، وهي مطلية من داخلها بالجير وذات منظر جميل** »(٣). كما أشار إلى أماكن أخرى في الأجزاء السروية ، مثل : خميش مشيط ، وتنومة والنماص ببلاد بني شهر ، فلم تكن تختلف تلك القرى في تخطيطها وطرق بنائها ، عما سبق الإشارة اليه عن أبها أو قرى تمنية والقرعاء(٤).

ويعاصر الشريف البركاتي كل من الرحالة الإنجليزي كورنواليس (Cornwalls) ، وسليمان شفيق باشا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، فيصف بعض القرى العسيرية في كل من الأجزاء التهامية والسروية ، ويتحدث عن بلاد بارق فيقول : « ... **وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل ، والدور فيها من طابقين إلى ثلاثة** ... » (٥) . وينتقل إلى الحديث عن بلدة القنفدة : « .. **وهذه المدينة ثلثها مبني بالأحجار ، والثلثان الباقيان أكواخ مصنوعة من جريد النخل ، وخشب أشجار السمر والطرفاء ، ولهم فيها صناعات جميلة واعتناء تام حتى انها تمكث ثلاثين سنة تقريبا ، وأغلب البيوت المبنية بالأحجار طبقة واحدة ، عدا محلات الحكومة والأغنياء من التجار فبيوتهم طبقتان** ... »(٦). ويصف بعض القرى في الأجزاء السروية مثل أبها ، وخميش مشيط ، وبيشة وما حولها ، فيتفق مع السيركيناهان كورنواليس (S.K.Cornwalls) وسليمان باشا من حيث ضيق وتراكم منازل القرية بعضها على بعض ، ومن حيث ارتفاع المنازل وعدد أدوارها(٧).

وفي أواخر القرن الهجري الماضي يصف أحد أبناء البلاد العسيرية القرى والمنازل في إقليم عسير ، فلا يذهب بعيداً عما ذكر المؤلفون السابقون الذكر ، لكنه أضاف تفصيلات

---

(١) سليمان شفيق باشا كان متصرف عسير من عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م - ١٣٣١هـ/١٩١٢م) ، وقائد حامية أبها . وقد حاصر الإدريسي ابها ، وكاد يستولي عليها أثناء متصرفيته . وبعد أن انتهى من عسير انتقل إلى سوريا ، ثم اصبح والي البصرة ، وقائد الفيلق العثماني فيها عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) ، وأخيرا تسلم وزارة الحربية . انظر ، مذكرات سليمان شفيق باشا ، جمع وتحقيق ، محمد بن احمد العقيلي (أبها : النادي الأدبي ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ، عبدالله سالم القحطاني . موجز تاريخ وأحوال منطقة عسير ، ١٢١٥ - ١٣٤١هـ (الرياض ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .

(٢) القحطاني ، موجز ، ص ١١٤ .

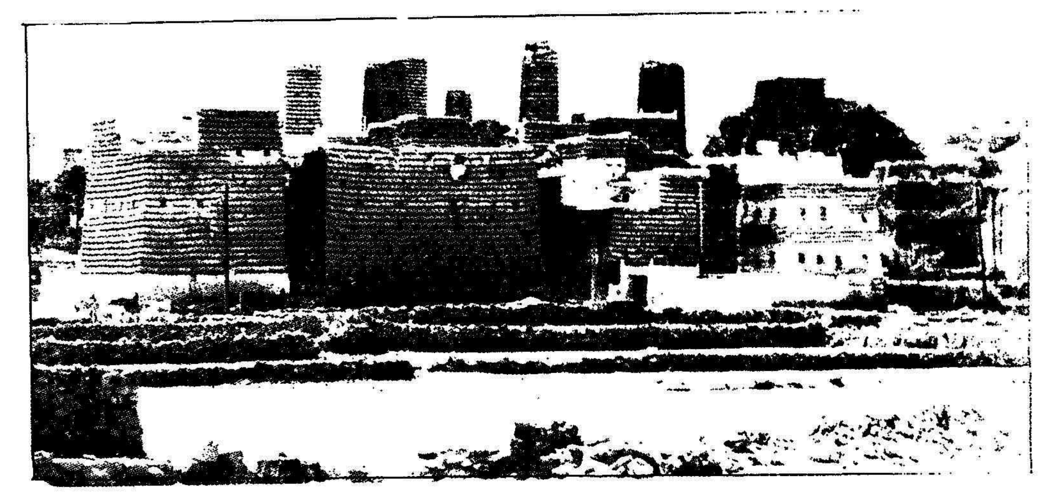
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٦ ، انظر أيضا ، العارف ، أضواء ، ٦٠ - ٦٢ .

(٤) القحطاني ، موجز ، ص ٢٦٣ (نقلاً عن مذكرات سليمان شفيق باشا) .

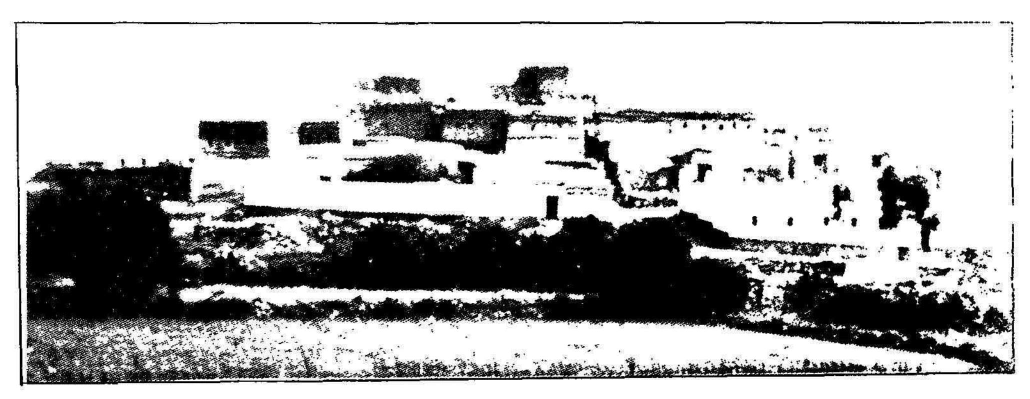
(٥) شرف بن عبدالمحسن البركاتي ، الرحلة اليمانية (بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٣٨٤هـ) ، ص ٧٨ ومن خلال حديثه عن القرى في بلاد بارق نلاحظ إعجابه بالبيوت وحسن شكلها .

(٦) البركاتي ، الرحلة ، ص ٤٦ .

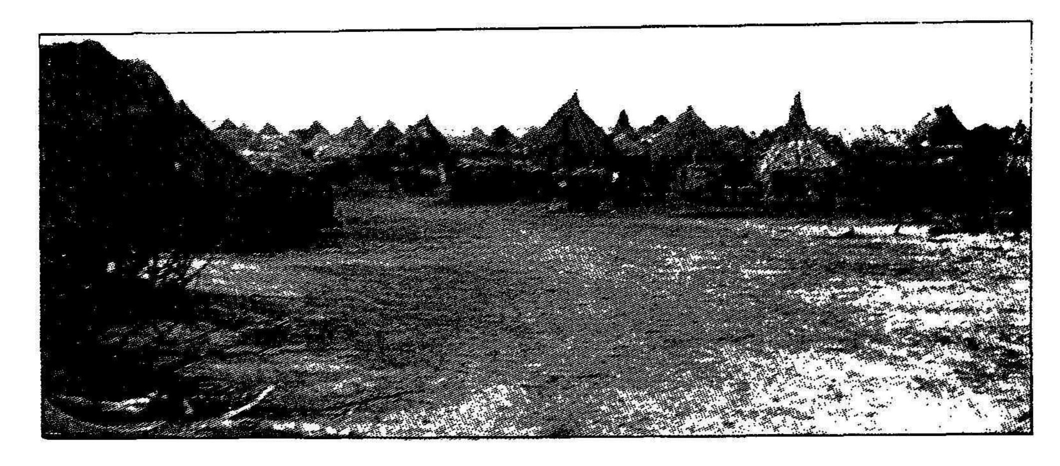
(٧) المرجع نفسه ، ص ١٣٢ .



شكل رقم (١)   نموذج من القرى العسيرية المبنية من الطين و الحجر



شكل رقم (٢) : منظر لقرية عسيرية مبنية من الحجر ومطلية بالجص أو الأسمنت



شكل رقم (٣)   صورة لاحدى القرى العسيرية التهامية المبنية من القش و الأخشاب

أكثر عن بعض القرى [1]، مثل بلدة النماص وما حولها من القرى فقال : « ... **ويحيط بالنماص حوالي ثلاثين قرية ، أبعدها لا تزيد مسافتها عن ساعة واحدة ... ويلاحظ وجود قلاع وحصون منيعة في معظم القرى الواقعة في منطقة النماص . وطريقة البناء في كل المنطقة بالحجارة ، فلا ترى بيتاً باللبن أو بالطوب ، بل جميع هذه الحجارة ماعدا بعض البيوت الواقعة في بلاد بني الأحمر (بللحمر) فان أسفلها بالحجارة ، وأعلاها باللبن ، كما أن متانة البناء وقوته في بيوت النماص وما جاورها من القرى مدهشة وعجيبة في نفس الوقت . إذ أنهم يستعملون في بنيانها صخوراً كبيرة قل أن يحمل الصخرة الواحدة خمسة من الرجال ، بل ربما كانت أكثر قوة وصلابة وحجماً ، وتبدو قوة البناء ومتانته في القصور الخاصة بآل العسبلي ، فهي آية في القوة والمتانة وسمك البناء ، ولقد ذرعت بعض الصخور التي وضعت في إحدى هذه القصور ، فوجدت عرضها لا يقل عن متر وطولها حوالي مترين ، كما أنني لاحظت أن سمك البناء في بعض تلك القصور يزيد عن المترين . وإن قل فمتر ونصف وتتألف هذه القصور من عدة حجرات وغرف واسعة ، ويبلغ ارتفاع بعض هذه القصور حوالي عشرة أمتار ، تتألف من أربعة وخمسة أدوار** ... » [2].

ومن يتجول في أنحاء بلاد عسير (**تهامة وسراة**) يجد أن الكثير من القرى التي أشار اليها الكتّاب السابقون وغيرها ، لازال ماثلاً للعيان ، وأغلب المنازل القديمة بها لم يعد يستخدم ، وانما هجرها أهلها وبنوا لهم دوراً جديدة ، جل موادها من الخرسانة المسلحة . وبالتالي ظهر هناك العديد من القرى الحديثة في نمط عمارتها ، وصارت تقام جنباً الى جنب مع القرى القديمة [3].

- البيوت ومرافقها :

جميع القبائل والعشائر في عسير تمتلك قرى ومضارب للاستيطان ، ولكن بناء منازلهم اختلفت من مكان لآخر ، والاختلاف ناتج من التباين التضاريسي الموجود في البلاد وكذلك عن اختلاف الأحوال الجوية . وإمكانات الحصول على المواد المستخدمة في البناء تختلف أيضا من جزء لآخر . ولكي نطلع القارىء الكريم على طبيعة البيوت ومرافقها رأينا أن ندرس المنطقة على ثلاثة محاور . المحور الأول ويشمل الجزء الأوسط ، أو ما يسمى

---

(١) انظر ، الألمعي ، رحلات في عسير ، ص ٦٦ ، ٧٧ - ٨٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، انظر أيضا ، ابن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ٧٥ - ٧٧ .

(٣) ويلاحظ أن القرى في اقليم عسير كثيرة جدا ، وخاصة إذا ما قورنت بأجزاء أخرى من المملكة العربية السعودية . وقد أجريت دراسات حديثة على عدد قرى وهجر عسير في عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) فوجد أنها تبلغ حوالي (٢٩٦٣) . وهي موزعة على الشكل التالي (٢٤٢٨) قرية وهجرة ، أي (٨٢٪) . و (٤٨١) قرية وهجرة متوسطة الحجم ، أي (١٦٪) . و (٥٤) قرية كبيرة الحجم ، أي (٢٪) . وبعض تلك الدراسات رأت أن كثرة عدد قرى منطقة عسير أدى إلى انخفاض متوسط عدد سكانها ، وبخاصة إذا ما قورنت مع متوسط عدد سكان قرى المملكة . للمزيد من التفصيلات ، انظر . وزارة الشئون البلدية والقروية عام (١٩٨٤م) ، المسح الاقتصادي والاجتماعي الشامل لقرى وهجر المملكة ، التقرير الثاني ، منطقة عسير ، مكتب العسيلان الاستشاري Othman al.Rawaf. Policies. and Programs of Rural Development in Saudi Arabia:
A: Presentation and Evaluation, Research Center, College of Administration Sciences, King Saud Univ. Riyadh. (1987).

بالأجزاء السروية . والمحوران الآخران هما : الأجزاء التهامية الغربية من المحور الأول ، والأجزاء النجدية البدوية الواقعة إلى الشرق من الأجزاء السروية .

فأما الأجزاء السروية الممتدة من نجران جنوباً إلى زهران شمالاً ، فيوجد بها العدد الأكبر من القرى والمنازل والسكان ، إلى جانب أن معظم البيوت ومرافقها بهذا الجزء مبنية من الحجارة[1]. ولازلنا نشاهد مئات القرى وآلاف البيوت ماثلة للعيان حتى يومنا الحاضر[2] . وبهذا الجزء بعض البيوت مبنية من الطين ، أو جزء يبنى من الطين والجزء الآخر من الحجر فبلاد قحطان وشهران وأجزاء من رجال الحجر ، تجد أن بعض الأسر كانت تبني منازلها من الطين ، أو أنها تؤسس للبيت بجدار من الحجارة يرتفع عن الأرض من متر إلى مترين ، ثم يواصل بناء البيت كاملاً بالطين . وربما كانوا يلجأون إلى استخدام الطين لسهولة جمعه وتجهيزه ، وبخاصة إذا ما قورن مع عملية احضار وتجهيز الحجارة . أو أن المناطق التي تستخدم فيها الطين بالأجزاء الجبلية السروية ، ربما عائد إلى ندرة الحجارة الجيدة الصالحة للبناء ، والملاحظ أن الأطراف الجنوبية السروية من الإقليم العسيري أقل احتواء على الحجارة ، خصوصاً إذا ما قورنت تلك الأجزاء بالنواحي الشمالية في المنطقة نفسها . وكثيراً ما نجد الحجارة مستخدمة في البناء ببلاد زهران وغامد ، وبلقرن وشمران وخثعم ، وبني عمرو وبني شهر وبللسمر وما حولهم . وعندما نتجه نحو الجنوب إلى بلاد بللحمر ، وقبائل عسير الرئيسية ، وبلاد شهران وقحطان نجد كثيراً من المنازل ومرافقها مبنية من الطين ، أو الحجر ، أو منهما معاً[3].

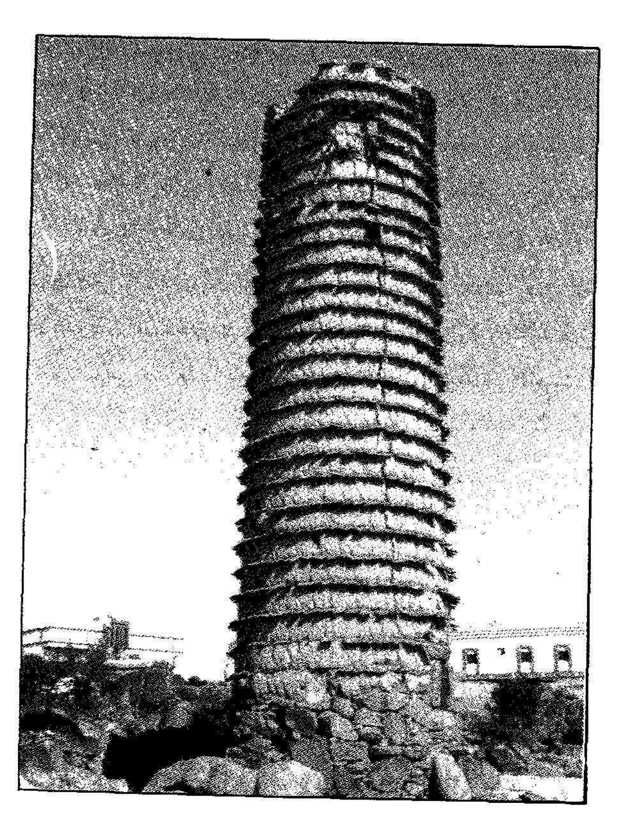
أما الأجزاء الشرقية أو الغربية من عسير ، فالتباين بها أيضا ملموس ، حيث يوجد بعض المباني الحجرية في القرى الكبيرة ، أمثال : جازان ، وصبيا وأبوعريش ، ومحائل ، وحلى ، ورجال ألمع ، وبارق ، والقنفذة ، وفي أسفل المنحدرات الغربية للأجزاء السروية ، أو ما يسميه أهل البلاد بـ (**الأصدار ، ومفرده صدر**) ، وكذلك في تثليث ، وبيشة ، وبعض البوادي من الأجزاء الشرقية . ولكن استخدام الحجارة في البناء بتلك الأجزاء لا يرقى الى نفس مستوى استخدامها في الأجزاء السروية . وفي الأجزاء التهامية السهلية كـ (**جازان ، وصبيا ، وأبوعريش ، والبرك ، والقنفذة ، وغيرها**) يكثر استخدام الأخشاب والأشجار في بناء بيوتهم التي يطلقون عليها بعض المصطلحات العامية في لهجتهم ، مثل : (**العشش ومفردها عشة ، والصبول ومفردها صبل ، والأعرشة ومفردها عريش**) . أما منازل الطين فقليلة جدا ، ولا توجد في بعض المناطق التهامية .

---

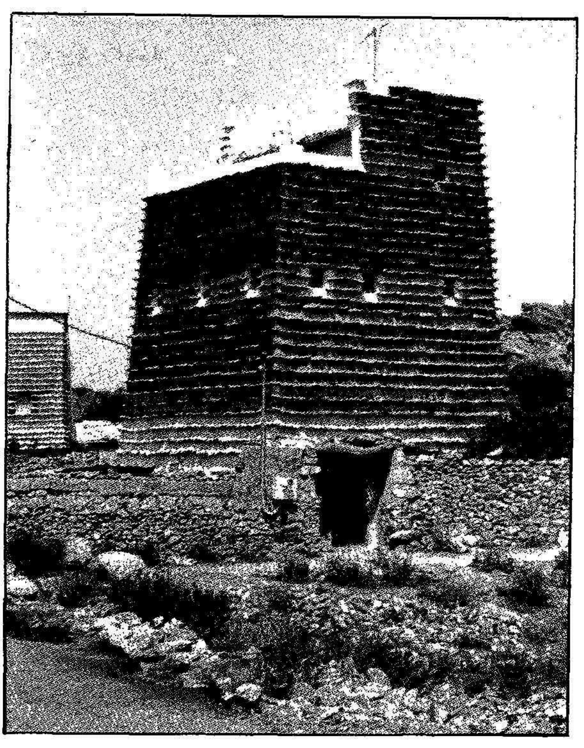
(١) وقد اشار إلى ذلك عدد من الباحثين ، أمثال : تاميزية ، ص ٦٦٢ ـ ٦٧١ ، البركاتي ، الرحلة ، ٤٦ ، ١٣٢ ، الألمعي ، رحلات ، ص ٥٢ ـ ٥٣ ، ٦٦ ، ١٠٦ ـ ١٠٧ ، القحطاني نقلا من مذكرات سليمان شفيق باشا ، ص ١٠٠ ، ١١٣ ـ ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٦ ، ١٥٣ .
Cornwalls, Asir, PP. 32–78.

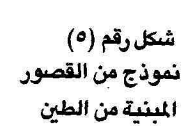
(٢) مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال عامي (١٤١٢هـ/١٤١٣هـ) .

(٣) مشاهدات وانطباعات الباحث في بلاد عسير خلال عامي (١٤١٢هـ/١٤١٣هـ) . ايضا تاميزيه ذكر ذلك أثناء مجيئه إلى ديار عسير في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وأشار إلى أن المباني في أبها ، وحجلا ، وخميس مشيط تتكون من طابق ، وبعضها من طابقين ، الاول للحيوانات والثاني للسكن ، ثم يقول : « وهي مبنية بالحجر في أسفلها ثم الطين ... » انظر مقاله تاميزيه بمجلة العرب ، ص ٦٦٢ ـ ٦٧١ .



شكل رقم (٤)
نموذج من الحصون
المبنية من الطين





شكل رقم (٥)
نموذج من القصور
المبنية من الطين

والأطراف الشرقية من الإقليم . فاغلب المنازل بها مبنية من الطين ، وأحياناً تبنى فيها بعض المنازل من الاخشاب والأشجار كجريد النخل ، وهناك من كان يبني منزله من الحجارة . ولكن بشكل اقل مستوى من اهل السراة . وإلى جانب استخدام الطين والحجر والجريد . كان البعض من اهل الأجزاء الشرقية بدواً رحلاً يذهبون وراء رعي مواشيهم ، فيصنعون بيوتهم من الشعر الذي يحصلون عليه من أصواف بهائمهم التي يملكون ، وبهذا يسهل عليهم نقلها أثناء نزولهم وترحالهم من مكان لآخر بحثاً عن الماء والكلأ .

والبيوت ، سواء كانت في الأجزاء السروية أو التهامية ، أو الشرقية ، كان لها مرافق كالأسوار التي تحيط بها ، أوبعض الملاحق التي هي : عبارة عن بيوت أو غرف أصغر من المنازل الأساسية ، وغالباً ما تستخدم لسكن البهائم ، أو مستودعات لما يحتاجه أفراد الأسرة . وتختلف المنازل في حجمها من مكان لآخر ، ومن أسرة لأخرى ، فتجدها في القرى الكبيرة(١)، أمثال : خميس مشيط ، وأبها ، وسراة عبيدة والنماص ، وبيشة ، والقنفذة ، وبارق ، والبرك ، وحلي ، وصبيا وجازان ، تتراوح بين الطابق الواحد وبين عدة طوابق . وهذا الاختلاف يعود إلى القدرة المالية للأفراد والأسر ، فشيوخ القبائل ، والتجار ، والمقتدرين مادياً يُشيّدون بيوتاً متعددة الأدوار ، وجيدة البناء والنقش ، أما الفقراء أو عامة الناس يكتفون بدور واحد ، أو في أغلب الأحيان يكون دوراً ناقصاً فلا يتكون إلا من غرفة أو غرفتين على الأكثر . وكلما ابتعدنا عن المراكز الحضارية إلى الأرياف والبوادي أو القرى الصغيرة ، وجدنا مستوى البناء يتدنى ، وعدد الطوابق تقل ، ومـواد البناء المستخدمة تصبح أقل جودة مما هو عليه في القرى والمراكز الحضارية الكبرى(٢).

والمراحل التي يمر بها بناء المنزل تختلف في البناء بالأحجار ، إلى اللبن (الطين) ، إلى القش وغصون الأشجار . وهذا ما سنناقشه في الصفحات القادمة . وجميع سكان إقليم عسير يتشابهون في طريقة اختيار المكان الذي يراد استخدامه لتشييد المنزل عليه ، لم تكن هناك مخططات منظمة ومدروسة طبقاً لشروط ومعايير محددة ، وإنما أغلب السكان يمتلكون أراضي زراعية أو سكنية ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، وغالباً ما تكون معروفة بحدود ومعالم معينة(٣) . وعندما يريد الفرد أن يقيم له سكناً ، يختار مكاناً معيناً بدون سابق تخطيط ، ويبدأ في عملية البناء ، ولكن عند اختيار المكان يراعي قربه من موارد المياه ، ومن أفراد القرية أو العشيرة التي ينتمي إليها ، حتى يكون في مأمن ، فينال الحماية والتعاون من أفراد قريته وعشيرته في أوقات السراء والضراء(٤).

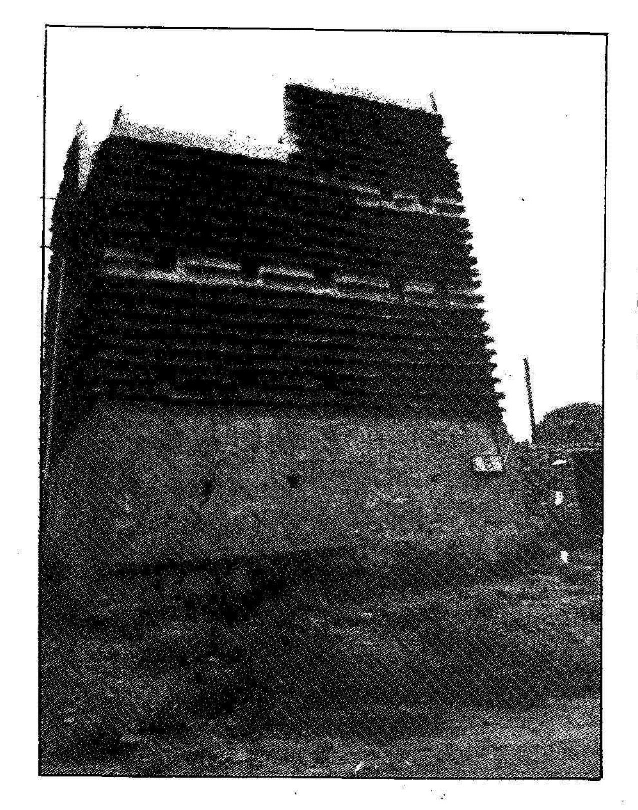
---

(١) استخدمنا كلمة قرية بدلاً من اسم مدينة ، وبخاصة على المراكز العمرانية الكبيرة ، لانها لم تكن ترتقي إلى مستوى المدن ، خصوصاً في القرون السابقة .

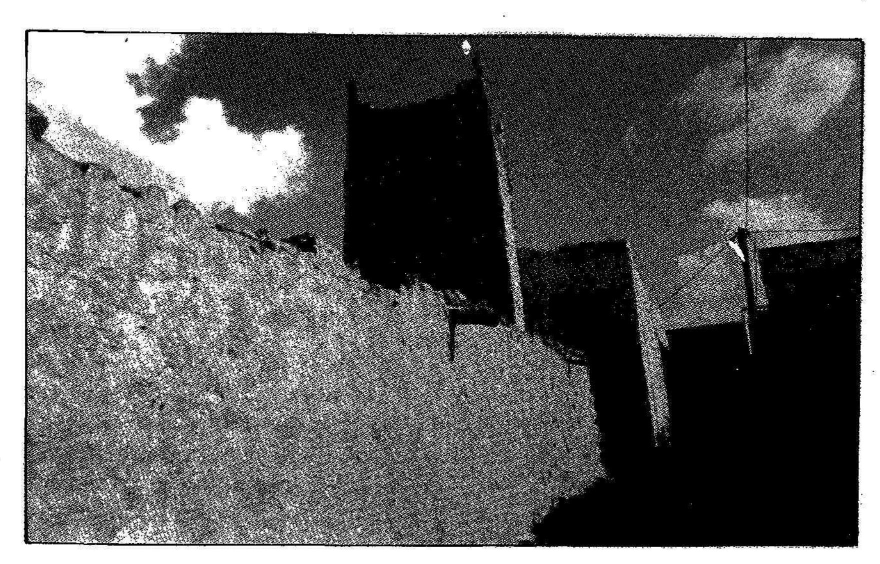
(٢) يلاحظ في وقتنا الحاضر ، الاختلاف في البناء ، فنجد تكاثر المباني الشاهقة الجميلة في المدينة وما حولها ، وكلما ابتعدنا عن المدن إلى الأرياف والبوادي لاحظنا التقهقر في طول المنازل ، و في جمال وجودة مواد البناء المستخدمة .

(٣) استطعنا الاطلاع على وثائق عديدة في أجزاء مختلفة من بلاد عسير ، واغلبها تبين اسماء ومعالم بعض العقارات والأملاك الزراعية والسكنية لعديد من الاسر التي ورثتها عن طريق الآباء والأجداد الأوائل ، أو حصلوا عليها عن طريق الشراء ، أو الهدية وما شابهها .

(٤) تقارب السكان في مساكنهم من الامور الأساسية ، ليتآزروا ويتعاونوا فيما بينهم ، بل والوقوف في وجه كل ما يداهمهم من اخطار بشرية او طبيعية . وتزاحم منازل القرية القديمة في عسير ، والتي لازلنا نشاهد الكثير منها ، لدليل واضح على حرص افراد القرية في التقارب والتآزر والتعاون في جميع شئون حياتهم .



شكل رقم (٦) منظر آخر من القصور المبنية من الحجارة في الطابق الأسفل ثم الطين في الطوابق العلوية



شكل رقم (٧) نموذج من البيوت والحصون المبنية بالحجارة في الأجزاء السروية من عسير

وطريقة البناء بالأحجار متشابه في جميع انحاء البلاد ، حيث يبدأ بتسوية الموقع المراد إقامة المنزل عليه . ثم يحفر قرابة نصف متر للجدار الأساسي للمنزل ، وتجلب الأحجار الكبيرة من الجبال والأودية فتوضع بشكل منظم في تلك الحفرة التي يطلق عليها عند بعض أهل البلاد اسم (**الرَّبض**) . ثم يواصل البناؤون ومن يعمل معهم[١]، تشييد الجدر الرئيسية . ويختلف سمك جدار البناء من مكان لآخر ، لكنها تتراوح من ثمانين سنتيمتراً إلى متر ومترين ، وذلك حسب حجم السكن الذي يراد تشييده ، وهل يتكون من دور أو دورين ، او اكثر من ذلك ؟ . وكلما زادت عدد الأدوار المراد تشييدها ، زاد سمك جدار البناء . والجدار في الدور الواحد يرتفع حوالي ثلاثة أمتار ، وبخاصة في الأجزاء السروية ، واقل من ذلك بقليل في الأجزاء التهامية والشرقية من المنطقة نفسها . كما يصمم الجدار الواحد من شقين ، الشق الخارجي أو ما يسمى بـ (**الوجه**) ، وهو الجزء الخارجي من الجدار ، ويراعى في هذا الوجه اختيار الحجارة الجيدة ذات الأوجه المتساوية ، حتى يكون منظرها جميلا . أما الشق الآخر فهو الجزء الداخلي ، ويطلق على هذا الشق اسم (**القفا أو الخلف**) . وفي كلا الشقين يضع البناؤون بين الحجارة الكبيرة في الجدار ، حجارة رقيقة صغيرة يسمونها ببعض اللهجات المحلية (**صَلباً ، أو كَحلا**) بفتح الصاد أو الكاف وتسكين اللام أو الحاء ، وذلك ليظهر الجدار بشكل جميل خال من الفجوات . كما يوضع بين الوجه والقفا في الجدار حجارة صغيرة مع الطين ، لكي يتماسك الجدار بعضه مع بعض ، وفي الغالب يطلق على الجدار بشقيه ، وما بداخله اسم (**مدماك وجمعه مداميك**) . وبهذه الطريقة يتم تشييد جميع جدر المنزل مهما كانت أدواره ، ومهما كان حجمه . وعندما تشيد الجدر الخاصة بالدور الأول يسقف السطح بالأخشاب والتراب .

وطريقة التسقيف تمر ببعض الخطوات ، فتجلب الأخشاب الكبيرة من الجبال والأودية الخاصة بأهل القرية ، وفي الغالب تكون تلك الأخشاب من شجر العرعر أو الطلح ، أو العتم (**الزيتون البري**) أو السمر ، ويطلق على الخشبة الواحدة اسم (**بطنه وجمعها بطن**) ، ويجلب معها أيضا أغصان صغيرة الحجم ومستقيمة تسمى (**مراكب ومفردها مركاب ، أو جريد ومفردها جريدة**) . ثم تشذب وتنظف الأخشاب (البطن) الكبيرة ، وتوضع على كل غرفة على أن تكون متصلة من جدار إلى آخر ، وفي حالة أن الغرفة واسعة المساحة ، ولا تصل الأخشاب المجلوبة من جدار لآخر ، يؤتى بأربع أوخمس أخشاب أكبر وأطول وأقوى ، تسمى في بعض اللهجات المحلية من عسير (**سواري ومفردها سارية**) أو اسم (**جيز للخشبة الواحدة منها**)[٢]، وتمد على عرض الغرفة ، وبعدها يرتب بقية

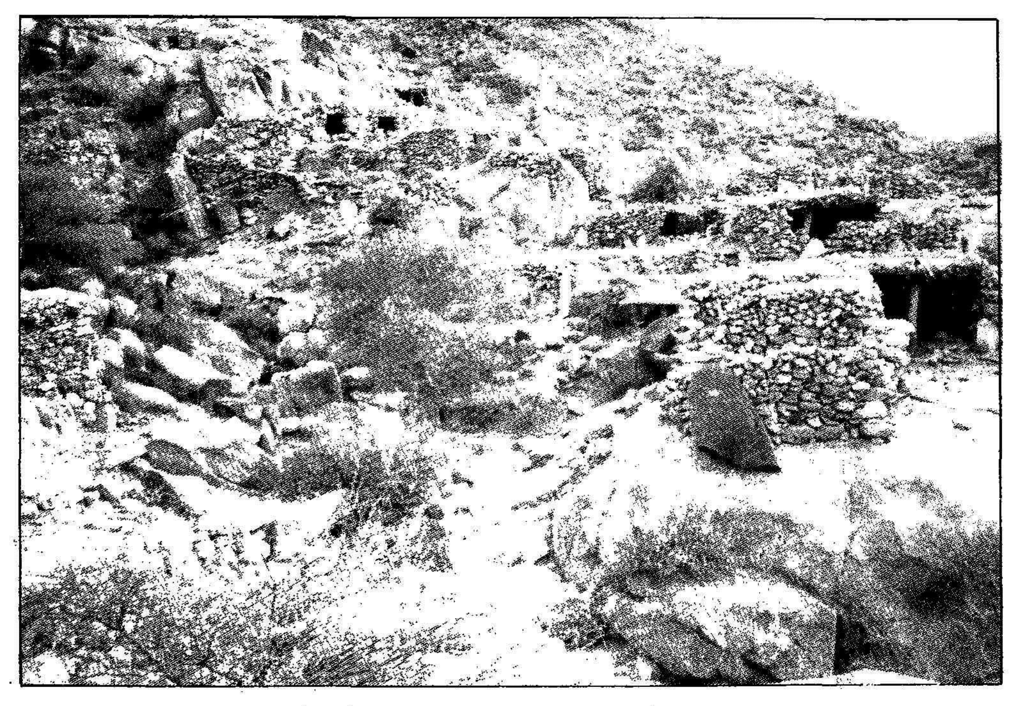
---

(١) كان هناك فئة من المختصين في مهنة البناء يعملون بالأجر اليومي ، وقد يعمل معهم بعض المساعدين بالأجرة ايضا . وكان هناك من يقوم بمهنة البناء عن طريق التعاون بدون مقابل ، وبخاصة بين افراد الأسرة أو القرية أو العشيرة الواحدة ، أو بين الأصدقاء بعضهم مع بعض .

(٢) وغالبا تقلب الجيم إلى ياء فيقال : (ييز بدلاً من جيز) وهذا التحريف يوجد بكثرة عند بعض العشائر العسيرية ، ولازال الى يومنا هذا . ودراسة التاريخ اللغوي لسكان المنطقة موضوع جيد وجدير بالدراسة ، حبذا لو تصدى لهذا الموضوع أحد طلاب العلم سواء كان من ابناء المنطقة او من غيرهم من فئة الدارسين والباحثين .



شكل رقم (٨) صورة لإحدى القرى العسيرية السروية ومن حولها المزارع والمدرجات الزراعية



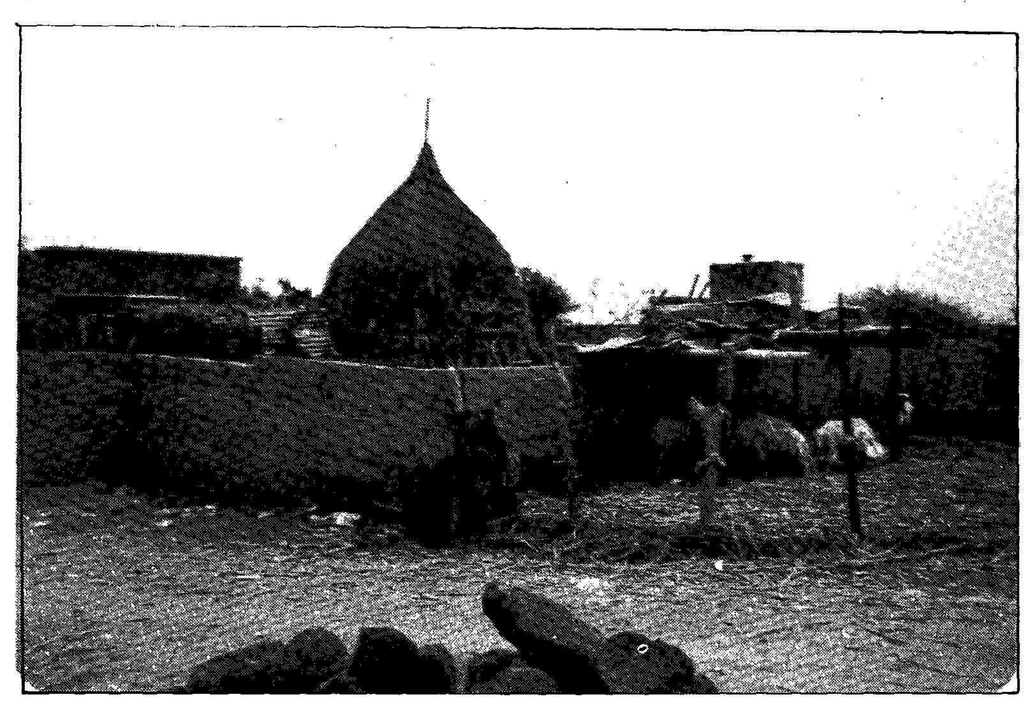
شكل رقم (٩) نموذج لبعض البيوت المبنية في منطقة الأصدار من إقليم عسير

الخشب (**البطن**) بشكل طولي ومتقابل على الغرفة التي وضعت عليها (**السواري**) ، على أن يكون أحد أطراف الخشب (**البطن**) على جدار الغرفة ، والطرف الثاني على السواري . ثم تفرش (**المراكب**) على (**البطن**) ، وتغطى ببعض النباتات والشجيرات ، كنبات العرفج وغيره ، وأحياناً توضع فُرُش الطفي أو سعف النخل على (المراكب) ثم يغطى السطح كاملا بالطين ، وبسمك فوق (**المراكب**) يبلغ الخامس عشر إلى الثلاثين سنتيمترا ، بعدها يغطى بالتراب ، وعند ذلك يكون الدور الواحد قد اكتمل تعميره ، ثم تُتبع نفس الطريقة الآنفة الذكر في تشييد الأدوار الأخرى ، إذا كان المنزل يتكون من دورين أو أكثر .

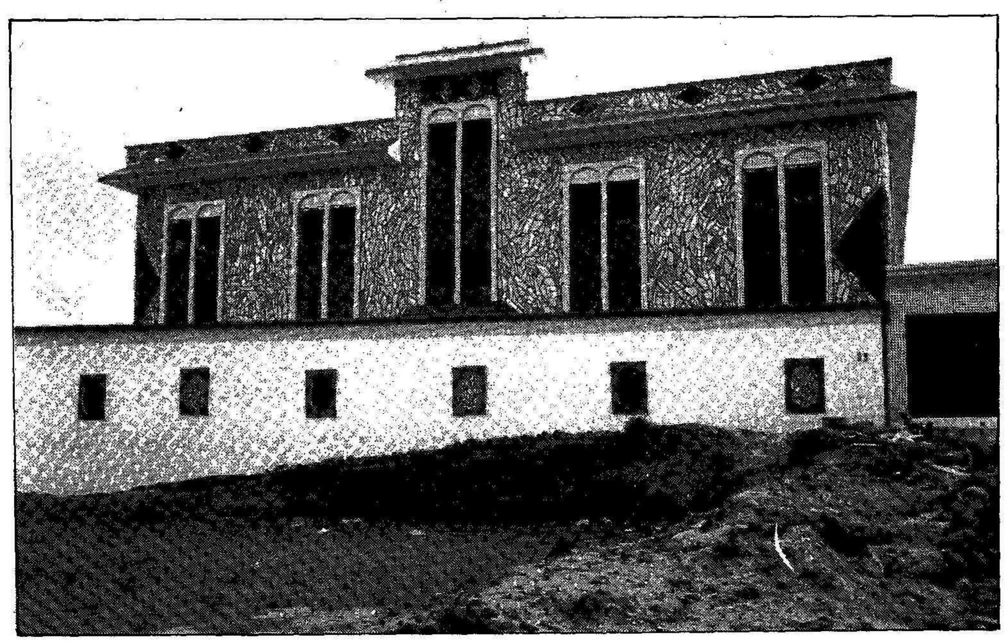
ويراعى في مساحات الأبواب والنوافذ صغر الحجم ، فلا يستطيع الرجل المتوسط الحجم الدخول من أغلب النوافذ المصممة في المنازل القديمة . كما أن مدخل الأبواب تكون صغيرة ، حتى الرجل القصير القامة ربما ينحني عندما يدخل من بعض الأبواب . وإذا كان المنزل الواحد مكوناً من عدة أدوار ، ففي الغالب أن نوافذ وأبواب الأدوار السفلى تكون أصغر بكثير من الأبواب والنوافذ التي في الأدوار العليا . والسبب في ذلك ربما يعود إلى الخوف من السارق أو من قد يداهم البيت ليلاً ، أو أثناء غياب أرباب البيوت . أيضا الحصول على الدفء ، والتخفيف من دخول الهواء البارد ربما يكون سبباً آخر في جعل فتحات الأبواب والنوافذ صغيرة .

أما طريقة بناء البيوت الطينية فغالباً تكون على شقين : الشق الأول ، أن يكون المنزل مبنيا في الأساس بالحجارة ، وبارتفاع يتراوح من المتر إلى المترين ، ثم يستكمل بناء الجدر بالطين . والتأسيس لهذا النوع من البيوت مثل طريقة بناء المنازل الحجرية السابقة الذكر . والشق الثاني ، أن يشيد البيت من الأساس بالطين . وطريقة استخدام الطين في البناء ، هي : البحث عن التربة الجيدة التماسك ، فيؤتي بها ، ثم يخلط عليها التبن المنقى من درس القمح والشعير ، وتمزج بالماء وتدرس بأرجل الحيوانات (كالبقر والحمير وغيرها) لعدة ساعات ، وأحياناً ليوم أو يومين ، ثم يجمع الطين المدروس وينقل إلى مكان البناء ، فيوضع على هيئة جدار أو (**مدماك**) ، ويترك بعض الوقت حتى يجف ، ثم يواصل العمل على هذا النهج حتى يتم بناء جدر الدور الأول أو الأدوار المراد تشييدها . والتسقيف وعمل الأبواب والنوافذ ، فتسلك نفس الطريقة المتبعة في تعمير البيوت الحجرية ولازلنا نلاحظ هذا النوع من المنازل في أماكن متفرقة من بلاد قحطان ، وشهران ، ومدينة أبها وما حولها ، ومحائل ، وبارق ، وبعض الأجزاء التهامية الأخرى ، ومنها ماهو على هيئة أشكال هرمية ، أو أسطوانية ، أو مربعة ، أو مستطيلة . ويشاهد على جدر بعضها من الأعلى حجارة مبسوطة رقيقة مرصوصة بعضها فوق بعض ، يطلق عليها في بعض اللهجات المحلية اسم (**رقف**) . وفائدة هذه الحجارة أنها تساعد على تماسك الجدار الطيني ، كما تقيه من تأثير الأمطار (**انظر الأشكال أرقام ٤ ، ٥ ، ٦**) .

ومنازل القش ، والأشجار توجد بكثرة في الأجزاء التهامية ، الممتدة من جازان إلى القنفذة ، وفي بعض الأجزاء الشرقية ، كبيشة وما حولها ، ومنها ذات الأشكال



شكل رقم (١٠) نموذج من العشش المنتشرة في الأجزاء السهلية التهامية من عسير



شكل رقم (١١) صورة من المباني العمرانية الحديثة في عسير

المخروطية . أو المربعة . أو الدائرية ، أو المستطيلة . ومن أهم هذه البيوت ، العشة ، والعريش . والصبل . وجميعها تبنى من اخشاب الأشجار المحلية ، كالدوم ، والسلم ، والسمر . والنخل . والاثل وغيرها . ولبناء العشة يتم اختيار مكان البناء ، ثم يحفر الأساس . بعدها يؤتى بالاخشاب الثقيلة فتغرس رأسيا في حفر الأساس وبشكل مرتب ، وبارتفاع يتراوح من المترين والنصف إلى ثلاثة أمتار تقريبا ، ويتم الربط بين تلك الأخشاب الكبيرة بحلقة تسمى (**الجرائح**) . وهذه الجرائح مكونة من الأعواد الصغيرة التي يسهل استخدامها ولفها حول محيط العشة . وتواصل عملية البناء إلى أعلى وبشكل تدريجي حتى تنتهي إلى راس العشة ، ويطلق على الرأس عند بعض السكان في تهامة اسم (**القرعينة . وتاتي مرحلة الكساء الذي تغطى به العشة ، وغالبه من القش واغصان الاشجار ، فتربط من الأسفل بحبال المرخ ، ويسمى ذلك الربط بـ « الوزرة »**) ، وينتقل إلى الجزء الأعلى الذي يسميه بعض الأهالي بـ (**البديم**) ، فيربط ايضاً بحبال المرخ أو الطفي . وغالباً يضاف على العشة من الأعلى أغصان وأوراق الشجيرات أمثال ، الثمام والحلف ، ثم تلف العشة مرة ثانية من الأعلى إلى الأسفل بحبال اخرى حتى تصير قوية ومتماسكة بشكل جيد (**انظر الأشكال أرقام ٣ ، ١٠**) .

أما العريش والصبل فمواد بنائها أيضا من الأخشاب والقش ، وأغصان الشجر ، إلا أن الصبل يكون في بعض الأحيان بمثابة ملحق للعشة ، يستخدم إما مطبخا لطهي الطعام ، أو مجلسا لاستقبال الضيوف ، وخاصة عند الأغنياء وميسوري الحال . أما عند بعض الفقراء فيعتبر منزلهم الأساسي . وبعض المنازل التي على هيئة صبول تترك جوانبها مفتوحة ، أو يترك لها بابٌ واسعٌ لتكون جيدة التهوية ، أما العشة ففي الغالب تكون أبوابها صغيرة ، وبعض العشش لها بابان ، أما العريش فغالباً يكون مفتوح الجانبين ، ويستخدم لسكن الحيوانات ، أو لأغراض أخرى متعددة .

وجميع البيوت الحجرية أو الطينية أو الشجرية تتشابه في إحاطتها بأسوار أو أحواش . فالذين يستخدمون الحجر أو الطين في بناء منازلهم ، يحيط البعض منهم داره بسور من الحجر أو الطين ، ثم يوضع على أعلى السور أغصان الشوك أو بعض الشجر ذات الأشواك لتحمي البيت ممن قد يدخله من اللصوص أو بعض البهائم ، أو الوحوش المفترسة . والمنازل المبنية من الأشجار يوضع حولها أسوار من نفس الأخشاب والأشجار المستخدمة في بناء العشة أو العريش أو الصبل .

وبعد اكتمال الهياكل الأساسية للمنازل ، تأتي مرحلة أخرى ، هي تزيين المنزل من الداخل ، ومن خلال رحلاتي في بعض الأجزاء من إقليم عسير ، شاهدت العديد من المنازل القديمة ، التي يعود تاريخ بناء البعض منها إلى ثلاثمائة وأربعمائة سنة ، وأعظم ما لفت نظري ما يوجد من الألوان والنقوش المختلفة بداخل البعض من تلك المنازل . فالجدر الداخلية والأسقف والأرضيات مكسوة بالطين الأصفر أو البني ، وأرضيات البعض منها مخططة بالطين تخطيطا نصف دائري ، أو ذات أشكال مستطيلة أو مثلثة ، أو مربعة ، وأحياناً يكون في بعض الحجرات خط أفقي عريض ، يطوق الغرفة ، ويبلغ ارتفاعه من

مستوى الأرضية حوالي نصف متر تقريباً ، مطلي باللون الأخضر ، يليه من الأعلى عدة أشكال صغيرة متناغمة الألوان بين الأحمر ، والأسود ، والأخضر والأصفر . وبهذه الأشكال والألوان العجيبة توجد مربعات ، ومثلثات ، وأهرامات ، وأزهار ونحوها في مظهر متناسق فني بديع ، أما الأسقف في بعض المنازل فتلون ببعض الألوان المختلفة ، وكذلك بعض الأبواب والنوافذ ، وأحياناً المداخل الرئيسية للمنزل يرسم عليها بعض النقوش الجميلة المتناسقة ، وأحياناً تطلى النوافذ والأبواب بمادة القطران المستخرجة من بعض الأشجار المحلية ، وربما رسم على بعضها رسوم طبيعية جميلة .

والبيوت المشيدة من الأشجار ، تقوم النساء مثلهن مثل ربات البيوت في المنازل الحجرية أو الطينية بتزيين بيوتهن من الداخل ، فيغطين جدرها بالطين المخلوط مع التبن ، وأحياناً روث بعض البهائم (**كالأبقار**) ، وبعد الانتهاء من عملية تغطية الجدار وجفافه ، يطلى بمسحوق أبيض ، ثم يرسم عليه بعض النقوش والزخارف الجميلة .

وهناك خدمات أخرى تتبع المنازل ، كالتدفئة ، والتبريد والإضاءة ، وجلب الماء ، والأثاث . وهذه الخدمات جميعها كانت موجودة في الماضي ، ولكن بشكل بدائي وبسيط جداً لا يقارن مع الخدمات التي يتمتع بها الناس اليوم ، سواء في إقليم عسير أو غيره . وكونها كانت بسيطة في الماضي ، إلا أنها أيضا تتفاوت من القرى الكبيرة إلى الأرياف والبوادي ، ومن دور الأغنياء والأعيان والشيوخ إلى منازل الفقراء والمعوزين ومن هو على شاكلتهم[١] .

والتدفئة والتبريد تختلف من مكان لآخر ، لأن التضاريس والمناخ لهما دور في إيجاد الدفء والبرد (**ولم يكن هناك أجهزة تبريد أو تدفئة كما نشاهد في عصرنا الحاضر**) . فعندما يأتي البرد لا يتقى إلا بارتداء الملابس لمن يملكها أو يستطيع الحصول عليها ، إلى جانب جلب الأخشاب والحطب من الأودية والجبال ، ثم إشعال النيران التي يحصل على بعض الدفء منها . وكانت أكثر المناطق برودة الأجزاء الجبلية ، وأحياناً الأطراف الشرقية البدوية من الإقليم نفسه ، التي يشتد البرد بها في فصل الشتاء ، وبقية الفصول الأخرى تكون أخف وطأة . والحصول على البرودة وبخاصة في المناطق السهلية التهامية ، فلم يكن هناك أي وسيلة إلا التظلل تحت الأشجار ، أو الغسيل بالماء ، أو وضع بعض الأقمشة أو الخيش في الماء ، ثم وضعه على أعالي العشش ، أو سطوح المنازل ، لكي تكسر حدة الحر وتلطف الجو ببعض البرودة .

وجلب مياه الشرب والغسيل إلى المنازل كان يتم عن طريق العيون والآبار ، والجالبون له هم النساء والأطفال وأحياناً الرجال الذين يرفعونه من الآبار عن طريق الدلاء ، ويحملونه على ظهورهم ، أو على ظهور الحمير والإبل ، ثم يخزنونه في قدور وأواني مصنوعة من الفخار . ومن النادر أن نجد أحداً يمتلك خزان للماء ، وإن وجدت بعض الخزانات ، فلم تظهر إلا في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري ، وبخاصة عند الأغنياء

---

(١) في الوقت الحاضر توفر ، بحمد الله ، المال في ايدي الناس ، وتحسنت احوالهم ، فبنوا مساكن حديثة راعوا فيها توفير وسائل الراحة لمن يسكنها ، واصبح هناك العديد من الأجهزة الحديثة المستخدمة في توفير الدفء او التبريد ، او رفع المياه من الآبار والصهاريج ، او الغسيل والتنظيف ، او الإضاءة او غيرها من الخدمات المتعددة الجوانب .

والمقتدرين ماديا . أما بيت الخلاء والحمامات ، فوجدت في بعض الدور أماكن مخصصة للغسل والنظافة . اما اماكن قضاء الحاجة ، فلم تكن موجودة بكثرة ، ولم تستخدم بشكل واسع إلا منذ العهود المتأخرة في القرن الماضي .

والأثاث تزين به المنازل ، فالأغنياء ، والأمراء ، والشيوخ يمتلكون في أغلب الأحيان دورا جيدة ذات أثاث جيد . أما الفقراء في القرى والبوادي والأرياف ، فلم يكن عندهم إلا أشياء بسيطة . وفي كثير من الحالات تكون بعض المنازل خالية من الأثاث لندرتها ، أو عدم القدرة على شرائها . وأغلب أنواع الأثاث الموجودة قديماً كانت تصنع من جلود وأصواف الحيوانات المحلية ، أو تستورد بعض الملاحف والسجاد من المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية ، كالمدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وصنعاء ، واليمامة ، والبحرين وغيرها .

وبعض الرجال كانوا يحبذون تزيين البيوت من الداخل ، فيعملون على شراء بعض الأسلحة ، كالسيوف ، والخناجر ، والبنادق ، والأحزمة وغيرها ، ثم يعلقونها على جدر بعض الحجرات في المنزل ، وغالباً ما تكون تلك الحجرات أماكن استقبال الضيوف . أما النساء فيجمعن بعض الصحون ، والقدور ، أو الأواني الجميلة فيعلقونها في الحجرات المخصصة للطبخ ، أو بعض الحجرات الأخرى في المنزل ، بهدف حفظها ، وإضفاء شكل جمالي على جدر المنزل من الداخل .

ـ الحصون والقصور :

من الأبنية في عسير ، الحصون والقصور ، والفرق بين الحصن والقصر ، أن الأول بناء مستقل بذاته ، يتكون من عدة طوابق ، وله أهداف عدة منها : استخدامه للدفاع والحرب ضد أي عدو يهاجم المنطقة التي يوجد بها هذا الحصن . أو يستخدم لتخزين الحبوب والعلف وما شابهها . أو يستخدم لمراقبة وحراسة المزارع ، وأحياناً قد يستخدم للسكن . أما القصر ففي الغالب يستخدم للسكن ، ومن يمتلك القصور يكون في أكثر الأحيان من طبقة الأمراء والمشائخ ، والأعيان والتجار .

وتكثر الحصون والقصور في إقليم عسير ، وبخاصة في الأجزاء السروية الواقعة بين نجران جنوبا ، وزهران شمالاً ، ولازال ماثلاً للعيان العديد من الحصون والقصور التي نشاهدها في هذا الجزء ، وقد أصابها الخراب والدمار ، حتى أن بعضها لم يبق منه إلا جزء بسيط ، وبعض آخر أوشكت على الانهيار ، وستسقط قريباً إذا لم تجد من يصونها ويحافظ عليها . وتاريخ بعض هذه الحصون والقصور ربما يعود مئات السنوات إلى الوراء . ومما يؤكد ذلك ما ذكر ابن المجاور عندما وصف بعض الحصون والقصور في بلاد السراة ، فقال : « ... **وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص ، وكل من هؤلاء ـ يقصد أهل السراة ـ ساكن في القرية له مخزن في القصر ، يخزن في المخزن جميع ما يكون له من حوزه وملكه ، وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم ، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر**

من أربع ترابيعة »[١]. وهذا الوصف الذي حفظ لنا ابن المجاور من القرن السابع الهجري ، لازال ينطبق على طبيعة وهيئة بعض الحصون المهجورة في بعض قرى عسير السروية[٢].

وتختلف مواد بناء الحصون والقصور ، وبخاصة في البلاد السروية ، فالبعض منها مبني بالحجارة والطين معا . والبعض الآخر يؤسس لها بمترين أو ثلاثة أمتار من الحجر ثم تستكمل من الطين ، ومنها ماهو مبني من الطين فقط . والحصون المشيدة من الحجر مع الطين تكثر في بلاد غامد وزهران ، وبلقرن وشمران ، وخثعم ، وبلاد الحجر . أما الحصون والقصور المبنية من الطين فتوجد بكثرة في بلاد قحطان وشهران ، وديار عسير الرئيسية . والأسباب في هذا الاختلاف يعود إلى ما ذكرنا سابقا ، من حيث تواجد المواد الأساسية للبناء سواء كانت من الأحجار أو الطين . (**انظر الأشكال رقم ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧**) .

أما الحصون أو القلاع التي شيدت من أجل هدف حربي دفاعي فقد وضعت على رؤوس الجبال ، أو في الأودية ، أو بعض المناطق الاستراتيجية التي يستطيع المحارب أو المدافع استخدامها على أحسن وجه ضد العدو . وغالباً يتم بناء هذه الحصون بطريقة جماعية يشترك فيها أهل الفخذ أو القرية أو العشيرة الواحدة ، أو من له مصلحة حتى لو كان من قرية أو عشيرة أخرى . وهذه الحصون تتفاوت في عدد طوابقها، وفي سعتها وضيقها [٣] ولازال العديد من الحصون المختلفة على قمم الجبال ، وفي بعض الأودية والوهاد والهضاب ، وبداخل بعض القرى في أنحاء الأقليم . كما أن البعض من تلك الحصون الواقعة في القرى ، أو بالقرب من المزارع تكون ملكاً لأسرة أو لعدة أسر يرتبطون بجد واحد ، شيدوها لأجل استخدامها في الدفاع ، أو حراسة مزارعهم وتخزين حبوبهم وأعلاف بهائمهم بها .

أما القصور فتوجد ، غالباً ، في المراكز الحضارية الكبرى ، كبيشة ، والنماص ، وتنومة ، وأبها ، وخميس مشيط ، وجازان ، وأبو عريش ، والقنفذة ، وفي بعض القرى المجاورة للمراكز المذكورة آنفا[٤] وتختلف أحجام ونوعيات القصور من مكان لآخر ، ومن أسرة لأخرى حسب الامكانيات والقدرات المادية . ونشاهد في يومنا الحاضر العديد من القصور المهجورة في طول وعرض الإقليم العسيري ، وبعضها مبني بالحجارة ومطلي من الخارج بالجص ، وأحياناً منقوشة بحجر المرو . والبعض الآخر مبني بالطين أو بالطين والحجر معاً (**انظر الأشكال رقم ٥ ، ٦ ، ٧**) .

---

(١) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢١ ، ٣٧ .

(٢) وجود الحصون في الأجزاء التهامية والنجدية الشرقية من إقليم عسير قليل جداً ، أو تكاد تكون معدومة في كثير من المواقع . أما القصور فيوجد بعضها في المراكز الحضارية الكبرى ، كالقنفذة ، وأبو عريش ، وصبيا وبيشة وغيرها .

(٣) انظر . عبدالمنعم عبدالعزيز رسلان « بعض استحكامات منطقة عسير الحربية في العهد العثماني » مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى (س (٥) عدد (٥) ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص ٣٧٩ - ٤٢٨ .

(٤) هناك العديد من الرحالة الذين أشاروا إلى وجود بعض القصور في المراكز الكبرى بإقليم عسير ، أمثال : تاميزيه ، والبركاتي ، وكورنواليس ، وسليمان شفيق باشا ، وإبراهيم الألمعي ، وسبق الاشارة الى كتبهم التي وصلت الينا ، وذكرنا اسماءها ضمن قائمة مصادر ومراجع هذا الكتاب .

وتزيين القصور من الداخل يعود إلى القدرة المالية عند أصحابها ، فكلما كانت أحوال صاحب القصر جيدة . انعكس ذلك على نقش وزخرفة القصر من الداخل ، وعلى الأثاث والأدوات المستخدمة داخلياً . وبالمقارنة مع أصحاب البيوت الفقيرة ومتوسطي الحال في المجتمع . فمستوى نقش وزخرفة وتأثيث قصور الأغنياء أفضل حالاً من غيرها (١).

- مباني اخـــرى :

ومن الأبنية الأخرى في إقليم عسير ، تلك المدرجات الزراعية ، التي نشاهدها في طول وعرض البلاد ، وبخاصة في الأجزاء السروية . فلا نكاد نرى مواطن زراعية إلا ويحيط بها من معظم الجهات أسوار مبنية بطريقة جميلة وجيدة . وقد يرجع تاريخ بعض تلك الأسوار إلى مئات السنين ، وتتفاوت في الارتفاع ما بين النصف متر والمترين ، وربما بلغ ارتفاع بعضها ثمانية أو عشرة أمتار . والفوائد التي يمكن استخلاصها من تعمير مثل هذه المدرجات ، هي : أن المنطقة تحكي عن وجود حضارة قديمة ، وعن وجود أقوام أقوياء استطاعوا التكيف والتغلب على ما كان يقابلهم من مشاكل طبيعية أو بشرية أو غيرها . كما أن بناء مثل هذه المدرجات يساعد على حفظ تربة المزارع من الضياع والاندثار ، إلى جانب الحفاظ على كل قطعة زراعية بمعالم وحدود معينة تفصلها عن المزارع الأخرى المجاورة لها .

وأسوار أخرى نشاهد بقاياها على بعض الأحمية (٢) في رؤوس الجبال وقيعان الأودية وأصحاب الحمى الواحد كانوا يحيطون حماهم بأسوار يبلغ ارتفاعها مابين المتر والمترين . وهناك أسوار أخرى كانت تبنى لبعض الأسر ، أو القرى ، أو العشائر ، لتكون معالم حدود بين منطقتين (٣) والمميز في طبيعة هذه الأسوار ، أنها بسيطة في بنائها وتشكيلها ، وغالباً تبنى بالحجارة فقط دون أن يخلط معها التراب أو الطين ، خلاف ما يحدث في بناء المنازل ، والحصون ، والمدرجات الزراعية .

ومن المعالم الحضارية الأخرى ، حفر الآبار التي يصل عمق بعضها إلى خمسين متر وأكثر ، علماً أنه لم يكن لدى الأوائل أجهزة وآلات تساعدهم في الحفر كما نشاهد في وقتنا الحاضر ، وإنما أدوات حفرهم كانت بسيطة وبدائية في قدرتها وفي طريقة تصنيعها . وعند الانتهاء من حفر أي بئر ، يلف جزؤها العلوي ببناء يكسبها شكلاً جمالياً جيداً ، ويحفظها عن الأوساخ والأتربة والحجارة التي قد تتساقط من أطرافها العلوية .

---

(١) نلاحظ الفارق الكبير في عصرنا الحاضر ، وما تشهده البلاد من تطور عمراني حديث . والوضع المادي ، وأحياناً المركز الاجتماعي لازال لهما الدور الأكبر في فخامة وجمال بيوت من يمتلك الأموال الكبيرة ، أو يشغل مركزاً اجتماعياً كبيراً في المجتمع .

(٢) أحمية ومفردها (حمى) . وهي المواقع التي تحميها بعض الأسر ، أو الأفخاذ ، أو العشائر ، من أجل استخدامها للرعي وقت الجدب وعدم نزول الغيث . وفي المصادر الإسلامية المبكرة نجد الرسول (ﷺ) ، والخلفاء الراشدين حموا بعض المواقع القريبة من المدينة المنورة . لكي ترعى فيها خيول ومواشي المسلمين . وإلى وقت قريب كان العديد من العشائر والبطون العسيرية تسعى إلى حماية بعض مواطنها . اما في الوقت الحاضر فصارت هذه الظاهرة قليلة . وربما أصبحت معدومة عند الكثير من سكان الإقليم .

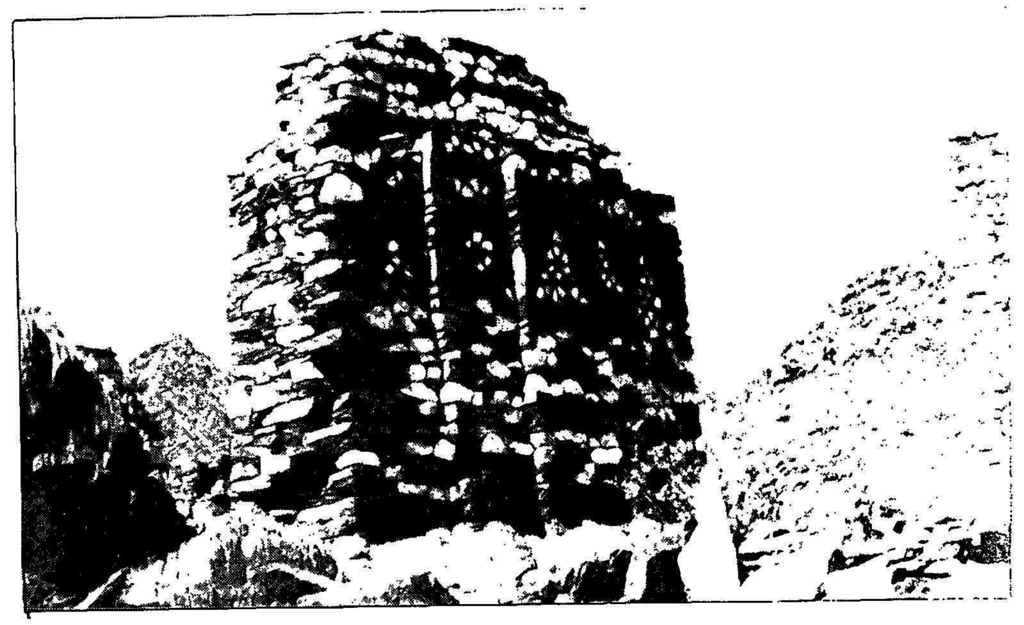
(٣) لدى الباحث العديد من الوثائق والاتفاقات المحلية التي تؤكد اسماء وأماكن معالم وحدود بين اسرتين او عشيرتين ، أو مجموعة من الأسر أو العشائر في انحاء اقليم عسير .

ومن خلال جولاتي الميدانية في أجزاء عديدة من بلاد عسير ، شاهدت بعض القبور المبنية فوق سطح الأرض ، والتي يصل ارتفاع بعضها إلى ثلاثة وأربعة أمتار تقريباً . وأكثر ما رأيت هذا النوع من القبور في بعض الأجزاء الشرقية من بلاد قحطان وشهران ، وفي وأدي عياء ، ووأدي ترج ، ومنطقة الحدب من بلاد بللحمر وبني شهر وبني عمرو . والملاحظ على بعض تلك القبور جمال بنائها ، وأحياناً نقشها بالجص أو حجر المرو . وإلى جانب هذه القبور السطحية هناك قبور أخرى مدفونة تحت الأرض . والكثير منها - (**المدفونة والسطحية**) - على غير اتجاه القبلة . كما شاهدنا على القبور الواقعة في وأدي عياء ببلاد بللحمر ، ووأدي ترج ببلاد بني شهر الكثرة العددية لتلك القبور . والشيء الغريب أني لم أجد في المصادر التاريخية المبكرة أي إشارة في بلاد السراة لمثل هذا النوع من القبور . كما حاولت أن أعرف تاريخا لها من بعض المسنين في تلك المناطق ، فلم أجد اجابة شافية أستطيع الاعتماد عليها ، علما بأن البعض منهم ، يعتقد وبدون دليل ، أنه حدثت هناك حروب دامية اقتتل فيها أعداد كثيرة من الناس ، ثم تم دفن من مات منهم في تلك الأماكن . ولكن لو سلمنا جدلا بهذا القول ، فما هي الأسباب التي جعلتهم يتقاتلون ، وفي أي زمن كان قتالهم ، ومن هم أولئك المتقاتلون ؟ ولو وجدنا إجابة لهذه الاسئلة لربما صدقنا هذه الرواية ، ولو اعتقدنا بصحة هذا القول مثلاً ، حتى ولو لم نجد إجابة للأسئلة السابقة ، فمتى حصل الوقت الكافي لمن بقي حياً فيشيد مثل تلك القبور السطحية ، ثم يطلي بعضها بالجص ، أو ينقشها بالمرو الأبيض حتى تصبح في شكل معماري جميل[1] .

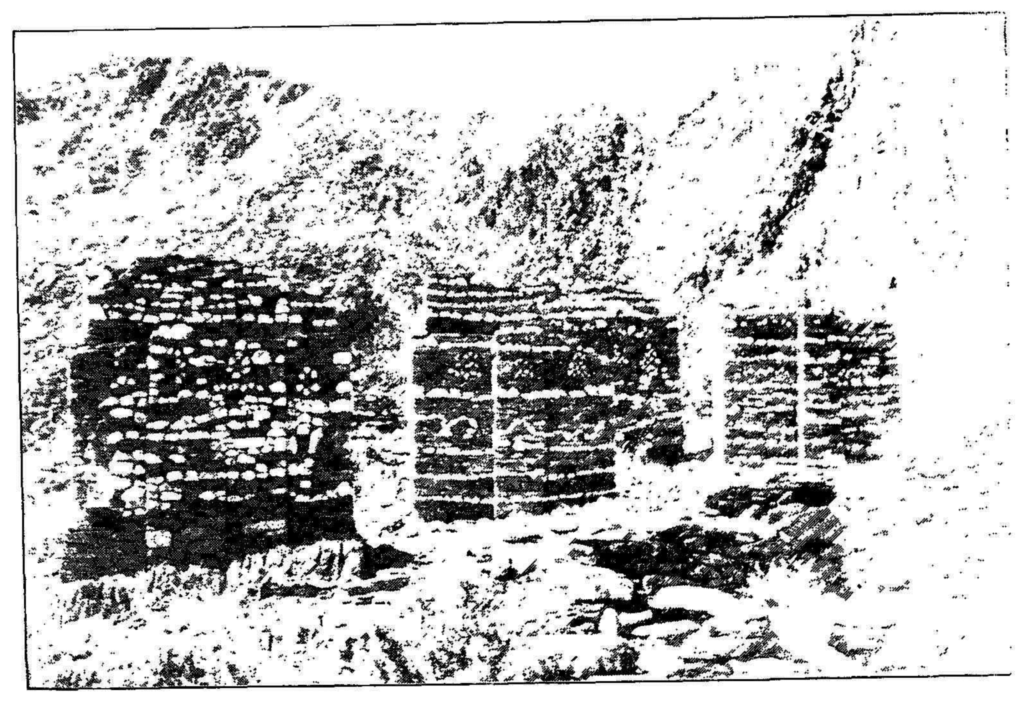
والشيء الذي لا أستطيع الجزم به ، هل من الممكن أن مثل هذا النوع من القبور بُني قبل ظهور الاسلام ؟ بدليل أن بعضها لم يكن على اتجاه القبلة . وهذا أمر محتمل الخطأ والصواب ، علما بأن أقسام الآثار في المملكة العربية السعودية تستطيع تحديد تاريخ مثل هذه المقابر ، وخاصة أنه لازال في بعض القبور السطحية الكثير من رفات الموتى ، والتي عن طريقها يستطيع تحديد تاريخها . وإن قلنا أن تاريخها ربما كان في العهود الإسلامية فهذا قول يحتمل الخطأ والصواب أيضا ، لأن بناءها أو حفرها على غير جهة القبلة ليس دليلاً قاطعاً ، فلربما من بناها ودفن الموتى كان جاهلاً بدفن المسلم ، فلم يكن يفكر في وضعه على اتجاه القبلة ، ولم يفكر أيضاً في عدم شرعية بناء القبور فوق سطح الأرض ، أو في حرمة نقشها وتزيينها . ومن المحتمل أن بناء وتشييد مثل هذه القبور حدث في القرون الإسلامية المتأخرة الماضية ، وخاصة إذا علمنا ما ساد ، أجزاء عديدة في العالم الإسلامي ، من الفوضى والتخلف والجهل بأمور الدين الإسلامي .

---

(١) مشاهدات وانطباعات الباحث في صيف عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ايضا انظر ، ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٤٨ - ١٥٢ .



شكل رقم (١٢) نموذج لأحد القبور السطحية في وادي عياء ببلاد بللحمر ـ عسير



شكل رقم (١٣ نموذج لبعض القبور السطحية متعددة الطوابق

٣ ـ الأطعمة والأشربة

قال الله تعالى ﴿ **يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين** ﴾[١]. وقال تعالى ﴿ **كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾[٢]. إن كم الحديث عن الأطعمة والأشربة يتوقف على الامكانات المادية ، وعلى وفرة الأنواع المتعددة من الطعام والشراب . فلو أردنا الكتابة عن الأطعمة والأشربة الموجودة في يومنا الحاضر ، لدّونا في هذا الموضوع عدة مجلدات ، لأنه ظهر الكثير من أنواع الطعام والشراب ، التي منها المحلي والعالمي . ولأن الفترة التي نريد دراستها هي القرون المتأخرة الماضية ، وخاصة عندما كان الناس في شح في مأكلهم ، ومشربهم ، فلم تكن أغلب أطعمتهم وأشربتهم إلا مما تنتج حقولهم الزراعية ، أوما يستخلصون من حيواناتهم التي يمتلكون ، أوما يتم صيده من الطبيعة التي يعيشون فيها ، أومن البحر أو العيون التي يجاورون . ومع تلك الإمكانات كان الناس في ضيق من عيشتهم ، فقد تفسد مزارعهم ، أو تمرض حيواناتهم وتموت ، أو يقل سقوط الأمطار عليهم فتجف الأرض ، أو تعتريهم حروب أو أمراض فتفتك بهم . وبالتالي يجتاحهم القحط والجوع حيث لا يوجد البديل الذي يقتاتون منه ليسلموا من الهلاك والموت[٣].

والأطعمة والأشربة التي كانت عند الأوائل تختلف من كل أسرة لأخرى ، ومن منطقة لمنطقة ، فالأغنياء ليسوا مثل الفقراء ، والطبيعة ومصادرها ليست عند كل الناس سواء ، فالعاملون في مهنة الرعي أغلب أطعمتهم وأشربتهم مما يمتلكون من حيوانات ، والصيادون على سواحل البحر يكون طعامهم مما يجلبون من صيد البحر ، أو يحصلون عليه من التجار في الموانى البحرية ، وأصحاب المزارع والبساتين يكون جل قوتهم مما تنتج حقولهم وبساتينهم ، والحرفيون والتجار في القرى الكبيرة مما يتم شراؤه من الأسواق التي حولهم . وتتشابه وتختلف الأطعمة والأشربة عند هؤلاء كلهم ، أو عند بعضهم من حيث النوعية ، والمصطلحات التي يُسمى بها كل طعام أو شراب ، وفي طريقة الإعداد والصنع . ولهذا سنذكر أهم الأطعمة والأشربة التي كانت موجودة مع توضيح طريقة ومواد صنعها ، ومكان انتشارها . وسنبدأ بالأطعمة أولا ، ثم نتبعها بالحديث عن الأشربة .

التصابيع أو (المصبُعة) : عبارة عن قطع صغيرة كروية الشكل تصنع من عجينة البر ، ثم تقذف قطعة بعد الأخرى في قدر به ماء يغلي حتى تنضج ، وتقدم مع السمن والعسل ، وأحياناً يخلط معها اللبن . وهذه الأكلة تعرف بهذا الاسم عند سكان قبائل عسير الرئيسية ، وبين قبائل شهران وما حولها . ونفس النوع عرف في منطقة جازان وصبيا وما حولها ولكن باسم (**المفالت**) ، وأحياناً يضاف السكر أو الحليب على مواد صنعها في تلك

---

(١) سورة البقرة، آية (١٦٨).

(٢) سورة البقرة، آية (٦٠).

(٣) وما نعيش فيه اليوم من خير ونعيم ، نعمة من الله، فيجب الحفاظ عليها بالشكر وعدم الإسراف ، ثم نتذكر حياة الآباء والأجداد، وما كان يعتريها من جهد ومشقة ليسد الواحد منهم رمق جوعه وجوع أفراد أسرته.

الأجزاء كما عرف نفس النوع في بلاد الحجر (**بللحمر** ، **وبللسمر** ، **وبنو شهر** ، **وبنو عمرو**) واطلق عليه اسم (**القرْد**) بفتح القاف والراء وتسكين الدال . ولا يستبعد وجود نفس النوع في اماكن عديدة في إقليم عسير ، وبمصطلحات تختلف عما ذكرنا .

الثريث : هذه اكلة حلوة في مذاقها ، ويكثر استعمالها في الأجزاء التهامية ، وخاصة في صبيا وابي عريش ، وبيش ، وجازان ، وغيرها . وتتكون من حب الذرة الخضراء ، التي لم تجف بعد . فيتم طحنه ثم عجنه ووضعه على هيئة أقراص تخبز في التنور ، وتسمى هذه العملية عند بعض تلك البلاد باسم (**الخضير**) . وعندما تصبح الأقراص جاهزة توضع في اناء مصنوع من الطين الفخاري ، ويضاف إليها لبن البقر المغلي ، ثم تهرس بقطعة خشبية على شكل ملعقة تعرف باسم (**المذربة**) أو (**المهرس**) ، ويضاف إليها قليل من السمن والسكر لكي تصبح حلوة المذاق ، ثم يتم تناولها بالأصابع ، وغالبا تكون أكلة مشهورة في شهر رمضان ، وخاصة في وجبة السحور .

والثريث خلاف طعام الثريد ، فالأخيرة عبارة عن خبز من البر أو الذرة يفت ويبل بالمرق او الماء ، ثم يوضع أحياناً فوق اللحم . وهذه الأكلة قديمة عرفها العرب منذ العصر الجاهلي ، واستمرت خلال العهود الإسلامية المختلفة[1].

الحنيذ : من اللحوم التي يتم إعدادها في بعض المناسبات ، ويصنع بعد جلب اللحم بوضعه في التنور مباشرة على الفحم ، ثم يُغطى التنور مدة لا تزيد عن ثلاث ساعات ، بعدها يخرج ويمسح بالماء المملح ، لكي يكون طعمه مالحاً بعض الشيء . ويقوم بعمل هذه الأكلة الرجال والنساء على حد سواء ، وتعرف عند أغلب سكان عسير ، ولازالت من الأكلات المحببة عندهم إلى وقتنا الحاضر .

ولأنّ اللحوم لم تكن متوفرة بشكل جيد في القديم ، فالكثير من الأسر كانت لا تأكل اللحم إلا في عيد الأضحى . ومن الفقر الذي كان يعانيه الناس ، كانوا يقومون بتجفيف لحوم الأضاحي ، فيعلقونها على حبال في أماكن جيدة التهوية ، ثم يستعملونها طوال العام وعلى فترات متباعدة . ويطلق على هذه العملية اسم (**القديد**) في بعض الأجزاء السروية ، و (**الخزين**) في كثير من المواقع التهامية .

وعُرف طعام آخر اسمه (**المحشوش**) في جازان وصبيا وما حولهما ، أو (**القورمة**) في بعض الديار السروية . وهذا النوع من الطعام يختلف عن (**القديد**) أو (**الخزين**) ، وغالباً ما يحضَر بمناسبة عيد الأضحى أيضا ، حيث يقطع جزء من الأضحية ، ثم يفصل اللحم عن الشحم ، ويوضع الأخير في قدر ، ويطبخ حتى يذوب الشحم إلى سائل ، ثم يوضع اللحم بعد تقطيعه إلى أجزاء صغيرة على ذلك السائل ويطبخ بعض الوقت ، ثم يجمد ويرفع في مكان خاص ، ويبدأ أصحاب البيت باستخدامه على فترات متباعدة ، ويستمر لفترة طويلة دون أن يصيبه العطب والفساد .

---

(١) وللمزيد من التوضيح عن هذا النوع من الطعام، انظر. ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة. كتاب المخصص (بيروت، د.ت) جـ ٥، ص ١٣ . M.M. Ahsan. Social Life Under the Abbasids (London: Longman, 1969).PP.76 ff.

الخمير : طعام يصنع من حب القمح ، أو الشعير ، أو الذرة الرفيعة ، يطحن ويعجن ويخمر بعض الوقت ، ثم يخبز في التنور على هيئة أقراص .

الرواكة واللهيدة : طعامان متشابهان في الصنع ، يصنعان من دقيق القمح ، وفي بعض الأحيان من الذرة ، ويضاف إليهما بعض البهارات ، ويخلط عليهما السمن والعسل بعد نضجهما . وهذان النوعان بسيطان خفيفا الإعداد ، وغالباً يعدان لكبار السن أكثر من غيرهم .

المرزوم : طعام شعبي يوجد في بعض الديار التهامية ، ويصنع من خبز الذرة أو الدخن ، يتم عصده مع اللبن المغلي حتى يصير على هيئة كتلة متماسكة بعضها مع بعض ، ثم يوضع في إناء فخاري أو خشبي ، ويصب في وسطه أو بجانبه اللبن أو السمن والعسل . وهذه الأكلة قريبة من طعام العريكة المشهورة في الأجزاء السروية من إقليم عسير ، والتي تصنع من خبز البر ، ثم تقدم على صحن وقد كومت على أحد أطرافه وبجانبها قدح من السمن والعسل . وربما وضعت العريكة في قدح ، ثم يوضع السمن والعسل في فجوة محفورة في وسطها . والمطحوح أو المبثوث ، أحد أنواع العريكة المعروفة في عسير ، يختلف في صنعه عن طعامي المرزوم والعريكة السابقي الذكر . وهو عبارة عن طحين القمح المطبوخ مع الماء واللبن . ويقدم بعد نضجه ممزوجاً بالسمن والعسل في شكل مبثوث (**شبه سائل**) .

السويق : عبارة عن طحين الشعير الذي يقطف ولازال بين الخضرة والاصفرار ، ثم يعجن في اناء ويطهى ، ثم يضاف عليه العسل والسمن أثناء الأكل .

والعسل : من الأطعمة والأشربة المتوفرة بكثرة في أجزاء عديدة من بلاد عسير . فهناك فئة من السكان يعملون على تربية النحل ونقله من مكان لآخر بحثاً عن الأزهار والأشجار الطبيعية الجيدة ، ومن أهم أنواع العسل في إقليم عسير : عسل الشوكة ، وهو ما يتغذى نحله على الأشجار والنباتات الشوكية ولونه بني غامق ، وعسل السدرة ، وهو ما يعتمد النحل في تغذيته على شجر السدر . وعسل المجره ، وهو ما يتغذى نحله على زهور متعددة ، من أهمها نبات يسمى (**الوشاية**) . ويأتي عسله أبيض ناصعاً ، وهو من أغلى أنواع العسل ثمناً ، ويذكر العارفون بأنواع العسل ، أن الأول والثاني من الناحية الغذائية والعلاجية أفضل ، أما الثالث فهو ألذ . ونوع رابع يسمى (**القيضة أو الصيفي أو الغيلة**) وهو نوع خفيف وأقل جودة من الأنواع السابقة . ومن هذه الأنواع ما يحتفظ بشمعه ، ومنها ما يصفى من الشمع . والبعض من السكان يأكل العسل مع السمن والخبز وما شابهه ، وبعض آخر يأكله أو يشربه بدون أن يخلط معه شيء آخر .

العصيدة : تصنع من القمح ، أو من الذرة ، أو من الشعير . وتؤكل مع المرق ، أو مع السمن والعسل ، أو اللبن ، وتختلف طريقة أكلها عن الأطعمة الأخرى ، وخاصة إذا أكلت مع اللبن أو المرق ، فتقبض اللقمة منها وتكور ، ثم تقرص من الوسط حتى تصبح مجوفة ، وتغمس في اللبن أو المرق فتملأ ثم تؤكل . ويحتاج الفرد بعض الوقت حتى يجيد طريقة أكلها . وطعام العصيدة منتشر عند أهالي السراة أكثر من سكان الأجزاء التهامية ، ويطلق

عليه عند البعض اسم (**المعصوبة**) . وخاصة إذا كان معمولاً من دقيق القمح فقط . والمعصوبة تختلف عن المعصوب الذي يكثر استعماله في المناطق التهامية ، كبيش ، وجازان ، وصبيا ، ومحايل ، وغيرها . والمعصوب يصنع من دقيق البر الأسمر ، ويوضع عليه الماء ثم يطبخ على النار لفترة قصيرة ، مع الاستمرار في تحريكه مدة بقائه على النار . أما العصيدة فتعرف عند بعض أهالي عسير باسم (**المشغوث**) أو (**المشخوث**) ، وأحياناً تصنع بمقادير كبيرة . وخاصة في بعض المناسبات الاجتماعية الكبيرة ، كحفلات الزواج ، والأعياد ، والختان . وعند الانتهاء من طهو العصيدة توضع في أواني مصنوعة من الأشجار المحلية ، تسمى (**صحاف**) ، ومفردها (**صحفه**) ، ثم يغطى سطحها بالسمن والعسل . وهذا النوع من الطعام من أفضل الأكلات الشعبية عند الأوائل في القرون الماضية .

اللحوح : من الأكلات الشائعة عند أهل تهامة ، وتصنع من الذرة الرفيعة ، أو الدخن في هيئة رقائق حفيفة ، ويؤتدم معها في بعض الأحيان باللبن ، أو الحليب ، أو الحلبه ، وغالباً ما تقدم في شهر رمضان .

وفي تهامة يعرف نوع من الأطعمة يسمى (**المخموعة**) ، ومكوناته اللحم ، والبر الأسمر ، والمرق . يصنع على هيئة أقراص ، ثم يهرس في المرق ، ويضاف عليه اللحم ، وتمزج جميعها معا ثم توضع على النار حتى تنضج .

المرسة : من الأطعمة المعروفة عند أهل تهامة ، وتتكون من دقيق القمح الذي يعجن ثم يخبز في التنور . وبعد النضج يقطع إلى قطع صغيرة ، ويضاف عليه الموز البلدي ، ويخلط الموز مع الخبز ، ثم يصب عليه العسل والسمن ويؤكل . وطعام المرسة يختلف عن المريسة المعروفة في بعض الأجزاء السروية في إقليم عسير ، والتي تستخلص من طبخ التمر حتى يمتزج بعضه مع البعض الآخر .

والمفتوت : من المأكولات الشعبية في تهامة ، ويتكون من عجين الذرة مع اللبن الرائب والماء الذي يمزج بعضه مع بعض حتى يصبح أكلة لينة طرية ، ثم يضاف إليه بعض شيء من السمن البلدي أو المرق .

والمفحس : من أكلات أهل تهامة أيضا ، وهو عبارة عن أقراص الذرة التي تفتت إلى قطع صغيرة ، ثم يوضع في اناء فخاري يطلق عليه اسم (**الحيسية**) ، وترش بالمرق حتى تصبح طرية سهلة المضغ ، ثم يضاف فوقها اللحم .

وإلى جانب ما ذكرنا من أطعمة ، هناك أنواع أخرى تأتي مع بعض المواسم والمحاصيل الزراعية ، أمثال : شواء بعض ثمار نبات الذرة على النار ، ثم فركها وأكل ما يستخلص منها من حبوب . ويطلق على هذه العملية عند بعض سكان إقليم عسير أسماء عديدة مثل : كلمة (**الغميل**) أو (**الحكيته**) أو (**حميص**) . أيضا يقطف البرسيم ، أو القضب من مزارعه ، ثم يطبخ ويؤكل ويشرب ما ينتج عنه من ماء . وهناك خضروات أخرى ، كالعدس ، واللوبيا ، وبعض ثمار الفاكهة تطهى وتؤكل ، وأحياناً يتم أكلها بدون طهو . ويصطاد أهل

البوادي بعض الغزلان ، والأرانب ، والحباري ، والطيور ، فيشوونها ويأكلونها . وأهل السواحل يقومون بصيد الأسماك والعيش على ما يتم صيده .

والبلاد العسيرية مليئة بالتمور والفواكه والخضروات المحلية ، فهناك التفاح ، والموز ، واللوز ، والسفرجل ، والتين ، والبرشوم أو ما يسمى بـ (**التين الشوكي**) والعنب . كما أن هناك الطماطم ، والبطاطس ، والنعنان وغيرها من الخضروات التي تؤكل طازجة ، أو تطهى قبل أكلها . وأغلب هذه الأنواع من الفواكه وغيرها لا توجد إلا عند أصحاب المزارع والمستقرين الذين يمتهنون مهنة الفلاحة ، ومعظمهم في الأجزاء السروية الوسطى الممتدة من نجران جنوباً إلى بلاد زهران شمالاً .

وكما أن في إقليم عسير العديد من الأطعمة التي أشرنا إلى بعضها ، فهناك أيضا أشربة ، كالمرق الذي يستخلص من طهي اللحوم ، أو بعض الأشربة التي تنتج من طهو بعض الفواكه أو الخضروات ، كخلاصة طبخ التمر أو البرسيم أو غيرهما . أيضا عرفت المشروبات المشتقة من بعض الحيوانات ، كاللبن ، والحليب ، والزبد ، والسمن . وعرف العسل ، والقهوة الحلوة والمرة ، وشراب القشر الذي يستخلص من طهي قشرة حب البن . وما نشاهد من تعدد في الأشربة الطبيعية والصناعية في وقتنا الحاضر (**كالشاي ، والعصيرات والأشربة الغازية وغيرها**) لم تعرف إلا في العهود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري . والكثير من سكان عسير ، وخاصة أهل الأرياف والبوادي ، لم يكن باستطاعتهم شراؤها حتى لو عرفوها ، لما كانوا يعانونه من الفقر وشظف العيش .

ومن الأواني المستعملة مع الطعام والشراب ، ما هو مصنوع محلياً في بلاد عسير ، أو ما هو مستورد من الأجزاء المجاورة ، أو من بعض المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية ، مثل : مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجدة ، واليمامة ، وصنعاء ، وصعدة ، وعدن وغيرها . وتختلف أسماء تلك الأواني من مكان لآخر ، ولكن سنذكر بعضها ، وخاصة الأكثر انتشارا . **فالبُرمة** : بضم الباء وتسكين الراء ، قدر مصنوع من الفخار يستخدم للطبخ . **والجونة** : وعاء مصنوع من الطفي أو سعف النخل ، وبها يحفظ الخبز ليبقى ساخناً . **والحُكُرْ** : بضم الحاء والكاف وتسكين الراء ، وهو إناء يصنع من الخشب وغطاؤه من السعف المغطى بالجلد ، وبه يحفظ الزبد . ويطلق عليه عند بعض السكان أسماء عديدة منها : (**الصحنه**) أو (**المجمعه**) . **والخمرة** : وتسمى أيضا (**الدلة**) ، وهي اناء مصنوع من النحاس أو الصفر ، وفي الغالب تستورد من مدن اليمن والحجاز الكبرى ، وتستخدم في طبخ شرابي القهوة والقشر وما شابههما . والصحفة التي ورد معنى ذكرها ، وجمعها (**صحاف**) ، وتصنع من شجر الدوم ، أو السدر ، أو السلم ، أو الطلح ، ويفرغ بها طعام العصيدة (**المشغوثة**) أو (**المشخوث**) ، والمعصوبة . والعكة : وعاء مصنوع من جلد الماعز ، ويحفظ بها السمن أو العسل . **والغضارة** : وهي إناء مصنوع من الفخار أو الصين ، أو الصفر ، ويوضع بها الماء ، والمرق ، واللبن ، وبعض السوائل الأخرى . **والمبرد** : وعاء يصنع من الخشب ، وفيه يبرد البن بعد حمصه . والمهراس إداة تصنع من الخشب أو من المعدن لطحن البن والزنجبيل أثناء

إعداد شراب القهوة . **والمنسف** : وعاء يصنع من سعف النخل أو الطفي ، وينقى عليه الحب .

وللطعام والشراب عادات تعارف عليها أهالي إقليم عسير ، فكان لهم في اليوم ثلاث وجبات رئيسية . وربما كانت اربعاً وخمساً ، الأولى وجبة الافطار قبل شروق الشمس ، وعند الضحى تقدم بعض الأطعمة والأشربة الخفيفة . وفي صلاة الظهر تقدم الوجبة الرئيسية الثانية ، وهي طعام الغداء . وفي صلاة العصر يتم تناول بعض الأطعمة المصنوعة من الخبز مع شراب القهوة أو القشر أو غيرهما . وفي الليل بعد صلاة المغرب ، وأحياناً بعد صلاة العشاء يقدم طعام العشاء ، وهو الوجبة الرئيسية الثالثة . وهناك بعض الاختلاف في عدد الوجبات ، وفي نوعية الأطعمة التي تقدم من أسرة لأخرى ، كل حسب ظروفه وقدراته .

والنساء في كل أسرة يقمن بإعداد الأطعمة والأشربة لأفراد بيوتهن . والترابط والتعاون بين افراد الأسرة الواحدة كان قوياً ، فنجدهم جميعا يتناولون الطعام معا وفي وقت واحد[1] . والأم ، أو الجد ، أو كبير الأسرة من يقوم بتقسيم الطعام بين أفراد الأسرة إن كان خبزاً ، فيعطي كلاً على قدر سنه ، فالفرد الكبير يعطى قسماً أكبر من الطفل أو الفرد الصغير . وإن كان الطعام عصيداً أو هريساً ، أو معصوباً ، أو ما شابه ذلك فيوضع في صحن كبير ، ثم يتقدم الرجال والأولاد الكبار فيأكلون ، وبعد قيامهم يأتي بعدهم النساء والبنات والأطفال الصغار . وأحياناً كان يقسم الطعام في صحنين أو أكثر حسب حجم الأسرة ، ثم يجتمع الرجال والأولاد والكبار على صحن ، والنساء والأطفال على صحن آخر . وفي حالة وجود ضيف أو ضيوف عند رب الأسرة ، يُقدّم لهم الطعام ويجلس صاحب البيت معهم ، وأحياناً يتركهم يأكلون وحدهم ، وبعد انتهائهم يأتي رب البيت وأفراد أسرته فيأكلون من بعدهم .

ولبعض سكان بلاد عسير ، وخاصة القاطنين في الأجزاء السروية ، عادات أخرى ، إذ يستقبلون الضيوف فيرحبون بهم ، ثم يقدمون لهم بعض الأطعمة والأشربة الخفيفة ، كالتمر والقهوة ، وعند تجهيز الوجبة المُعَدّة للضيف ، سواء كانت لحماً ومرقاً ، أو هريساً ، أو عصيداً ، أو غير ذلك ، يأتى صاحب البيت إلى ضيفه ، ثم يناديه بإسمه معلناً أن الغذاء أصبح جاهزاً ، فيقوم الضيف ومن معه للأكل ، وقبل البدء يقول صاحب البيت بعض العبارات التى يسمعها الضيف ومن جلس معه على الطعام ، معبراً أن هذا الطعام من أقل الواجبات التى يقدمها لضيوفه ، ثم يطلب منهم البدء في الأكل ، مع طلب المعذرة منهم إذا كان هناك تقصير في واجبات الضيافة[2] .

ولأهالي إقليم عسير آدب في تناول الطعام ، حيث يقوم البعض منهم بغسل الأيدي قبل الأكل ، ثم الجلوس على الأرض حول صحون الطعام ، إن كان عصيداً أو هريساً وما

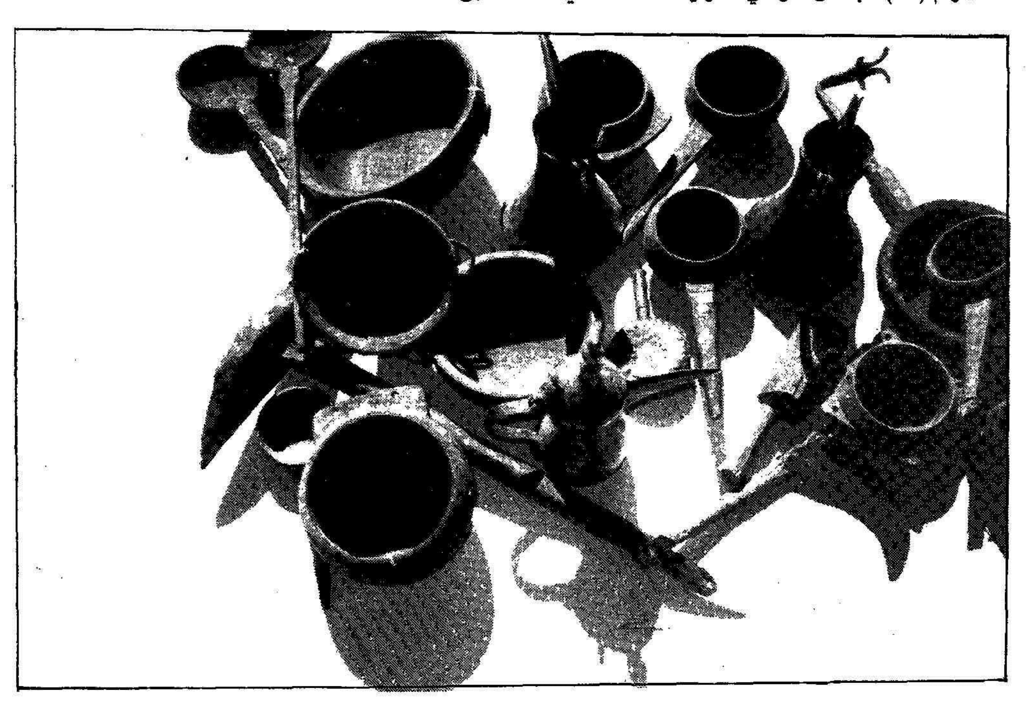
---

(1) بخلاف عصرنا الحاضر ، الذي تفرق فيه افراد الأسرة الواحدة . وكثرت أعمالهم فلا نراهم يعيشون العيشة التى كان يحياها الأوائل في القرون الماضية . وصار الكثير من افراد الأسرة الواحدة لا يجتمعون إلا في بعض المناسبات الكبيرة، كالأعياد وغيرها، واحيانا قد لا يجتمعون كلهم حتى في الحفلات الكبيرة .

(2) في اعتقادي ان هذه العادات توارثها الآباء عن الأجداد ، وهي من العادات الحميدة التي تعكس مقدار الكرم عند أهالي البلاد، ولازالت سارية المفعول حتى يومنا الحالي.



شكل رقم (١٤) : بعض الأواني المنزلية المستخدمة في مهنة الطبخ



شكل رقم (١٥) : أدوات منزلية متعددة الأغراض ومتنوعة الصنع

شابهه . مع استعمال أصابع اليد اليمنى في الأكل ، وذكر اسم الله عند البدء وعند الانتهاء من الأكل يحمدون الله على ما رزقهم ، ثم يغسل بعضهم أيديهم إذا كان الأكل الذي أكلوه يحتاج إلى غسل ، وأحياناً ، وخاصة عند الفلاحين والرعاة ، وأصحاب الحرف اليدوية ، لا يغسلون أيديهم إذا أكلوا أكلة دسمة ، وإنما بعد انتهائهم من الأكل يمسحون أيديهم ببعضها لأجل فرك الدهون التي بأيديهم حتى تختلط بجلودهم لعلها تكسبها بعض النعومة فتقلل من جفافها الذي ينتج عن ممارسة مهنهم كالزراعة والرعي وغيرها .

وليس ما ذكرناه من ألوان الطعام وأنواع الأشربة ، وعاداتها وتقاليدها ، هو كل ما كان معروفاً من هذه الأصناف . ولكني فيما أعتقد ذكرت أهمها وربما معظمها ، وقد يكون فاتني ذكر بعضها ، وليس الغرض هو الإحاطة بكل شاردة وواردة عن كل ما كان يتناوله الناس من طعام وشراب ، وإنما الغرض الحقيقي هو إعطاء صورة عن ذلك ، آملاً أن أكون قد وفقت في إعطاء هذه الصورة حقها من الوضوح والتبيين[1].

٤ - الألبسة والزينة :

كان مستوى الألبسة والزينة في بلاد عسير ، خلال القرون السابقة بسيطاً ، وإن اختلفت طريقة ونوعية الملابس من فرد أو أسرة أو منطقة لأخرى ، فالأثرياء كانوا أفضل حالاً من الفقراء ومتوسطي الحال ، كما أن طبقة العلماء والفقهاء ، أو الأمراء والشيوخ تختلف ملابسهم عن طبقات عامة السكان . أيضاً اختلاف الظروف الطبيعية ، سواء كانت المناخية أو التضاريسية ، أثرت في نوعية وطبيعة الملابس . فأهل الأجزاء التهامية كانوا يلبسون الملابس الخفيفة ، وذلك لطبيعة المناخ الحار في بلادهم ، أما أهل المرتفعات والأجزاء السروية فكانوا يحرصون على اقتناء الملابس الثقيلة ، وخاصة في فصل الشتاء ، حيث الطقس شديد البرودة .

ولتشعب الحديث عن الملابس والزينة في إقليم عسير ، رأينا أنه من الأفضل تقسيم الموضوع إلى ثلاثة عناصر . نذكر في الأول ملابس الرأس عند جميع فئات السكان ، ثم ننتقل إلى شرح ووصف ملابس البدن سواء كانت داخلية أو خارجية ، وأخيراً نذكر ألبسة القدمين .

---

(١) وللمزيد من التفصيلات عن الأطعمة والأشربة وآدابها، انظر. ابن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو، ص ٨٧ - ٨٩، عبدالله الحامد ، الحياة الاجتماعية في جزيرة العرب خلال قرنين من الزمان ، (١١٥٠ - ١٣٥٠هـ) مجلة العرب، جـ ٣ - ٤ (سنة، (١٤) ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ١٩٥ - ٢٠٨. .M. Ahsan. Social Life, PP. 76-164 ايضا هناك العديد من البحوث التاريخية والجغرافية (غير المنشورة) في كلية التربية - جامعة الملك سعود - فرع ابها، والتي يوجد بها الكثير من المعلومات القيمة عن الحياة المعيشية في إقليم عسير. انظر. اسماء بعضها ، واسماء كاتبيها في قائمة المصادر والمراجع الواقعة بنهاية هذا الكتاب .

فلباس الرأس عند الرجال ، وخاصة سكان الأجزاء السروية ، كان العمامة(١)، ويطلق عليها البعض اسم (**غترة**) أو (**دِسّمال**) بكسر الدال وتشديد السين . وهي قطعة من القماش الأبيض ، أو الأحمر ، أو الأخضر ، أو الأسود ، أو البني ، كانت تلبس على الرأس بطرق مختلفة . فهناك من يلفها حول الرأس ، أو يضعها منشورة ثم يربط طرفيها من حول الرقبة . ولأهمية العمامة ومكانتها عند المجتمعات العربية بشكل عام ، وعند الكثير من سكان عسير بشكل خاص ، كان الرجال صغاراً وكباراً يلبسونها . وهي في العرف العربي ومن قديم الزمان تزيد الرجال وقاراً ، ومن لا يلبسها كان ينظر إليه بعين الازدراء . ولها فوائد أخرى فهي تحمي الرأس من حرارة الشمس ، وشدة البرد ، وتكسب من يلبسها جمالا ومنظراً حسناً .

والعلماء والفقهاء والأمراء وشيوخ القبائل وكبار السن كانوا أكثر الناس حفاظاً على لبس العمائم ، والبعض منهم كان يلبس عليها عقال المقصب الذي يتم استيراده من بعض أسواق الحجاز . وفي أغلب الأحيان يلبس من تحت العمامة الكوفية المصنوعة من القماش الخفيف ، والتي لا تختلف في شكلها عن الكوفية ، أو ما يسمى بـ (**الطاقية**) في وقتنا الحالي . ويلبس (**القُبْعْ**) في أوقات البرد من تحت العمامة ، وأحياناً يلبسه كبار السن وقت النوم ، وفي العادة يصنع من القطن أو الصوف ، فيغطى به الرأس ، ثم تتدلى أطرافه حتى الأذنين والرقبة .

أما النساء فكان لزاماً عليهن تغطية رؤوسهن بحجاب ، لما يمليه عليهن الشرع الحنيف ، والحجاب المستخدم متعدد الألوان ، فكان منه الأسود ، أو الأخضر ، أو الأصفر . ويظهر هناك اختلاف في لباس الرأس عند البنات الصغيرات ، أو اللاتي لم يتزوجن بعد ، حيث كن ، إلى عهد قريب ، يلبسن غطاء للرأس ذو لون أبيض أو أصفر ، وبعد زواجهن يضعن على هذا الغطاء غطاء آخر يسمى (**مقلمة**) ، ويكون في الغالب أسود اللون .

كما أن كبار السن من الرجال والنساء كانوا يعصبون رؤوسهم من فوق العمائم للرجال ، أو المقلمة للنساء ، ولازالت هذه الظاهرة مستخدمة حتى الآن عند الكثير من سكان البلاد . كما أن الأولاد الصغار ، وخاصة أبناء البوادي ، كانوا يكتفون بوضع كوفية على الرأس بدون عمامة ، وأحياناً تبقى رؤوس بعضهم حاسرة ، وليس ذلك ناتجاً عن عدم رغبة في لبس العمامة أو الكوفية ، ولكن لعدم الحصول عليها ، للفقر والشح الذي كانوا يعيشون فيه(٢).

وفي الأجزاء التهامية تغطي بعض النساء رؤوسهن بنوع من القماش يسمى (**المصر**) ، ثم يوضع من فوقه لباس آخر ذو لون أسود ، يطلق عليه اسم (**القطاعة**) ،

---

(١) عرفت العمامة عند العرب من قبل الإسلام ، واستمر استخدامها والاهتمام بها خلال العهود الاسلامية المختلفة . أنظر ، ابن جريس « العمائم تيجان العرب » مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٨) (محرم ، ١٤١٣هـ) ص ٦٦ - ٧١ .

(٢) ليس هناك وجه مقارنة بين العهود التي عاشها الأوائل ، وبين عصرنا هذا . فالأوائل كانوا في حياة كلها فقر وضيق في العيش واللباس . أما اليوم فكثرت الخيرات ، وتعددت أصناف الألبسة حتى أصبح من الصعب حصرها .

ولها أسماء عديدة مثل : قطاعة نجران ، قطاعة ساري ، قطاعة طبيعي .

والبعض من الرجال في تهامة ، لا يلبسون على رؤوسهم أي لبس ، وإنما يربون شعورهم ، ثم يضفرونها ، وتترك مكشوفة . ويتباهون بكثافة الشعر ، ويطلقون عليه اسم (**الجمم**) أو (**الجهوف**) بكسر الجيم أو ضمها ، وأحياناً يعصبون الشعر بعصائب مصنوعة من بعض الأعشاب أو الشجيرات المحلية[١].

أما ألبسة البدن الخارجية عند الرجال والأولاد ، فكانت تخضع للأحوال المادية فالأمراء والشيوخ والأغنياء والتجار كانوا يلبسون بعض الثياب ذات الألوان والمنسوجات المختلفة ، امثال : الجبة ، والشملة ، والعبـاءة ، والرداء ، والخميصـة والملاحف ، وغيرها[٢]. ومعظم هذه الألبسة تستـورد من المراكـز الحضاريـة الكبرى في اليمن والحجاز[٣]، وكان هناك ألبسة أخرى تصنع من جلود وأصواف الحيوانات المحلية .

ومن ألبسة الرجال في بوادي عسير ، الثياب المعروفة باسم (**المذيل**) ، وهي ثياب طويلة الأكمام ، فكم الثوب الواحد تراه واسعاً ، ومفتوحاً من أحد طرفيه ، ويتدلى له طرف طويل بشكل مثلث تقريباً من الطرف الآخر . وهو ثوب واسع وقصير ، ربما إلى ما فوق الركبة ، وغالباً يصنع من قماش الدوت أو (**المبرم**) الأبيض ، أومن نوع آخر أقل سماكة من الأول يسمى (**البفت**) أو (**البفته**) . ويلبس من فوق الثوب العباءة أو الشملة المصنوعة من الجلود أو الصوف ذات الألوان السوداء ، أو البيضاء ، أو الحمراء الداكنة . ويصف الرحالة تاميزية (Tamisier) ألبسة بعض الأعراب في بوادي عسير ، فيقول : « **ولم نجد لديهم شيئا من الأقمشة المستوردة من الهند ومصر ، وهم يلبسون رجالا ونساء أثوابا بيضاء أو ضاربة إلى السواد ... وتضع المرأة في خشمها خاتماً ، وفي عنقها عقداً من الودع ...** »[٤].

وألبسة البدن الخارجية عند أغلب رجال السراة لا تختلف عن ألبسة أهل البوادي من حيث سترها للجسد ، لكنها لم تكن واسعة الأكمام وعريضة كالثياب المذيلة عند البدو . وفيها ما كان يصنع من الدوت ، أو البفتة ، أو الكتان الأبيض ، أو الصوف الملون . ولم تكن الثياب كثيرة وموجودة بوفرة عند جميع أفراد وأسر المجتمع ، وإنما البعض كان لا يملك إلا ثوباً واحداً يمارس فيه جميع أعماله . أما الأكسية التي توضع فوق الثياب فهناك العباءة أو الشملة أو بعض الأردية الأخرى ، وأحياناً لا يملك أفراد الأسرة الواحدة ، إلا شملة أو

---

(١) لازال في تهامة عسير البعض ممن يجيد هذه الطريقة ، وأحياناً يستبدلون عصابة الأشجار ، بالعقال أو ما شابه .

(٢) انظر تعريفات هذه الألبسة في المعاجم العربية ، كلسان العرب ، لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، كما أشار اليها . M.Ahsan. Social life, PP.41–42

(٣) يرجع استيراد اهالي عسير للألبسة والمنسوجات من حواضر اليمن والحجاز ، إلى العهد الجاهلي ، وإلى عهود الاسلام المختلفة . أنظر . ابو الوليد الأزرقي . اخبار مكة وما جاء فيها . تحقيق رشدي ملحس (مكة المكرمة : مطبعة دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ابن المجاور . تاريخ المستبصر ، جـ ١ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ ، محمد بن عبدالله بن بطوطة . رحلة ابن بطوطة (بيروت : دار صادر ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٦٠م) ص ١٦٤ ـ ١٦٥ . راجع أيضا ، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٨م) جـ ٧ ، ص ٩٨ وما بعدها ، ابن جريس ، أهم الملابس العربية خلال العهود الاسلامية الأولى ، مجلة المنهل ، عدد (٤٩٨) مج (٥٤) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٧٨ ـ ٩٥ .

(٤) انظر مقال تاميزية في مجلة العرب ، ص ٦٥٧ .

شكل رقم (١٦) : نموذج من الزينة والألبسة المستخدمة عند سكان الأجزاء السهلية التهامية



شكل رقم (١٧) : نموذج آخر من الزينة واللباس عند بعض سكان الأجزاء التهامية

عباءة فيلبسها كبيرهم . أو من يخرج خارج المنزل وقت البرد ، وأحياناً أخرى لا تملك كثير من الأسر لا شملة ولا عباءة . وإنما جميع ألبستهم عبارة عن أسمال خلقة بالية تستر عوراتهم فقط .

أما ألبسة الرجال في البلاد التهامية فتختلف بعض الشيء عن ألبسة غيرهم في البوادي والسروات . ومعظمها يقتصر على الأزر المكونة من المصنف أو الحوك ، أو المثلوث ، أو الجرافي ، أو بعض الاردية المعروفة باسم (**الكرتة**) وغالباً تصنع من الأقمشة ذات الألوان السوداء أو المخططة . وهناك من يلبس الثياب الفضفاضة الواسعة ، وخاصة من طبقة الأغنياء والتجار ، والوجهاء ، وأحياناً العلماء والفقهاء .

والمصنف لباس يصنع من القطن وبه خطوط عديدة وأطراف ملونة ، وله خيوط في الأطراف ملونة من نفس لون المصنف ، وغالباً كان يُصَدِّره التجار من مدن اليمن أو الحجاز الكبرى . أما طريقة لبسه فيلفه الفرد على الجزء السفلي أو العلوي من الجسد ، وأحياناً يستخدم كغطاء عند النوم .

أما الحوك ، ويعرف أحياناً باسم (**الحوكة**) فهو قماش يؤتزر به لستر العورة ، ويعتبر من الأزياء الشعبية المنتشرة في أجزاء كثيرة من تهامة ، ولازال الكثير من السكان يحبذ لبسه داخل البيت وخارجه .

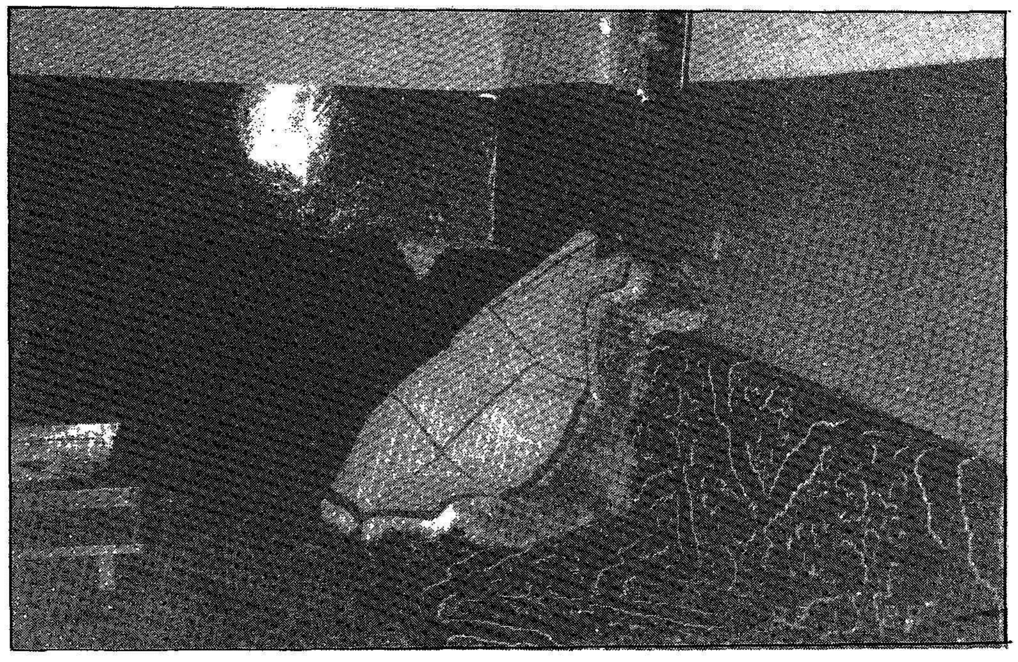
والمثلوث والجرافي من المآزر التي يأتزر بها الرجال على الجزء السفلي من الجسد ، أما الجزء العلوي فيغطى بالقميص أو المصنف وما شابههما . والمثلوث يلبسه الرجال صغارا وكبارا ، وغالباً يحتوي على لونين هما : الأسود والأبيض ، ويعتبر من الألبسة المرغوبة عند بعض الرعاة والمزارعين . أما الجرافي فكان يستورد من بعض مدن اليمن الكبرى ، ويغلب على شكله تعدد الألوان ، ويفضل تقديمه في حفلات الزواج ، كنوع من الألبسة التي يشترط احضارها للزوجة .

أما ألبسة النساء فتختلف باختلاف المكان ، والوضع المادي والمستوى الاجتماعي . فالنسوة من أسر التجار والأغنياء والأمراء يلبسن الثياب ذات الألوان والأنواع المختلفة ، كالأقبية المصنوعة من الفرو ، أو الثياب القطنية ، أو الصوفية ، أو الحريرية ، أو الكتانية ، ومن يلبس هذه الأنواع لا يكون إلا نسبة ضئيلة في المجتمع العسيري ، والغالبية العظمى كانوا يعيشون عيشة بسيطة وشحيحة ، حتى إن بعض النساء لا يملكن إلا ثوباً واحدا يمارسن فيه مختلف أنشطتهن . والغالب على ثياب النساء أن تكون واسعة وساترة لجميع الجسد ، وأشهر الثياب الذي تكثر ألوانه وخطوطه ، ذلك الذي يطلق عليه اسم (**المزند**) أو (**الستن**) ، وخاصة إذا كان لونه أسود ومزيناً بخيوط الحرير والقصب ، أو بـ (**السيم**) ، التي هي عبارة عن خيوط ذهبية أو فضية تختلف في أسمائها بقدر ما يوضع عليها من تلك الخيوط ، فمنها ما يعرف باسم (**العارضي**) أو (**شبكة**) أو (**تلوه**) .

وبعض النسوة كن يلبسن من ألبسة الرجال ، لندرة الألبسة وعدم توفرها ، وفي البوادي وبعض الأرياف يقوم النساء بنسج الصوف ، أو دباغة الجلود ، ثم خياطتها على



شكل رقم (١٨) : المصنف : من الألبسة التي يلبسها الرجال والنساء ، وخاصة في الأجزاء التهامية



شكل رقم (١٩) : القباء أو (المزر) المصنوع من الجلد

هيئة لباس . وعرف العديد من الألبسة في القرون الماضية ، مثل : الأقمصة ، والملايات ، والمدرعة ، والكرته . وأحيانا يلبس فوق الثياب دثار مثل الشملة أو القباء الذي يعرف في بعض مناطق السراة باسم (**المزر**) ، والذي يصنع من جلود الأغنام ، ويلبس مقلوبا (أي يكون الوجه الذي به الصوف من الداخل) . ولباس آخر عرف باسم (**النطع**) يصنع أيضا من جلود الأغنام الصغيرة ، ويفصل بمساحة تغطي الظهر فقط ، أما المرز فينشر على الظهر ابتداء من أعلى الكتفين حتى الكعبين ، ويربط طرفاه العلويان برباط يلتف حول الرقبة ، وهذا النوع من اللباس لا يرتديه إلا النساء المتزوجات ، وأحياناً تلبسه العروس يوم زواجها ، ويلبس داخل البيت ، وأثناء الزيارات وفي إيام المناسبات[١]. أنظر شكل رقم (١٩) .

ومن ألبسة النساء في تهامة الثوب والقميص كلباس خارجي ، والفوطة ، والحوك ، والمصنف كلباس داخلي أو خارجي . ولدى بعض النسوة ألبسة معروفة بأسماء ومصطلحات معينة مثل : حرب صنعاء ، وصرح دبا . وهذان النوعان يصنعان من القطن ويستخدمان في الأعياد ومناسبات الزواج والختان . والنساء يتفاخرن باقتناء مثل هذه الأنواع من اللباس . وعرفت ثياب (**الديبك**) ، وهي من الأنواع الفاخرة التي يصدرها التجار من الحجاز واليمن . ولباس الجلجلان وهي : عبارة عن أقمشة خفيفة يوجد بها بعض النقوش المشابه لحب السمسم .

والألبسة الداخلية عند الرجال والنساء لم تكن موجودة بكثرة ، وإنما كان هناك من يلبس الأقمصة والسراويل تحت الثوب ، وأحياناً كان بعض السكان يلبس أكثر من ثوب وثوبين في وقت واحد ، وفي أوقات أخرى يلف أسفل الجسد بالحوك أو المصنف ثم يرتدي الثوب من فوقها[٢].

أما ألبسة القدم عند النساء والرجال فكانت متوفرة عند الموسرين وعلية القوم في المجتمع ، فلبسوا الأحذية الجلدية المصنوعة محليا . وفي القرن الرابع عشر الهجري صاروا يستعملون الأحذية الأجنبية التي تستعمل حاليا ، وهي (**الجزم ، ومفردها جزمة**) ، وكانت تستورد من مدن الحجاز واليمن ، وأحسن الأنواع منها لامع الجلد صقيل . واستخدمت أحذية أخرى عرفت باسم (**شبشب**) وجمعها (**شباشب**) . واستخدمت مؤخراً الأحذية المتعددة الألوان مع الجوارب ، أو ما يعرف باسم (**الشراب**) .

والأحذية الآنفة الذكر ، لم تعرف وتلبس إلا عند القلة القليلة من السكان ، وخاصة الوجهاء منهم والأعيان . أما عامة الناس فكانوا يلبسون الأحذية الجلدية البسيطة

---

(١) يوجد في اجزاء عديدة من بلاد عسير متاحف شعبية بها العديد من الألبسة المختلفة التي كان يستخدمها الرجال والنساء خلال القرون المتاخرة الماضية . حبذا لو تم الاطلاع عليها لمن يريد الاستزاده حول هذا الجانب الحضاري .

(٢) في القرن الرابع عشر الهجري . وخاصة بعد تدفق البترول ، صار السكان يستوردون الكثير من الألبسة الداخلية والخارجية . ونم تأت العقود المتاخرة من هذا القرن إلا واصبح الناس في خير من أمرهم ، فأصبحوا يمتلكون أعدادا كثيرة من الألبسة المختلفة من حيث اللون والنوعية .

الصنع ، والتي لها شريط رفيع يلف وسط القدم ، وشريط آخر بين الأصبعين ، الكبرى والتي بجانبها . وهذا النوع من الأحذية لم يكن فيه كبير فائدة . والكثير من النساء والرجال ، كالمزارعين والرعاة ومن هو في عداد الفقراء كانوا حفاة ، وأقدامهم قاسية الملمس من طول المشي في الصحاري والجبال والأودية . وهناك من يلبس بعض الأحذية المصنوعة من خوص النخل ، أو من الليف ، أو الطفي ، أو بعض قطع الخشب .

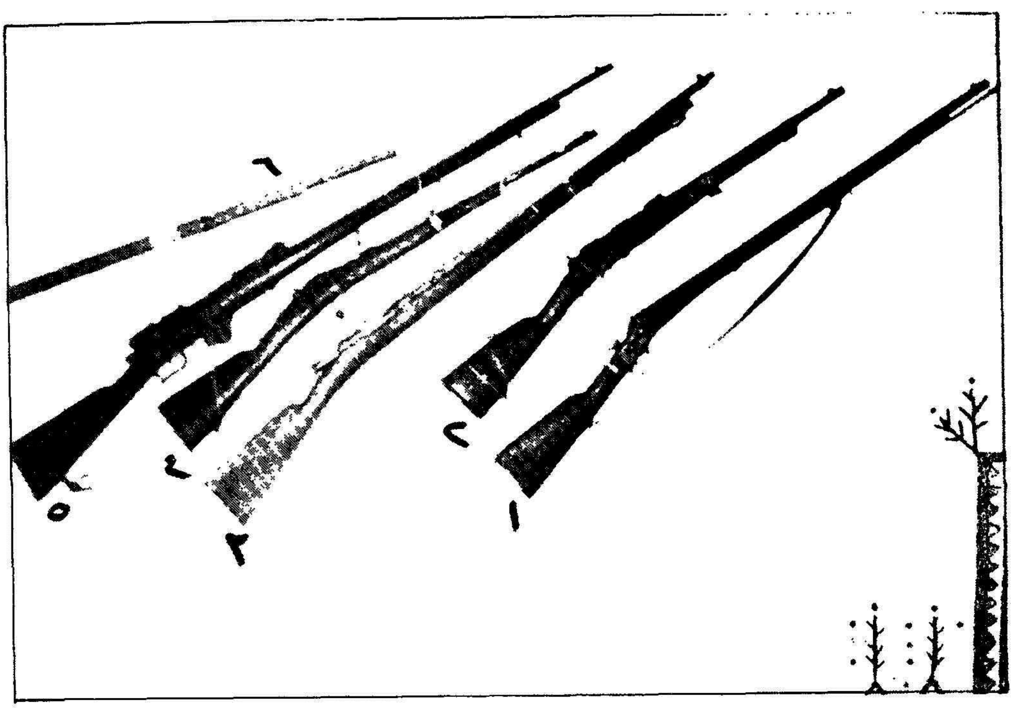
والزينة تختلف من مجتمع النساء إلى مجتمع الرجال ، كل حسب طبيعته البشرية ، فالرجال يطلقون لحاهم فلا تجد بينهم حليقاً[1]، ويحتزمون بالخناجر والجنابي ومفردها (**جنبية**) وهي : عبارة عن خنجر حاد له مقبض من الفضة . والجنابي في إقليم عسير ثلاثة أنواع : الشاميّة ، والقديمي ، والمعَيرة . ولا ينتقل الرجل في عسير من مكان الى آخر ، ليلاً أو نهاراً ، أو في أي مناسبة ، إلا ومعه جنبيته ، أو ما ينوب عنها ، كالخنجر الصغير الذي يطلق عليه في بعض الأماكن اسم (**مضيّة**) ، أو العصا ، وأحيانا المسبت ، وهو بيت الرصاص . ويتوشح الرجل بعض الأسلحة النارية ، كالمسدسات ، أو البنادق ، وهي عدة أنواع مثل : الهطف ، والفتيل ، والمقمع ويستخدم معها البارود . أما الموزر ، والنبوت ، والمارتين ، والعصملي ، والنيمس فيستخدم معها الرصاص . وبعض هذه الأنواع من الأسلحة كانت ولازالت تستخدم إلى اليوم مع الألبسة الجديدة في المناسبات المختلفة ، كالزواج ، والختان ، والاستقبالات والحفلات المختلفة . والكثير من سكان إقليم عسير لازالوا يقتنون البعض من هذه الأسلحة ، فيضعه الرجل منهم في أماكن مخصصة من المنزل ، مع العناية بنظافتها وصيانتها .

ويستعمل الرجال النباتات العطرية المختلفة ، كالرياحين ، والكادي ، والنعنان ، والشيح ، والضرم ، والبعيثران فيضعونها في جيوبهم أو على هاماتهم ، ويسميها البعض منهم باسم (**ميشقرا**) أو (**غِراز**) . ويكثر استخدام مثل هذه النباتات في الأعياد ، ومناسبات الزواج ، وصلاة الجمعة . وفي بعض الأجزاء التهامية يعمل من هذه النباتات عصابة ، ثم توضع على شعور رؤوسهم المعروفة باسم (**الجمم**) أو (**الجهوف**) . ويستعمل الرجال الكحل في العيون ، ويسرح بعضهم شعره ، ثم يفرقه من منتصف الرأس إلى فرقتين ، ويضفره إلى جدايل . ويستعمل الرجال الحناء في أيديهم وأرجلهم ، وأحيانا يغيرون بها بياض شعورهم ، وخاصة من وصل سن الشيخوخة ، ويتختمون بخواتم من الفضة أو الحديد . وفي القرن الرابع عشر الهجري صار بعض الرجال يتزين بحمل المسبحة في يده ، أو وضع أقلام الحبر ، أو حمل علبة الدخان أو المناديل في جيوبهم .

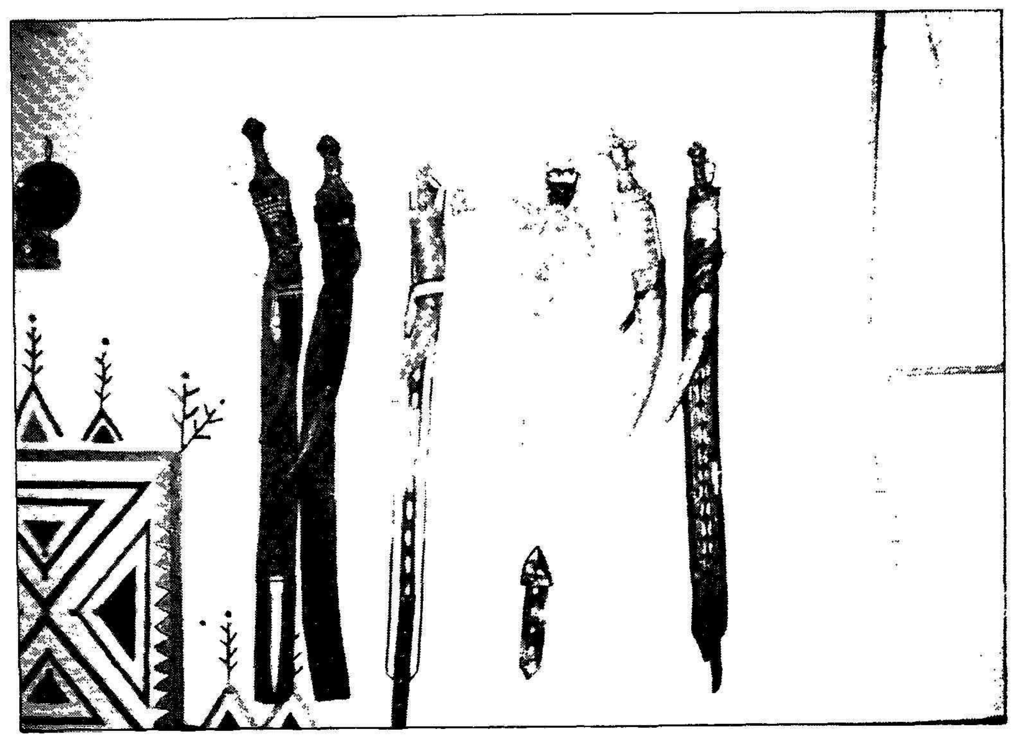
ومن زينة النساء لبس الحزام الفضي الناصع البياض ، والحلي الأخرى ، كاللبّة ، أو القلادة على الجيد ، والعصابة على الرأس ، والميسك ، وتعرف أيضا باسم (**الجودل**) ، والمفارد المصنوعة من خرز الظفار وغيره ، وجميعها تلبس على الذراعين ، أو في المعصمين ،

---

(١) ظاهرة حلق اللحية في عصرنا الحاضر ، من العادات التي قدمت علينا من البلدان العربية والأوربية المختلفة ، وخاصة بعدما نشطت وتحسنت المواصلات ، وتطورت وسائل الاعلام ، فاصبح العالم كله كالقرية الصغيرة التي يعرف ما بداخلها ، وبالتالي حدث الاندماج والاختلاط بين العناصر البشرية المختلفة ، ومن ثم نتج التقليد والاقتباس من بعضهم لبعض .



شكل رقم (٢٠) : نماذج لبعض البنادق التي عرفها العسيريون



شكل رقم (٢١) : نماذج لبعض الخناجر و الجنابي التي استخدمها العسيريون

والخواتم في الأصابع ، والحجول أو الخلاخل في القدمين ، والمعاضد فيما بين الكتف والمرفق من اليد ، ومنهن من تستعمل (**الزمّام**) في الأنف ، والقرط في الأذن . وأغلب هذه الحلي من الفضة الخالصة ، ومنها ما يصنع محليا ، وبعضها يستورد من الحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية .

والنساء أكثر ولعاً بالروائح العطرية والنباتات ذات الرائحة الزكية من الرجال ، ويتفاخرن بزراعتها في أحواض أمام منازلهن ، ويقطفها ندية زكية الرائحة ، ويضعنها على رؤوسهن بطريقة تلفت النظر كالإكليل ، يسمينه (**مكعسا**) أو (**غرازا**) ويقوم بعض النساء بنظم الورد ، والياسمين ، والفل على شكل عقود ، ثم يضعنه في العنق . ويستخدمن الحناء فيضعنها على الأيدي ، والأرجل ، وأحيانا على الشعر ، كما يفعل الشيوخ من الرجال . ولا يقتصر الحناء على المتزوجات من النساء ، وانما يستعمله الأولاد والبنات والصغار . وبعض النسوة في إقليم عسير يستعملن الحناء بشكل أكثر أناقة وتهذيبا . فتوضع الحناء على الأظفار للكفين والقدمين ، ثم تطرق بها أصابع اليدين ، من الوسط ، في خطوط طويلة ، ثم تصبغ باطن الكف . والعفص مادة سوداء تصبغ الجلد ، كان يستعمل كذلك بنفس الطريقة في أظافر القدمين والكفين ، ثم توضع منه خطوط على شكل نقط صغيرة متقاربة في وسط الأصابع ، ويترك الكف دون صباغ . ولعل هذا ، هو ما أشار إليه الشاعر في القصيدة التي تنسب إلى يزيد بن معاوية ، الخليفة الأموي الثاني ، والتي كان يتغنى بها بعض الشعراء ، ولازال يرددها البعض حتى الآن ، والتي مطلعها :

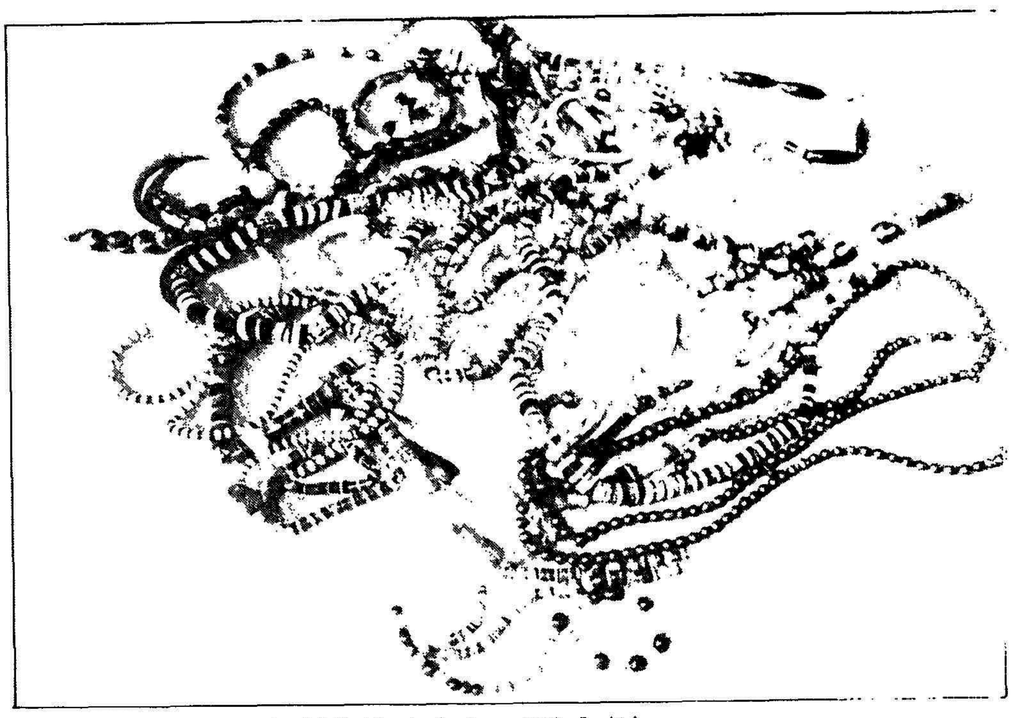
نالت على يدها مالم تنله يدي نقشا على معصم أوهت به جلدي
كأنها طرق نمل في أناملها أو روضة رصعتها السحب بالبرد

والشاهد هو في وصف هذا النقش في البيت الثاني (**كأنها طرق نمل في أناملها**) . وهو وصف دقيق لهذا النقش الذي كانت تستعمله النسوة بالحناء والعفص حتى وقت قريب . واذا صحت نسبة القصيدة إلى يزيد بن معاوية ، وهو الذي عاش وولي الخلافة الأموية في القرن الهجري الأول ، فكأن هذه الزينة عاشت حوالي ألف وأربعمائة عام .

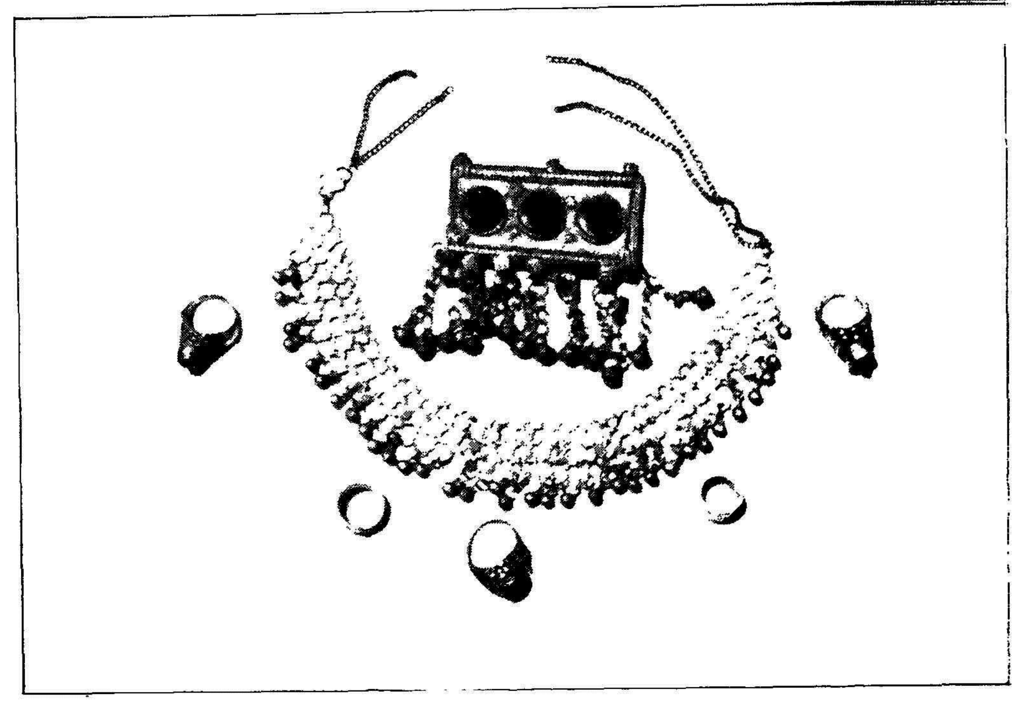
ومن زينة النساء العطور المستخلصة من النباتات العطرية المحلية ، أو العطور التي كانت تستورد من الحجاز واليمن ، أمثال : عطر الورد ، وعطر الكادي ، وعطر العود ، وعطور أخرى عديدة . والبعض من أنواع البخور كانت تستورد من الأسواق الكبرى في شبه الجزيرة العربية . وجميع هذه الأنواع كانت لا توجد عند الغالبية العظمى من أهل البلاد ، وإنما يملكها الأغنياء والمقتدرون على شرائها .

٥ ـ عادات الأعياد والزواج ، والختان ، والمآتم :

يذكر علماء الاجتماع أن للبيئة أثرا كبيرا في نمط العادات والتقاليد في أي مجتمع كان . فالعادات في البيئة الجبلية تختلف عنها في البيئة الساحلية أو الصحراوية ، إذ تؤثر البيئة



شكل رقم (٢٢) : بعض أدوات الزينة التي يلبسها النساء في رقابهن و أيديهن



شكل رقم (٢٣) : نوع من أدوات الزينة التي يلبسها النساء على رؤوسهن أو صدورهن أو في أصابع أيديهن

بشكل كبير في سلوك الأفراد . ولسكان إقليم عسير عادات وتقاليد في الأعياد ، والزواج والختان ، والمآتم ، وهذا ما سوف نتناوله في الصفحات القادمة .

أ ـ الأعياد :

المسلمون لا يعرفون إلا عيدين[1]، هما : عيد الفطر ، وعيد الأضحى . فعيد الفطر ، ويسمى العيد الأصغر ، مقارنة له بعيد الأضحى ، يأتي بعد صيام المسلمين شهرا كاملا . والاعلان عن انتهاء شهر رمضان ، ومجيء العيد ، يختلف من مكان لآخر ، لأنه لم يكن هناك إذاعة ، أو راءٍ (**تلفاز**) ، أو وسائل اتصالات حديثة ، فالبعض من سكان عسير في الأجزاء السروية ، كانوا يُعيّنون من يجلس في مكان عال ليراقب الهلال ، فيتثبتون من دخول شهر شوال ، فإذا تمت رؤية الهلال ، وتأكدوا من ذلك أضرموا النيران على قمم الجبال ، ليسهل رؤية النيران وهي مشتعلة ، ويطلقون على الأعواد التي يشعلون فيها النار اسم (**مشاعل**) ومفردها (**مشعل**) . وبالتالي يعرف عامة الناس أن رمضان قد انتهى ، وأن العيد قد بدأ . بينما تقوم أقوام أخرى من نفس المنطقة بإضرام النيران على الجبال ، ثم يؤكدون ذلك باطلاق الأعيرة النارية بالبنادق ، وأحياناً يكتفون بتنفيذ الطريقة الأخيرة دون اشعال النار . وفي بعض الأجزاء التهامية يقوم بعض الرجال بركوب الحمير ، والتجول في القرى منادين بأصوات عالية ، ومخبرين بأن شهر رمضان انتهى وأن بداية عيد الفطر قد حلت .

وقبل مجيء العيد بعدة أيام يكون الرجال قد اشتروا ملابس جديدة لنسائهم وأولادهم وبناتهم ، لكي يلبسوها ويفرحوا بها يوم العيد . ومن لا يجد المال لشراء ما يحتاج هو وأهله يكتفي بما لديه من ألبسة ، مع العلم أن بعض الأغنياء يتصدقون على الفقراء ببعض المال والأعطيات المختلفة التي تعينهم على شراء ما يكفيهم في أيام العيد . والنساء يجهزن لأيام العيد بغسل ملابس أفراد أسرتهن ، وتنظيف منازلهن وتزيينها ، وتوفير المياه بها . ويجهزن الدقيق وبعض الأطعمة التي يرغبن في إعدادها وتقديمها أيام العيد ، ويسرحن شعورهن وشعور بناتهن ، ثم يوفرن الرياحين وبعض النباتات العطرية التي يحبذن استعمالها في أيام العيد .

وفي فجر يوم العيد ، وقبل شروق الشمس ، يتجه الرجال ومعهم أولادهم إلى الأماكن المعينة لصلاة العيد ، وغالبا تكون في مواضع فسيحة في العراء ، اقتداء بالسنة النبوية الشريفة ، ويظهر عليهن التزين بالملابس النظيفة ، والروائح العطرية الجميلة ، فيصلون مع المسلمين ، ثم يستمعون إلى خطبة العيد التي يلقيها أحد الدارسين لعلوم الشرع . وبعد الانتهاء من الصلاة يتبادل المصلون السلام والتهاني بعبارات مفعمة بالخير والبركات . ومن العبارات التي تقال يوم العيد عبارة : « **العيد مبارك** » **فيقول السامع « علينا وعليكم يعود »** ، **وقد يقول القائل « من العائدين ، ومن الفائزين ، ورضا رب**

(١) بعض المسلمين صار يقلد غير المسلمين في حفلات ومناسبات ليست من الدين الاسلامي في شيء ، وإنما هي بدع وعادات دخيلة على مجتمعاتنا وبيئاتنا .

العالمين » وأحيانا يكمل قوله . وخاصة لمن لم يتزوج بعد ، فيقول : « وبنت الحلال » (يقصد بذلك زوجة صالحة) . وقد يقال للذي زوجته حامل « وولد صالح وذرية نافعة » . وأحيانا يقال للذي لم يؤد فريضة الحج « من العائدين والفائزين ، ومنه إن شاء الله » . ويضاف إلى مثل العبارات السابقة بعض الأدعية ، كطلب المغفرة من الله . وقبول صيام وقيام شهر رمضان ، ثم التحميد ، والاستغفار ، والتكبير وما شابه ذلك . وفي مثل هذه المناسبة تذوب الخصومات ، ويحل بدلا منها المحبة والترابط ، حتى ترى القرية كأنها أسرة واحدة لما يسود أهلها من التسامح ، والتعاضد ، والتكافل والتآزر .

ويعود المصلون إلى منازلهم حامدين شاكرين داعين الله أن يسبغ عليهم الصحة والعافية ، وأن يرحم موتاهم ، ويشفي مرضاهم ، ويسقيهم الغيث والرحمة . وبعض الرجال يزورون أهل المنازل التي يمرون عليها ، أثناء عودتهم من الصلاة ، فيباركون لهم بالعيد [1] ، ويتنقلون من منزل لآخر حتى يصلوا إلى منازلهم ، فيسلموا على أهليهم ويباركوا لهم في العيد .

والاحتفال في اليوم الأول من العيد يختلف من أسرة لأخرى ، ومن قرية لقرية ، فبعض الأسر يلتقي جميع أفرادها عند رئيس الأسرة إن كان جداً ، أو أباً ، أو أخاً فيتناولون طعام الإفطار معاً . ثم تتخذ دار هذا الرئيس مقراً لاستقبال من يأتي من أفراد القرية للسلام والتهنئة بالعيد ، ويستمرون في تناول وجبتي الغداء والعشاء بمنزل رئيس العائلة ، وأحياناً يستمرون في اجتماعهم أيام العيد الثلاثة . وأسر أخرى منفردة بأفرادها في منازلهم فرحين بأيام العيد ، دون أن ينتقلوا إلى دار من دور أقاربهم . وطريقة ثالثة ، وهي : اجتماع جميع أفراد « الحي » أو القرية في مكان فسيح ، وأحياناً في فناء المسجد جالبين معهم بعض الأطعمة والأشربة لتناولها بشكل جماعي مع الفرحة والابتهاج بأيام العيد .

والطريقة الأكثر شيوعا ، هي الطريقة الثانية حيث يبقى أفراد كل أسرة في دارهم ، وتقوم النساء بإعداد بعض الأطعمة ، كالتمر والخبز والسمن وغيره ، ثم وضعه في مجلس الاستقبال بالمنزل ، لكي يتناول منه من يأتي للزيارة والتهنئة بالعيد . ورجال الأسرة الواحدة ، كالآباء ، والأجداد ، والأخوان ، يذهبون لزيارة قريباتهم من النساء المتزوجات في أماكن مختلفة ، ويقدمون لهن بعض الهدايا والأعطيات ، المعروفة عند بعض سكان البلاد باسم (**العيدية**) ، وغالبا ما تكون تلك الهدايا نقودا . ومن اطلاعي على بعض الوثائق المحلية في أماكن متفرقة من إقليم عسير ، وجدت لدى العديد من القرى والعشائر بعض العادات والأعراف القبلية . ومن ضمن البنود في تلك الأعراف تحديد الهدية أو (**العيدية**) التي يقدمها الرجل لقريبته المتزوجة ، وفي الغالب لا تتجاوز الخمسة أو العشرة ، أو العشرين ريالا ، ومثل هذا الشرط وغيره يتفق ويوقع عليها من قبل أعيان ،

---

(١) لم تعد مثل هذه العادات موجودة بشكل واسع ، وغالبا لا يمارسها اليوم إلا البعض من كبار السن ، وخاصة من عاصر ومارس العادات المذكورة آنفا .

وعقلاء ، وشيوخ القرية أو القبيلة المقررة للعرف أو القواعد القبلية المتضمنة لمثل هذا البند . وهذا الشرط له هدف انساني اجتماعي يعكس أحد صور التكافل التي كانت موجودة بين أفراد المجتمع العسيري ، حتى لا يدفع الأغنياء والتجار هدايا كبيرة الحجم إلى قريباتهم ، وبالتالي لا يستطيع الفقير مجاراتهم ، وينتج عن ذلك التفاخر والتباهي بين النساء ، وتعود بعض الانعكاسات السلبية على نفوس النساء الفقيرات ، أو يتورط بعض الرجال في الديون والمتاعب الاجتماعية والمادية من أجل مجاراة الأغنياء وأصحاب الأموال .

وفي اليوم الثاني والثالث من أيام العيد تذهب النساء المتزوجات ببعض الزيارات إلى آبائهن ، وأمهاتهن ، وجميع أفراد أسرهن ، فتبارك لهم في العيد ، وتشاركهم شعورهم ، علماً أن بعضهن قمن في اليوم الأول ببعض الزيارات إلى جاراتهن وبعض نساء قريتهن . وتتبادل النساء بعض الهدايا ، وغالباً ما تكون هداياهن من أغصان الريحان ، والكادي ، والبعيثران ، والبخور وما شابهها .

ويقوم بعض الرجال والأطفال ، في أنحاء إقليم عسير ، بأداء بعض الرقصات الشعبية المحببة إليهم ، فيتجمعون في أماكن معينة ، وخاصة بعد صلاة العصر أو في الليل ، ثم يضربون الطبول ، ويمارسون ما يرغبون من رقص شعبي يضفي عليهم روح المرح والسرور . ويشارك البعض منهم في الرقص والغناء ، والبعض الآخر يجلس للمشاهدة والتشجيع ، وأحياناً تطلق الأعيرة النارية من بنادق البارود أو الرصاص ، ويجلب بعض مشاهير الشعراء الشعبيين ، أومن يستطيع أداء الغناء أو الأناشيد التي تحرك وتنشط ما يتم ممارسته من رقصات وأفراح .

وما يحدث في العيد الأكبر (**عيد الأضحى**) لا يختلف كثيرا عما تم ذكره في أيام عيد الفطر من حيث الاستعداد لأيام العيد ، وأداء الصلاة ، وزيارة الجيران والأقارب ، وممارسة بعض الألعاب الشعبية . ولكن هناك بعض الاختلافات البسيطة في وقت العيد ، فالمعروف أن عيد الأضحى يأتي في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة في كل عام ، وفي اليوم التاسع من نفس الشهر يكون يوم الحج الأكبر أو يوم (**عرفة**) ، ولهذا فلا حاجة لمراقبة الهلال ومعرفة بداية الشهر الجديد ، كما يحدث في بداية عيد الفطر . وعيد الأضحى يقترن بالأضحية التي يقدمها كل رب أسرة عن نفسه وأهل بيته ، وتكون من الضأن ، أو الماعز ، أو الابل ، أو البقر[1].

ب ـ الزواج :

تتنوع عادات ومراسيم الزواج وطريقتها في أنحاء متعددة من شبه الجزيرة العربية ، وإقليم عسير من الأجزاء التي يغلب عليها التباين والاختلاف في بعض عادات وتقاليد

(١) العيد في عصرنا الحالي قد تغير وفقد تقاليده الماضية ، وخاصة في المدن الكبرى ، او المناطق التي زحفت إليها المدنية ، فلم يعد الرجال ، وخصوصا الشباب منهم ، يتحمسون لزيارة بعضهم البعض ، او يعملون على احياء الفنون والرقصات الشعبية ، مثلما كان في الماضي . ويعود ذلك لفتور العلاقات الاجتماعية نتيجة ازدحام الحياة المعيشية بمشاغل لا حصر لها .

الزواج فالزواج من الاقارب يختلف عن الزواج من افراد القرية أو العشيرة الواحدة . وهذان النوعان يختلفان عن الزواج من القرى أو العشائر والقبائل المجاورة . ولترتيب حديثنا عن الزواج ، نقسمه إلى مراحل هي : البحث عن الزوجة وخطبتها ، ثم مراسيم عقد القران والاتفاق على المهر (**الصداق**) وما يتبعه يوم الزواج ، وما يحدث فيه من عادات ومراسيم اجتماعية ، ثم ما يليه من عادات تعارفت عليها بعض المجتمعات العسيرية .

إن البحث عن الزوجة يكون سهلا من الأقارب ، فأبن العم ، وابن الخال ، أو العمة ، أو الخالة عندما يرغب في الزواج من قريباته كبنات العم أو العمة ، أو الخال أو الخالة ، لا يجد صعوبة في معرفة الزوجة التي يريد خطبتها ، لأنه قد عرفها بحكم القرابة ، وربما عاشا معاً في بيت واحد . وبالتالي فالزواج بهذه الطريقة سهل ، وفي الغالب فان الآباء والأمهات ، للزوج والزوجة ، يرتبون لمثل هذا النوع من الزواج ، وأحياناً يكون بسيطا من حيث التكاليف ، كالكسوة ، والمهر ، والولائم التي تقدم في العرس . ومثل هذا الزواج ربما يتم في نفس البيت الذي يعيش فيه الآباء ، والأمهات ، والأجداد ، والأولاد ، والزوج والزوجة اللذان سيتزوجان حديثاً .

أما اذا كان الزواج من بنات القرية أو العشيرة التي يعيش فيها الزوج ، فتكون أكثر تعقيداً مما ذكرنا ، مع العلم أن الرجل الذي يرغب في الزواج ربما يكون قد رأى وعرف الفتاة التي يرغب الزواج منها ، ولكنه لابد من المرور ببعض الأعراف فيرسل والدته ، أو إحدى قريباته ليستطلع رأي الفتاة وأمها ، ومدى الرغبة في مصاهرة الأسرة التي ينتمي إليها الرجل ، وأحياناً يتحدث الرجل نفسه مع الفتاة التي يريد خطبتها ، أو مع أمها ويبدي رغبته في الزواج منها ، وقد يجد الاجابة إما بالنفي أو القبول ، فإذا وجد القبول فإنه يُحدّث والده ، أو كبير العائلة في أسرته ، ويبين رغبته في الزواج من الفتاة (الفلانية) ، وإذا رغب الوالد أو رئيس العائلة في زواج هذا الشاب من الفتاة التي اختارها ، يجمع بعض أعيان القرية أو القبيلة ثم يذهبون مع الخاطب إلى بيت ولي أمر الفتاة التي يرغبون خطبتها ، وعند مقابلة ولي الأمر يتناولون بعض المشروبات ، وأحياناً لا يشربون ولا يأكلون حتى يخبرونه بما قدموا من أجله . وعندما يسمع ولي أمر الفتاة الخبر الذي جاءوا به ، يرحب بهم ، ثم يطلب منهم مهلة في الرد عليهم تتراوح من يوم إلى عدة أيام ، ليناقش الموضوع مع الفتاة ، صاحبة الشأن ، ومع والدتها . وفي بعض الحالات ، وبشكل سريع ، يرد عليهم ولي الأمر ، أما بالموافقة أو الرفض دون الرجوع إلى الفتاة وأمها ، وجوابه بهذه الصورة يكون مبنياً على رغبته واقتناعه بهذا الخاطب المتقدم وبأسرته .

وفي حالة أن الفتاة من عشيرة أو قبيلة أخرى ، فالأمر أصعب من الحالتين السابقتين ، ولا يقدم الخطيب على خطبة فتاة معينة ، إلا بعد إرسال من يسأل عن أهلها ومستوى طبقتهم الاجتماعية . ومن جنسي الرجال والنساء من يقوم بعملية نقل مثل هذه الأخبار ، ولا يكتفي برأي شخص أو شخصين وإنما يوسط ويرسل لهذا الأمر عدة أشخاص . وعندما يتأكد الخطيب وأهله من ايجابية بعض المعلومات المتعلقة بالفتاة وأسرتها ، يرسل

شخصا معينا لخطبة تلك الفتاة وغالباً يذهب الخاطب مع ذلك الشخص الذي يكون في أكثر الأحيان والده أورئيس عائلته . سواء كان الجد ، أو الأب ، أو الأخ الأكبر . وعند وصولهم إلى ولي أمر الفتاة يحدث مثلما حدث لمن يخطب فتاة من نفس قريته أو عشيرته ، ألا أن أسرة الفتاة قد يطالبون وقتا أطول لكي يشاوروا أنفسهم في الرغبة أو الرفض لهذا الخطيب المتقدم . وغالبا يسألون عن مستواه الاجتماعي ، وعن خلقه ودينه ، وأوضاع ومستوى أسرته . وبعد الوصول إلى قرار معين يرسلون اجابتهم إلى كبير أسرة الخاطب ، فإذا كانت الإجابة بالموافقة تنتقل مراحل الزواج إلى خطوة أخرى ، هي مراسيم عقد القران والاتفاق على مقدار الصداق .

وعندما تتم الموافقة من قبل الخاطب وأهل بيته ، ومن قبل الفتاة وأفراد أسرتها ، تأتي مرحلة الخطوبة الجادة ، ويأتي الخطيب مع كبار السن في أسرته فيقدمون بعض الهدايا للخطيبة وأسرتها ، وأحيانا لا يقدمون شيئا ، وإنما تأتيهم دعوة من كبير أسرة الخطيبة ، يخبرهم فيها بالموافقة ، ويطلب منهم زيارة على وليمة ، وغالباً ما تكون ذبيحة وخبزاً ، أو عصيداً مع السمن والعسل ، أو أي نوع من الأطعمة المتوفرة والمحببة في هذه المناسبات . ويأتي الخاطب ومعه أفراد أسرته لحضور مثل تلك الوليمة المعروفة عند بعض سكان عسير باسم (**وليمة الصلح**) ، وفي بعض الأوقات يحضر المأذون الشرعي مع أسرة الخاطب فيعقد للشاب على الفتاة ، وأحياناً تؤخر عملية العقد ، أو ما يسمى بـ (**الملكة**) بضم الميم وسكون اللام ، إلى الأيام السابقة ليوم الزواج .

وفي ليلة الخطبة ، ان حصل الخاطب على الموافقة ، أو في ليلة الصلح ، يدور الحديث بين أقارب الخطيبة والخاطب ، وخاصة في مقدار المهر الذي يجب على الخاطب دفعه كصداق لخطيبته . وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، لا يتساوى الناس في المقادير التي يطلبون مهورا لبناتهم . والمهور كانت قليلة جدا ، وذلك عائد إلى ضعف الدخل الفردي ، وضعف الموارد الاقتصادية بشكل عام . وربما تزوج الفرد في تلك الفترة بقطعة قماش رديئة النوع ، أو بشملة ، أو عباءة ، أو صاع من حب ، أو بقرش ، أو قرشين ، أو بشاة ، أو عنز ، أو ما شابهها . ولم يكن هناك تلك التكاليف والشروط التي وجدنا الوثائق تذكرها في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري . أو ما نلاحظ في وقتنا الحاضر من مباهاه ومبالغة في حفلات الزواج عند الكثير من سكان إقليم عسير ، أو عند غيرهم من سكان المملكة العربية السعودية .

ويبدو أن القرن الرابع عشر الهجري اختلف عن القرون التي سبقته ، حيث صار بعض الناس يبالغون في مهور بناتهم واخواتهم ، وكذلك في الكسوة التي تقدم للزوجة ، والأثاث الذي يجب أن يؤثث به بيتها ، والولائم التي تقدم أثناء زواجها ، ونوعية الحفلات والهدايا التي تقدم يوم الزواج . وجميعها باهظة ، فتثقل كاهل الزوج وأسرته ، وبالتالي تؤدي إلى عزوف الكثير من الشباب عن الزواج ، الأمر الذي يترتب عليه انتشار الرذيلة في المجتمع ، وارتفاع نسبة العنوسة بين الفتيات . وقد لاحظ الأوائل خطورة مثل هذه الظواهر فصارت العديد من القبائل والعشائر توجد اتفاقيات وأعرافاً يحاربون من خلالها غلاء المهور ، حتى

يصبح الشباب قادرين على الزواج والقيام بتكاليفه . ومن يطالع مثل تلك الاتفاقيات والأعراف يجدها كثيرة . فلا تخلو قرية او عشيرة من إقليم عسير ، إلا وبين أفرادها اتفاقيات خطية تنص على محاربة غلاء المهور ، وجميع ما يتعلق بالزواج من التزامات مادية . وان لم يكن هناك اتفاقيات مكتوبة عند بعض العشائر ، فلديهم أعراف وتقاليد شفوية ، من نفس منهج الأعراف المكتوبة ، وعلى نفس المنوال(١).

وبعد الانتهاء من مرحلة الموافقة الأولية من قبل الزوجة وأسرتها ، وتحديد المهر الذي يجب على الخاطب دفعه ، ثم عقد القران ، تأتي مرحلة الاتفاق على يوم الزواج . وتختلف مراسيم هذا اليوم من اسرة ، او قرية ، أو عشيرة لأخرى . فهناك أسر تفضل اليسر والبساطة ، فتطلب من الخاطب أن يأتي مع والده ، أو كبير أسرته ، وأحيانا بعض الأصدقاء والرجال من جيرانه وأقربائه ، وفي يوم محدد ، وغالباً ما يكون أحد أيام السبت ، او الاثنين ، أو الخميس ، فيستقبلون عند أسرة الخطيبة استقبالا حسنا . ويقدم لهم بعض اللحم والمرق ، أو العصيد والخبز والسمن والعسل . وعند الانتهاء من أكل الطعام يغادر الخاطب الدار ومعه زوجته إما مشيا على الأقدام ، أو ركوبا على بعض الدواب ، كالابل والحمير . وأحيانا يذهب مع الزوجة بعض قريباتها ، كوالدتها ، أو جدتها ، أو خالتها ، أو عمتها ، وبعد مغادرة الزوج بزوجته يعود من جاء معه من أقربائه وأصدقائه إلى منازلهم ، وفي مساء نفس اليوم ، وأحياناً في اليوم الثاني يقوم الزوج وأسرته بإعداد وليمة لمن سار معه يوم الزواج ، ولأهل القرية والحي الذي يعيش فيه .

وهناك من يبالغ في أيام الزواج ، فيجلب معه مئات الرجال أثناء الذهاب لاحضار زوجته ، ويحضر الشعراء الشعبيون ، وبعض المختصين بمهنة ضرب الطبول ، وتقام الحفلات ، وتمارس العديد من الرقصات الشعبية ، وتذبح الذبائح العديدة ، وتقدم الأطعمة المتنوعة بنوع من الإسراف والتبذير ، وإرهاق لكواهل أسرة الزوجة . وأحيانا يشترك في هذه المبالغات أهل الزوج والزوجة سعيا وراء المباهاة . ومما لاحظنا في الوثائق المحلية ، والخاصة بالقواعد والأعراف القبلية ، أن كثيراً من الأعيان والوجهاء في بعض القبائل والعشائر كانوا يسعون إلى التقليل من التكاليف أيام الزواج ، فلا يقتصرون على محاربة غلاء المهور ، وانما كانوا يحاربون أيضا صرف الأموال الكثيرة في اقامة الولائم ، وكل ما يتعلق بيوم الزواج . وربما لم تنجح مثل هذه الجهود في تقييد الأمور وضبطها ، وخاصة منذ أواخر القرن الرابع عشر الهجري وحتى الآن ، لأن الكثير من أبناء القرية أو العشيرة الواحدة تفرقوا في أماكن عديدة من المملكة العربية السعودية سعيا وراء الرزق ،

(١) وحتى لا تطول بنا الصفحات حول مثل تلك الاعراف والاتفاقيات ، فاني احيل القارىء والباحث الكريمين إلى كتابي « بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين » و « صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول » ، وإلى مقالنا في مجلة العرب ، جـ ٨.٧ ، سنة (٢٧) محرم وصفر (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٤٤٥ ـ ٤٦١ ، بعنوان « صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية » . وجميع هذه المراجع يوجد بها العديد من الوثائق المتنوعة خلال القرن الرابع عشر الهجري . وتحتوي على عشرات البنود حول المهور وتقنينها عند الكثير من عشائر وقرى عسير . وليس جميع عشائر وقرى المنطقة . لكنها كنموذج تتشابه من قرية لقرية ، ومن عشيرة لاخرى . ولازال مثل هذا الموضوع جديراً بالدراسة ، ولعل احد الباحثين من ابناء المنطقة او غيرها يتوسع في دراسته فيكون موضوعا لرسالة علمية أكاديمية أو عنوانا لكتاب علمي يستفيد منه القارىء والباحث على حد سواء .

وبالتالي صاروا ينفقون على زواج أولادهم وبناتهم ما أرادوا من الأموال ، ويقدمون ما رغبوا من الولائم ، حتى أن البعض تجاوز في التبذير والإسراف ما لا تتسع لتدوينه عشرات الصفحات .

ويطلق على اليوم الذي تنتقل فيه الزوجة من دار أهلها إلى دار زوجها العديد من الأسماء والمصطلحات ، فيقال له (**يوم الزواج**) أو (**يوم العرس**) أو (**يوم الدخلة**) أو (**يوم المراح**) . وعند بعض السكان في الأجزاء التهامية من عسير ، قد لا يسمح للزوجة بأن تغادر دار أهلها بعد ابرام العقد الشرعي بين العروسين ، وإنما يبقى الزوج مع الزوجة عند أسرتها ، وأحيانا يستمر هذا البقاء لسنوات تتراوح مابين السنة والعشرين سنة . وعندما ينتقل الزوج والزوجة إلى بيت أهل الرجل ، أو إلى بيت خاص بهما وأولادهما ، يسمى ذلك اليوم بـ (**يوم النقول**) ، أي انتقال الزوجة من دار أهلها إلى دار زوجها . وفي هذه الحالة يرتبط بهذه العادة بعض التقاليد التي تعارف عليها بعض السكان ، فعندما يرغب الزوج الخروج بزوجته يبدي رغبته لأهل الزوجة ، وأحيانا يقوم والد الزوج أوكبير أسرته بمناقشة الأمر مع أسرة الزوجة ، وبعد موافقتهم تذهب والدة الزوجة لترى البيت أو الغرفة التي ستنزل بها ابنتها ، وأحيانا تصطحب معها بعض الأثاث والأواني المنزلية لتضعها في ذلك البيت أو الغرفة ، ثم يتم يوم النقول .

وقبل يوم الزواج ، عند بعض السكان في الأجزاء التهامية والسروية ، يحدد يومٌ خاصٌ لنساء الحي ، لكي يذهبن إلى بيت الزوجة فيسلمن عليها ، ويقدمن لها بعض الهدايا البسيطة ، مثل أغصان الريحان ، أو بعض قطع القماش . وبعض النسوة الميسورة أحوالهن المادية يقدمن بعض النقود ، أو بعض الحلي المصنوعة من الفضة ، كالخواتم وغيرها[1] ، وأحيانا يقوم كبير أسرة الزوجة بتقديم بعض الأطعمة للنسوة التي قدمن للسلام والتبريك . وفي الغالب يطلق على مثل هذا اليوم اسم (**يوم الرفدّة**) أو (**يوم النساء**) . أما يوم الزواج فيأتي بعض الرجال ، وخاصة أصدقاء وأقرباء الزوج فيقدمون بعض المساعدات المالية للزوج ، ويطلق أيضا على مثل هذه المساعدة اسم (**رفدّة**) . وبعد يوم الزواج بعدة أيام يأتي الرجال من أسرة الزوجة بزعامة كبيرهم ، فيسلمون على ابنتهم وزوجها ، ثم يقدمون بعض المساعدات المالية للزوج ، وبعدها يطلبون زيارة من جميع أفراد أسرة الزوج ، لكي يتناولوا عندهم وجبة غذائية ، وفي العادة فإن مثل هذا الطلب لا يقابل بالرفض من الزوج وأفراد أسرته .

واليوم الذي تغادر الزوجة دار أسرتها ، تجهز ببعض الملابس الخاصة ، وأدوات للزينة ، كحقيبة مصنوعة من الحديد ، أو ما عـرف عند بعض العسـيريين بـاسم (**السّحارة**)[2] ، وبعض السجاد ، والملاحف ، أو الحصر والبسط المصنوعة من الطفي أو

---

(١) منذ الربع الأخير في القرن الرابع عشر الهجري ، صار بعض النسوة يقدمن حلي ومجوهرات مصنوعة من الذهب واللؤلؤ ، والألماس وغيرها .

(٢) السّحارة ، بتشديد السين ، عبارة عن حقيبة كبيرة الحجم ، تصنع من الحشب في مدن الحجاز الكبرى ، ويعرف صانعها باسم (السحاحيري) ، ويبطن داخلها وخارجها بقماش متين من نوع القطيفة ، تحلى بالأشجار ، وله ألوان زاهية ، كما تحلى جوانبها بحليات من المعدن الرخيص ، إلا أنها لامعة وبراقة ، ويوضع فوق غطائها قفل لحفظ ما بداخلها من ملابس وأدوات للزينة .

سعف النخل . وأحيانا يرسل معها بعض الحبوب كالقمح . والذرة . والدخن . والشعير . وبعض الحيوانات مثل البقرة الواحدة . أو البقرتين . ويطلق على مثل هذه الأغراض اسم (**جهاز**) أو (**حوز العروس**) . والأسر التي تخرج أثاثا وأدوات جيدة وكثيرة تحوز على سمعة طيبة بين الناس لما قدمت لبناتها في يوم زواجهن . أما الأسر التي تقدم الشيء البسيط . او النوع الرديء للزوجة يوم عرسها ، فتكون مثار الاشمئزاز والتوبيخ من بعض المشاهدين في القرية او العشيرة اثناء خروج الزوجة من دار أسرتها . ولهذا فوالد أو كبير أسرة الزوجة يحرص على تجهيز الزوجة بأحسن ما يستطيعون حتى لا يتعرض هو وأفراد أسرته للنقد والشتم . ومثل هذه العادات كانت تكلف أفراد أسرة الزوجة بعض المشقة المادية . وخاصة إذا كانوا لا يملكون مالا ، أو من طبقة الفقراء في المجتمع .

وعند قدوم الزوجة إلى دار أسرة زوجها ، تجد قريبات الزوج يستقبلنها بضرب الطبول والترحيب ، واحيانا تقابلها والدة الزوج أو احدى النساء المسنات في أسرته فتسمعها بعض العبارات التي تعارف عليها أهل القرية أو العشيرة ، وتعبر لها عن فرحهم بقدومها لتكون أحد افراد أسرتهم[١].

وقد حرصت الأسرة العسيرية على توفير الطمأنينة والصون لحياة بناتهم الزوجية ، فتجد الكثير من أفراد الأسر ، وخاصة الآباء والأمهات يجتمعون بالعروس قبل الزواج بيوم أو يومين ليهدئوا من روعها حتى لا تخشى الحياة الزوجية الجديدة التي ستقدم عليها ، ويشددون الوصية عليها في أن تكون طيّعة ، رضيّة ، فهي ستمثل أهلها في أسرة أخرى ، فيجب أن تعكس عن أسرتها فضائل التربية والآداب . وقد أخبرت من بعض المسنين في بلاد عسير ، بأن بعض الآباء والأمهات كانوا يقولون لبناتهم أثناء زواجهن بعض النصائح ، وخاصة فيما يتعلق بوالد ووالدة وأخوات الزوج ، فيقولون : « **أبوه أبوك ، وامه أمك ، وأخواته أخواتك . خذي رضاهم كما كنتي تأخذين رضاءنا** » . وبعض الأمهات كن يقولن لبناتهن « **إذا كان لديك ـ ويقصدن الزوج ـ فهو ملكك ، وإن خرج من عندك فهو ملك غيرك** » . وغرضهن من هذا القول ، أن على الزوجة ألا تسأل أين ذهب ، وكيف قضى وقته ؟ وماذا عمل ؟ ومن قابل من الناس ... الخ .

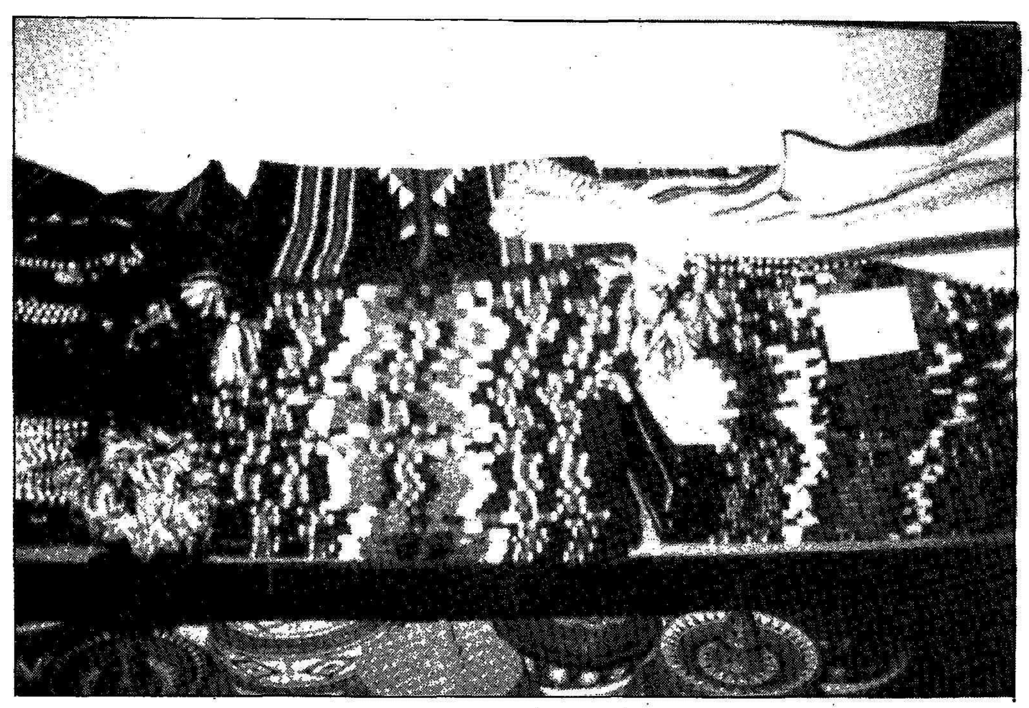
ومن المؤكد أني لم أتحدث عن كل صغيرة وكبيرة في الزواج وأحواله قديما وحديثا . وقد يخرج بعض الدارسين والباحثين من أبناء الإقليم العسيري ، أو من أي جزء في المملكة العربية السعودية ، فيُخرج لنا دراسة علمية جادة حول هذا الموضوع ـ يجمع فيها الوثائق والعقود المتعلقة بأمور الزواج ، ويجري المقابلات مع رجال السن في المنطقة ، ويزور المتاحف التي تحفظ بعض التراث الذي كان يستخدم في أيام الزواج ، كالألبسة وأدوات الزينة وأشياء أخرى عديدة .

---

(١) ومن امثلة العبارات التي تقولها قريبة الزوج للزوجة ، قولها : (ارحبي يابنت فلان بن فلان) وتسميها باسمها واسم والدها ، ثم تقول (ارحبي مرحبا هيل ، ارحبي عد ما مشيتي ، الضيق خلفك ، والسعة امامك) ، وغيرها من العبارات الشائعة ، في إقليم عسير



شكل رقم (٢٤) : نماذج لبعض المفروشات المصنوعة من الجلد أو الصوف



شكل رقم (٢٥) : صورة لبعض الملاحف (والشراشف) الشعبية القديمة

جـ ـ الختان

الختان من العادات التي عرفها العسيريون منذ عهود قديمة ، ويعرفه البعض باسم (**الطهارة**) أو (**التطهير**) . ولم تكن تنفذ بطريقة ذات منهج واحد ، وإنما كان هناك بعض التفاوت والاختلاف من أسرة ، أوقرية ، أوقبيلة ، أوجزء لآخر . فالبعض من الأسر كانت تطهر اولادها في الأيام الاولى من ولادتهم ، وبأيدي أشخاص مختصين في عملية الختان . ولكن لم تكن هذه الطريقة هي السائدة عند أغلب سكان إقليم عسير ، وإنما السواد الأعظم كانوا يتركون أولادهم حتى تصل أعمارهم سن العاشرة أو العشرين عاماً ، ثم يقومون بتطهيرهم في حشد كبير من أفراد القرية أو العشرية التي ينتمي إليها المختونون وكون هذه الطريقة الأخيرة كانت أكثر انتشارا ، فكان يتبعها عادات ومراسيم وحفلات مختلفة .

ففي العشيرة أو القبيلة الواحدة يتم جمع عدد من الأولاد الذين يراد تطهيرهم ، وتتم عملية التطهير لهم جميعا في مكان ووقت موحدين . والسائد في الأجزاء السروية ، أن الآباء وأقرباء الشباب المراد تطهيرهم يقومون بالإعلان في جميع أنحاء مواطنهم مخبرين بما سيتم من مناسبة ، ويطلبون من أفراد قبائلهم الحضور في الوقت والمكان المخصصين لعملية الختان . ويتزامن مع هذا الإعلان شراء الأطعمة والأشربة التي ستقدم لمن سيحضر تلك المناسبة ، وفي اليوم الأول الذي يسبق يوم الختان ، وأحيانا في نفس ذلك اليوم ، يأتي رجال القرية أو القبيلة ، وقد حملوا أسلحتهم ، وارتدوا ملابسهم ، فيمارسون بعض الرقصات الشعبية المحببة إلى نفوسهم ، ثم يأتي الأولاد الذين سيختتنون فيقفون في مكان مخصص لهم والرجل الذي يقوم بعملية الختان ، والمعروف باسم (**ختّان**) يكون في مكان مخصص له ، على شرط أن يكون مكانه مشاهدا من جميع الأماكن المطلة عليه ، وذلك بهدف رؤيته من جميع المشاهدين في ذلك اليوم . وبعد تلك الترتيبات ، يتم إرسال الأولاد المراد تطهيرهم واحداً تلو الآخر ، وقد يذهب كل شاب مباشرة إلى الختّان لينفذ عملية التطهير وأحيانا يمارس بعض الرقصات والألعاب الشعبية ، ولمدة تتراوح من العشر دقائق إلى الساعة ، بعدها يذهب إلى المختص في عملية الختان . وفي كلتا الحالتين ، لابد أن يكون كل شاب سوف يختن قد أدرك أن عليه أن يتصبر فلا يخاف ولا يبكي أثناء القيام بعملية الختان . ويدرك أنه لو صدر منه أي تأفف أو بكاء فقد يجر الضحك والاستهزاء به وبأفراد أسرته ، ووالد المختون وأحيانا أعمامه وأخواله يلقنونه بعض العبارات التي يجب عليه التغني بها أثناء استعراضه أمام المشاهدين في يوم الختان . ومن العبارات التي يجب عليه قولها ، أن يذكر اسمه واسم والده ، وأحياناً أسماء أجداده وأخواله والفخذ أو العشيرة التي ينتمي إليها ، وقد يرتجل ببعض الأشعار النبطية التي تدل على عدم خوفه أو جبنه ، ثم يطلب الختّان أن ينفذ عملية التطهير دون خوف أو تردد[1] .

---

(١) ومن العبارات التي كان يقولها بعض المختونين ، قوله: «اختن ياختان ، وانا ولد فلان بن فلان من قبيلة أو عشيرة كذا (ويذكر اسم عشيرته وفخذه) اهل المدح والناموس في وقت المكربه ، واخوالي آل فلان» ثم يذكر اسماءهم. وهناك من كان يقول: «أختن ياختان ولا تقلسي، فلن في راسي حديد قاسي، اشتاخ إذا رايت الموسى، وانا اخو من طاع الله...».

وهذه العادات توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد ، وربما كانت وراثتهم لها مكتسبة من صعوبة تضاريس المنطقة ، ومما عانوه من الفاقه والحاجة إلى لقمة العيش . بل وربما من طابع العشائر والقبائل التي لم يكن ديدن أفرادها إلا الكر والفر ، والحروب والصراعات الدامية بينهم . وما كان يوجد من غزوات حربية ، وعادات سلب ونهب أكسبت رجال المنطقة الصبر على الشدائد ، وعدم الجبن والخوف من الدماء ، بل عودتهم الإقدام والجسارة والشجاعة .

وفي الأجزاء التهامية ، وخاصة في جازان ، وصبيا ، ومحائل ، وما حولها ، يحدث الاستعدادات لحفلات الختان ، ثم يدخلون في سلسلة من العادات والأفراح التي تستمر إلى ثلاثة أيام . وفي بادىء الأمر يخرج الشاب أو الشباب الذين يراد تطهيرهم ، وفي أيديهم خناجر ، وبعد أن يصيروا أمام المشاهدين تضرب الطبول ، وأحياناً تطلق الأعيرة النارية ، ثم يستمر الجميع في ممارسة الرقصات الشعبية المألوفة لديهم ، ويبقون على هذا المنوال لمدة ثلاثة الأيام المخصصة للحفل ، والمعروفة لديهم باسم (**أيام الهود**) . وفي اليوم الثالث من تلك الأيام والمعروف باسم (**يوم الشهرة**) يقوم الشباب أو الشاب المراد ختنه بلبس لباس أحمر يعرف باسم (**الجوخة**) ، ثم يذهب إلى جميع أقاربه في الحي أو القرية ، وأحيانا يزور الجيران والأصدقاء ، لكي يعرفوا أنه حان وقت الختان ، فيأتون إليه في اليوم التالي ويقدمون له بعض الهدايا والنقود كل على حسب قدرته المادية . وبعد ذلك يأتي الختّان لتنفيذ عملية الطهارة ، وعلى المختون ألا يخاف ولا يحرك ساكناً ، ويقرض بعض الأشعار النبطية ، والمعروفة باسم (**القاف**) ويبدي من معاني الرجولة ما يجعل المشاهدين يثنون عليه ولا يستهزئون به .

وطريقة الختن عند بعض الختانين في تهامه ، هي الاكتفاء بسلخ القضيب ، وهذه من أبسط الطرق التي كانت موجودة . وهناك من كان يسلخ القضيب والعانه معا ، وأحيانا يتجاوز إلى أكثر من ذلك . ومع القسوة والوحشية في ممارسة مثل هذه الطرق ، يطلب من المختون ألا يتأفف ، ويصبر لكل ما يقوم به الختّان ، الذي لا يستخدم أي مخدر أو مهدىء لتخفيف الآلام . وبعد الانتهاء من عملية التطهير ، يؤخذ المختون للعلاج البدائي المعروف لديهم قديما ، مثل : رش المكان المختون أو المسلوخ بالسمن البلدي المغلي ، وأحياناً يضاف عليه الملح ، أو البعض من ورق شجر العرعر . وهناك من يحصل على البعض من روث الجمال والبقر وهو جاف ، فيحرق بالنار ثم يتصاعد منه الدخان ، ثم يتعرض المختون لذلك الدخان المتصاعد ولو لبعض الوقت يوميا وعلى مدار عدة أيام ، وكثيرا ما يلتئم الجرح في أربعة أشهر أو أكثر . وتجدر الإشارة إلى أن نسبة الوفيات في عمليات الختان كانت عالية ، فربما تصل إلى العشرين أو الثلاثين في المائة ، ولكن كون هذه العادات من علامات الشجاعة والبطولة في أعرافهم ، فإن عدد الوفيات مهما ارتفع لا يثني القوم عن الاستمرار ، حتى وإن كانوا على يقين كامل بوفاة كل من يختن بهذه الطرق السابقة الذكر[١].

---

(١) اختفت الآن تلك العادات تماما. والتطهير في وقتنا الحاضر، صار يتم في الأيام الأولى من ولادة الطفل، وغالبا ينفذ في المستشفيات والمراكز الصحية. وقد اخبرت من بعض المسنين في الأجزاء التهامية، بانه لازال هناك بعض الشباب الذين لا يختنون إلا بعد تجاوزهم العشر او الخمس عشرة سنة من اعمارهم.

د ـ المأتم

تتشابه عادات المأتم في أغلب انحاء عسير ، وأحيانا تختلف في أمور أخرى بسيطة . فالساكنون في الحي او القرية الواحدة على علم بأحوال بعضهم البعض ، فإذا مرض الواحد فيهم زاروه للمواساة والتخفيف مما حل به من آلام ، وإن طال واشتد مرضه تناوب رجال القرية للبقاء عنده اثناء الليل وبعض فترات النهار ، فإذا تدهورت حالته الصحية ، وأصبح ميؤسا من شفائه ، وضعوه تجاه القبلة ، ثم يحرصون على تذكيره بالشهادة والدعاء الصالح . ومعظم حالات المرض كانت تحدث نتيجة للأمراض المختلفة ، كالحصبة ، والجدري ، والطاعون ، أو العين ، أو السحر ، أو نتيجة لاعتداءات الحيوانات المفترسة ، او بعض الزواحف السامة ، أو ما كان يوجد بين العشائر من حروب واعتداءات وقتال ، او كبر السن ، أو غيرها من الأسباب التي تؤدي إلى الموت الذي لابد منه ، وصدق الشاعر ابو تمام ، عندما قال :

من لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

وبعد التأكد من صعود روح الميت إلى بارئها ، يقفل فمه ، وتغمض عيناه ، ويأتي من يقوم بغسله ، وأحياناً يكون من أقاربه ، أو من بعض أفراد القرية المشهود لهم بالخبرة في غسل الموتى . وفي الغالب الرجال يغسلون الرجال ، والنساء يغسلن النساء ، ويستخدم مع الماء الذي يغسل به الميت ورق السدر بعد طحنه ، ثم يكفن الميت . ولكن نظراً للفقر الذي كان يعانيه بعض العسيريين ، من عدم توفر الأقمشة والألبسة ، ففي أكثر الأوقات كان الميت يكفن في ثوبه الذي كان يلبسه وهو حي ، وأحيانا لا يوجد له ثوب مناسب فيوضع في كيس من الخيش ، أو ما شابه . ومنذ القرن الرابع عشر الهجري ، صار يتوفر للكثير من السكان أقمشة تعرف باسم (**الدوت**) أو (**البفته**) فيستخدمونها أكسية للأحياء وأكفاناً للموتى .

وأثناء القيام بعملية غسل وتكفين الميت ، يذهب بعض أفراد القرية لحفر القبر الذي سيوضع فيه الميت . وفي بعض المناطق يحفر القبر أحيانا قبل موت الميت بعدة أيام . والشيء المتعارف عليه في حفر القبور ، أن تحفر في باطن الأرض ، ويراعى في القبر الواحد ، طول الميت ، وكبر حجمه . كما أنه كانت تحفر حفرة كبيرة ، وأحيانا تكون بارزة عن سطح الأرض قليلا ، وتتسع لأكثر من جثة ، ويطلق على مثل هذا النوع من الحفر ، عند البعض ، اسم (**سقيه**) . والغريب أن بناء القبور السطحية متناثرة في أجزاء عديدة من إقليم عسير ، وخاصة في البلاد السروية . وقد أخبرني بعض الرواة من المسنين في تلك الديار ، بأن السبب في ايجاد هذه القبور كان ناتجاً عن عجز بعض السكان في حفر القبور ، أو عندما يجتاح البلاد حروب قبلية ، أو أمراض فتاكة تقضي على أعداد كثيرة من السكان ، فيلجأ من بقي على قيد الحياة إلى بناء القبور السطحية التي يوضع بها أكثر من جثة . ولكن إذا كانت مثل هذه الروايات صحيحة ، فلا ندري لماذا نرى الكثير من تلك القبور قد بنيت بأشكال جميلة ، فنقش بعضها بحجارة المرو ، أو طليت جدرانها الخارجية بالطين أو الجص ، كما

لا ندري لماذا البعض منها بنيت على غير اتجاه القبلة ، إلى غير ذلك من الملاحظات التي تحتاج الى تفسير[1]. (انظر الشكل رقم ١٢ ، ١٣) .

وبعد الانتهاء من تجهيز القبر ، وغسل الميت ، ينقل على سرير أو على لوح من الخشب إلى خارج داره ، وأحيانا إلى المقبرة ، ثم يصلي عليه أفراد القرية أو العشيرة صلاة الجنازة . وفي الذهاب به إلى المقبرة ترتفع أصوات الرجال الذين يحملونه بالتهليل والتكبير ، وأحيانا يقول بعضهم عبارات معينة ، مثل : « **ارحم يارحمن ، اغفر ياغفار ، استر ياستار ... الخ** » . وبعد أداء صلاة الجنازة يُنزّل الميت إلى القبر ، وينزل قبله أحد أقاربه ، أو أحد رجال القرية لكي يضعوه على جانبه الأيمن ، ويحل رباط الكفن من عند الرأس . ثم توضع الحجارة المستوية على اللحد الذي وضع به الميت ، ويوضع من فوق تلك الحجارة الطين ، ثم يرد عليها التراب من قبل أفراد القرية ، وجميعهم يرددون هتافات متنوعة يطلبون فيها الرحمة للميت . وعند الانتهاء من الدفن يلجأ الكثير من أهل البلاد إلى قطع بعض أغصان شجر الطلح وما شابه ، فيوضع على قبر الميت بهدف حمايته من الوحوش المفترسة التي ربما تأتي في الليل وتنبش القبر . وهذا ما يعتقد الكثير . لكن بعض العارفين بأمور السنة النبوية يعلمون أن هذه الأغصان الخضراء تسبح وتستغفر الله وهذا مما يخفف على الميت في قبره كما أنه يوضع عند رأس القبر حجر بطول ثلاثين إلى أربعين سنتيمترا ، وبشكل رأسي ، وأحياناً توضع مجموعة من الحجارة الصغيرة المتراكمة بعضها فوق بعض ، ليكون معروفا أن في تلك المنطقة قبراً ، وحتى يسهل على أهل الميت تحديد قبر ميتهم .

والمقابر تقع في أماكن فسيحة معلومة لأهل القرية ، ونلاحظ على جميع المقابر التي نشاهد في طول البلاد وعرضها ، تلك الحجارة المركوزة فوق كل قبر ، وبطريقة عمل جيدة . والهدف منها أن تجنب من يحفر القبور الجديدة إلى أن يقع في الخطأ بحفر قبر آخر في نفس المكان ، وإنما يحفر حفرة جديدة لم يسبق أن وضع بها ميت . وأحيانا تقوم بعض الأسر أو الأفخاذ بترسيم مقبرة معلومة لا يدفن فيها إلا أفراد تلك الأسرة أو الفخذ الذين حددوا تلك المقبرة . وقد يدفن الميت في قبر قريب له مات من زمن طويل ، وليكن والده ، أو ولده ، أو عمه ، أو شقيقه ، أو غيرهم من الأقارب .

وبعد دفن الميت يرجع أهله وجميع أفراد القرية ، فإذا كان الوقت ليلاً عادوا إلى منازلهم ، وإن كان نهارا تجمعوا عند دار أهل الميت ، أو في مكان فسيح بالقرية ، لكي يقيموا مراسيم العزاء . وهي تختلف نوعا ما من سكان الأجزاء السروية إلى بعض الأجزاء التهامية . والبعض ، وهم قلة ، في كل من القسمين ، السروي والتهامي ، يقتصرون على زيارة أهل الميت في منزلهم فيعزونهم ، ثم يذهبون دون الجلوس . أما في كثير من البلاد السروية ، فأغلب رجال القرية أو العشيرة يجتمعون عند دار أهل الميت ، ولمدة ثلاثة أيام

---

(١) للمزيد من المعلومات عن مثل تلك القبور السطحية في إقليم عسير ، انظر: عنصر (المباني بأنواعها) المشار إليه في بداية هذا الفصل.

تقريبا . فيستقبلون وفود القرى والعشائر المجاورة لهم والذين هم بدورهم كانوا يقدمون على هيئة مجموعات فيسلموا على رجال القرية الذين هم في انتظارهم ، ويسمعونهم بعض عبارات السلام والاستغفار على الميت[1]. وغالبا لا يغادرون حتى يتناولوا وجبة غداء أو عشاء . وهذا مما يثقل كواهل اهل الميت . لما يبذلون من جهد ، ويصرفون من أموال لتوفير الطعام والشراب خلال تلك الأيام الثلاثة . وفي حقيقة الأمر ، أن مثل هذه العادات خاطئة ، لأنها لا تتفق مع الدين الاسلامي الحنيف ، فقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) أنه أوصى بزيارة أهل الميت ، وعمل الطعام لهم ، ومساعدتهم في مأساتهم . وتذكر بعض كتب السنن ، أنه لما جاء نعي جعفر بن ابي طالب ، الذي استشهد في غزوة مؤته ، قال الرسول (ﷺ) : « **اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم** » ، وفي حديث آخر ذكره ابن ماجه عن ابن عبد الله البجلي ، أن الرسول (ﷺ) حذر من الاجتماع على أهل الميت ، وصنع وأكل الطعام في بيوتهم . وكون البعض من هذه العادات لازال عند نفر من سكان إقليم عسير ، فهذا أمر ينافي المعتقد الإسلامي الصحيح ، ويجب على من بقي يمارسها ، أن يتوب إلى الله ويتركها ، وسيكون ذلك في الوقت القريب ان شاء الله[2].

ومن عادات بعض السرويين ، أن الميت اذا فارق الحياة وتم دفنه ، يقوم أهله بذبح شاة او اكثر ، اوبقرة ، ثم تطبخ ويدعى أهل القرية أو العشيرة عليها . وأحيانا تذبح وتوزع على بيوت القرية ، وفي الغالب يخصون بها الفقراء والمحتاجين . ومثل هذه الذبائح ، تكون من مال الميت ، وفي بعض الأحيان ، يكون الميت هو الذي أوصى أهل بيته بذبحها بعد موته ، وتعرف هذه الطريقة عند بعض العسيريين باسم (**الحَفَرة**) بفتح الحاء ، والفاء ، والراء ، وسكون التاء المربوطة .

وفي بعض البلاد التهامية ، هناك من يسلك نفس المسلك الذي لاحظناه عند أهل السراة . وفريق آخر يسلك طريقة مختلفة نوعا ما ، فيصنعون في منازلهم الأقراص ، واللحوم ، والمشروبات ، كالقهوة واللبن ، ثم يحضرونها إلى دار أهل الميت خلال اليومين الأول والثانى . وعملهم هذا من أجلّ الأعمال التي تعمق الترابط والتكاتف والتعاون ومواساة أهل الميت في مصيبتهم . ولكن في اليوم الثالث ، والمعروف باسم (**يوم القطوع**) يتغير الحال حيث يقوم أهل الميت بذبح الذبائح وإقامة الولائم لجميع الأفراد الذين شاركوا في العزاء خلال اليومين السابقين . وبالتالي يفسدون تلك الأعمال الانسانية التي قدموها في اليومين الماضيين ، لأن الذبائح وما يتبعها في تلك المناسبات مكلفة ومرهقة لأقارب المتوفى . ولا يقتصر الحد عند الأكل والشرب ، وإنما يقوم أهل الميت بتجهيز مقدار من الحناء ، ثم

---

(١) ومن امثلة تلك العبارات ، السلام عليكم ، احسن الله عزاكم ، عظم الله أجركم ، غفر الله لميتكم ، ما عاد جابركم إلا الله ... الخ .

(٢) وقد عثرت على العديد من الوثائق المحلية المرسلة من اشخاص إلى آخرين ، يعزونهم فيها ببعض الأصدقاء والأقارب والأحباب ، وهذه طريقة حسنة وحميدة ، ولا تكلف من الأمر شيئا. وصور هذه الوثائق ضمن أوراق الباحث ، تحت الأرقام التالية (٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦).

يضعونها في إناء كبير ، ويمرر على جميع الحاضرين ليتزينوا بها ، وتوزع أغصان الريحان مع الحناء ، ثم تنتهي مراسيم العزاء(١).

٦ ـ القوانين العرفية

ترتبط القوانين العرفية بعادات وتقاليد وأعراف الانسان ، لكن هل هذه القوانين والأعراف متفقه مع الدين الاسلامي ، أم أن منها ما يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله ؟، وهذا ما سوف نحاول توضيحه في الصفحات التالية .

إن إقليم عسير ، سراة وتهامة ، يقطنه العديد من العشائر والقبائل التي لها قوانين وعادات وأعراف تضبط وتسيّر شؤون سكانها . ومن الثابت أن عقيدة سكان هذه البلاد ، هو الدين الاسلامي ، ولكن ما سادها من حروب وفوضى خلال القرون الماضية ، جعل الضابط السياسي فيها ضعيفا . وغابت قوة الحاكم الإداري الذي يستطيع توفير الأمن ، ومحاربة الفتن والضلالات ، وتحول الأمر إلى شيوخ ونواب وأعيان القبائل المختلفة في المنطقة ، فصاروا هم الآمرين الناهين في عشائرهم ، وتحولت إليهم الأمور في كل صغيرة وكبيرة ، وتبعت لكل واحد فيهم بطانة عرفت باسم (**الثمانية**) ، لأنهم ثمانية أشخاص تم اختيارهم من أعيان القبيلة ، لكي ينظروا في مشاكل وقضايا عشائرهم ، ثم يعالجونها بطريقتهم التي يرون(٢).

ونظرا لأن الطبيعة الجغرافية للعشائر والقبائل في عسير جعلتها متجاورة ، وأحياناً متداخلة بعضها مع بعض ، فتجدها متداخلة في المراعي ، والمزارع ، وموارد المياه ، والجبال والأودية ، والمواطن السكنية . ونتيجة لهذا التجاور يحدث بينهم صراعات وفتن ، وأحيانا حروب قبلية تستمر في بعض الأوقات إلى عدة شهور أو سنوات . ولكي تحتاط كل عشيرة أو قبيلة من جارتها ، أو شريكتها في أماكن الرعي ، أو موارد المياه ، أو على طول الطرق التجارية ، أو في الأسواق الأسبوعية ، يحدث بينهم العديد من التحالفات ، لهدف العيش في سلام ، فلا تعتدي واحدة على الأخرى ، سواء بالسلب ، أو النهب ، أو الغارة ، أو ماشابه ذلك . وهذا النوع من المتحالفين ، عبارة عن هدنة سلام بين المتفقين ، فلا يكون بينهم حرب ولا نزاع ، وبالتالي يعيشون في أمن وأمان . ولكن بعض هذه الاتفاقيات قد لا يدوم طويلا ، وخاصة إذا انعدم وجود العقلاء ، وأصحاب الفطنة ، والنفوس الصادقة

---

(١) وفي هذه الأيام نجد أن إعداد الحناء والريحان أصبح قليلا ، أما إعداد الذبائح وتجهيز الولائم من قبل اهل الميت فلازال يمارسها البعض. ونرجو الله أن يوفق الجميع لتركها ، سواء كانت في الأجزاء السروية أو التهامية من إقليم عسير ، أو في أي جزء اخر من اجزاء بلاد المسلمين.

(٢) وفي طيات بعض الوثائق المحلية في إقليم عسير ، لاحظت العديد من ورود عبارات مختلفة تعكس مدى نفوذ هؤلاء الثمانية الأشخاص ، ومن تلك العبارات «نحن ملزمون بقول الثمانية» أو «مايقول الثمانية فنحن حاضرون» أو «الرأي راي الثمانية» وغيرها من العبارات كثير. والقائلون لمثل هذه العبارات ، هم بعض أفراد القبيلة الذين لهم طرف في مشكلة قبلية أو اجتماعية ، ويراد حلها من قبل الشيخ والثمانية المختارين.

التي تحل امور عشائرها بالحكمة والموعظة الحسنة . فلا تهدأ الأمور إلا وتعود العشائر إلى حروب لا جدوى منها . إلا قتل الأنفس البريئة . وإهلاك الحرث والزرع ، ونشر الذعر والخوف بين السكان .

ونوع اخر من التحالف . وهو عبارة عن تآزر وتعاون وتكاتف عدد من العشائر ، فيصبحون يدا واحدة في حروبهم على قبائل وعشائر أخرى ، ولا يشترط في هذه العشائر المتازرة ، ان تكون متجاورة في مواطن إقامتها ، وإنما قد تكون متفرقة ومتباعدة . وفي الغالب ان مثل هذا النوع من الاتفاقيات يكتب على ورقة ، ثم تنسخ من عدة نسخ وتوقع من قبل اعيان وشيوخ القبائل المتحالفة ، ثم يعطى لكل عشيرة نسخة . ومن سمات هذا النوع أيضا ، انه يقوم بعض الحروب القبلية القائمة على مبدأ العنصرية ، فيذهب ضحيتها ارواح كثيرة ولأسباب واهية .

وفي اثناء رحلاتي في بعض جبال ووهاد وأجزاء عديدة من إقليم عسير . التقيت بالعديد من الشيوخ والمسنين الذين عاصروا الأربعة أو الخمسة العقود الأولى من القرن الرابع عشر الهجري ، فحدثوني عما كان بين القبائل من حروب وتكتلات ضد بعضهم البعض . وما كان هناك من خوف وفزع ، حتى أن الرجل منهم كان لا ينام إلا وسلاحه بجانبه ، وربما الكثير من الرجال لا ينامون طوال الليل لخوفهم من الغارات ، والسلب والنهب ، والفوضى التي كانت ضاربة أطنابها في البلاد . وما رواه لي الكثير ، وجدت أكثره مسطرا في بعض الوثائق المحلية المدونة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، حيث الكثير منها يوضح بعض التحالفات القبلية التى تنص على محاربة قبائل وعشائر أخرى ، والمبنية على اهداف عنصرية بحته لا تتفق مع منهج الدين الإسلامي الصحيح(١).

وغير النوعين السابقين من الأعراف والاتفاقيات القبلية ، وجدت أنواع أخرى من الاتفاقيات الجماعية التي يشارك فيها أفراد العشيرة أو القبيلة الواحدة ، كما وجدت اتفاقيات أخرى بين أفراد الفخذ الواحد ، وأحيانا بين أفراد الأسرة الواحدة . وبالنظر في مثل تلك الأنواع من الاتفاقيات ، وجدناها أعرافا وقواعد قبلية جيدة ، تدور في محيط حفظ الحقوق بين أفراد العشيرة أو القرية الواحدة ، وتردع الظالم عن ظلمه ، وتعطي المظلوم حقه ، وتقوي الترابط والتكاتف والتعاون والتكافل بين سكان القبيلة أو الأسرة ، وتساعد على نشر الأمن والاستقرار ، ومساعدة الفقراء والمحتاجين في القرية أو العشيرة الواحدة . ومن بنود مثل تلك الاتفاقيات محاربة غلاء المهور في القبيلة ، فيحدد أعيان كل عشيرة مقدار

---

(١) لم تكن قبائل وعشائر إقليم عسير ، هي المنفردة بمثل هذا النوع من التحالفات ، وإنما جميع عشائر شبه الجزيرة العربية كانت على نفس المنهج ، ونفس الطريقة. ويرجع الفضل في القضاء على مثل هذا النوع من الاتفاقيات ، إلى الله اولا ، ثم إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، الذي أدرك أن انعدام الأمن ، وانتشار الفوضى ، والعنصرية القبلية ، والحروب العشائرية ، هي الاسباب الرئيسية لايجاد مثل تلك التحالفات التي تقود إلى حروب دامية لا فائدة من ورائها. وأيام معاناة هذه القبائل والعشائر من ضعف العقيدة والوازع الديني ، إلى جانب فقدان السلطة الادارية التي تقيم حدود الله ، لتردع الظالم، وتنصف المظلوم ، وتعطي كل ذي حق حقه، فقد بذل (رحمه الله) الغالي والرخيص من اجل تحكيم كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، ومحاربة كل من يعارضهما ، فتحول العداء بين القبائل إلى محبة ، وعم الخير والأمن محل الفوضى والسلب والنهب ، وصار انتماؤه الفرد إلى الإسلام ثم الدولة ، بعد ان كان انتمائه إلى عشيرته او قبيلته .

المهر والكسوة التي يجب على الفرد دفعها عند زواجه من امرأة بكر أو ثيب . ولكن العيب في مثل هذا البند الذي يوجد بكثرة عند البعض من عشائر عسير ، أنه يقتصر على أبناء القبيلة التي توجد مثل هذا العرف ، ولا يشمل أبناء العشائر والقبائل الأخرى الذين يرغبون في الزواج من بنات القبيلة صاحبة الاتفاقية .

أيضا من البنود الأخرى ، تحديد عقوبات مادية ، كذبح شاة ، أو بقرة ، أو أكثر من ذلك أو أقل ، على من يتعدى على أحد من جيرانه ، أو أفراد قريته أو عشيرته ، أو حتى من العشائر أو القبائل المجاورة ، وتكون العقوبة بحجم الجرم الذي ارتكبه المعتدي ، فالضرب بالعصا عقوبته أكثر من عقوبة الجرح باللسان ، والضرب بالسلاح ، أو البندقية ، أكثر من عقوبة التعدي باللسان . ومثل هذه العقوبات المادية ، تشمل جميع أنواع الاعتداءات من الأفراد بعضهم على بعض ، سواء كانت اجتماعية ، أو أخلاقية ، أو سلوكية ، أو تربوية ، أو غيرها . والغرض منها ، هو تغريم المعتدي حتى يرتدع هو وغيره من القيام بإيذاء الآخرين في أنفسهم ، أو أموالهم ، أو ما شابه ذلك . ثم إن في هذه العقوبة نوعاً من التعزيز والسخرية في عرف سكان القبيلة ، فيقال : **هذا عقاب يستحقه الجاني ، لأنه لو لم يعتد على الغير لما عوقب ، ويتأثر نفسيا ، ثم يرتدع فلا يقوم باعتداء آخر .**

ومن بعض الأعراف القبلية ، أو حتى الأسرية ، مساعدة المحتاجين من الفقراء وغيرهم ، والوقوف إلى جانب المنكوبين الذين تخرب محاصيلهم الزراعية نتيجة لكثرة السيول ، أو ظهور بعض الآفات التي تقضي على الحرث والزرع ، أو تنهدم بيوتهم ، أو تحل بهم كارثة اجتماعية أو طبيعية . فيقف جميع رجال القرية أو العشيرة إلى جانب المنكوب فيزودونه بالحبوب وما يحتاج إليه ، أو يبنون بيته إن كان قد أصابه الخراب أو الدمار ، وما شابه هذه الطريقة التكافلية التي تصور بعض أنواع التعاون والتآزر بين أفراد المجتمع الواحد[١] .

٧ ـ عادات وتقاليد أخرى

لوحظ وفرة المادة العلمية الخاصة بالكثير من العادات والأعراف المختلفة والمتشابه في كل جزء من أجزاء البلاد[٢] . وفي الصفحات التالية ، سوف ندرس بعض العادات التي

(١) ولكثرة الاتفاقيات والأعراف القبلية ، التي من النوع الثالث والأخير ، نحيل القارىء الكريم الى كتابيّ السابقي الذكر « بلاد بني شهر وبني عمرو » و « صفحات من تاريخ عسير » الجزء الأول ، ومقالتنا التي نشرت في مجلة العرب ، في جزئي (٧ ، ٨) عام (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، والتي اشرنا إليها في عنصر الزواج من هذا الكتاب ، وسيجد العديد من الأنظمة العرفية المتعددة الجوانب ولكن كل ما تم تدوينه لا يكفي لإعطاء صورة وافية عن الأنظمة والقوانين العرفية التي عرفها ومارسها سكان إقليم عسير ، وإنما لازالت تحتاج إلى بحث طويل وجاد لنتعرف على ما فيها من حسن وسيء ، وما يتوافق منها مع مبدا الكتاب والسنة ، وما يتعارض معهما .

(٢) لو ركزنا بشكل مستفيض على العادات في إقليم عسير ، لطال بنا المقام ، وخرج لنا مئات الصفحات . لذا فلعل أحد الدارسين أو الباحثين من ابناء منطقة عسير ، أو غيرها من مناطق المملكة العربية السعودية ، يتخذ العادات والتقاليد في المنطقة الجنوبية من المملكة ، موضوعا لبحث ، فمن المؤكد انه سيجد مادة علمية جيدة ، وجديرة بالدراسة ، والبحث ، والتحليل ، والاستقصاء .

منها المجتمع العسيري في القرون الماضية . ومنها مازال يمارس بين سكان المنطقة إلى يومنا الحاضر . ومنها ما اختفى . أو أوشك على الاختفاء .

أ ـ التعاون

تشعبت عناصر التعاون بين سكان بلاد عسير ، فهناك تعاون بين أفراد الأسرة الواحدة ، من كبير الأسرة إلى أصغر فرد فيها ، فتجد الجميع (**أجداداً ، وآباءً ، وامهات ، وإخوانا واخوات ، وأحياناً أعماماً وعمات ، وأخوالاً وخالات**) كانوا مثل خلية النحل في ممارسة أعمالهم التي يكسبون منها قوت يومهم . فإن كانوا رعاة فجل تركيزهم على رعي بهائمهم ، وما يتعلق بها ، وان كانوا أصحاب زراعة ، أو صيد ، أو تجارة ، أو حرف صناعية ، أو غيرها ، فهم كذلك مشغولون متعاونون في ممارسة مهنتهم ، أو مهنهم التي يحترفون . بالاضافة إلى انهم متحابون ، فالكبار يرحمون ويعطفون على صغار السن ، والصغار أو الشباب يحترمون الكبار . وجميعهم يقومون على خدمة ورعاية شيوخهم او مرضاهم ، أو أصحاب العاهات بينهم .

ويمتد التعاون إلى الأقارب حتى ولو كانوا أسراً عديدة ، فتجدهم لا يحيدون عن القواعد الأساسية المبنية على التعاطف والتراحم والتآخي ، فغنيهم ينفق على فقيرهم ، وصغيرهم يحترم كبيرهم ، حتى لو حدث بينهم مشاكل أو ما شابه ذلك ، فانها لا تستمر (**وخاصة إذا أصيب أحدهم بنكبات أو حوادث اجتماعية ، أو بشرية ، أو طبيعية**) وتعود روابط الاخاء والمحبة بينهم . وغالبا ما تكون مساكنهم ومواطن استقرارهم متجاورة في القرية أو العشيرة الواحدة .

أيضا كان التعاون يشمل الجيران ، حتى ولو كانوا أسرا متعددة الأنساب ، فالرجال كانوا يتبادلون لوازم حياتهم ، ويتساعدون فيما بينهم ، سواء كان في مهنهم وكسب قوتهم ، أو في دفع ما يداهمهم أو يحيط بهم من أضرار طبيعة أو بشرية أو غيرها . ويعم التعاون ، وتبادل الهدايا ، والزيارات ، النساء والأولاد والبنات على حد سواء .

والتعاون بشكل واسع يشمل أفراد القرية أو القرى ، أو العشيرة ، أو العشائر المجاورة في موطن واحد ، فتجدهم يشارك بعضهم بعضاً في الأفراح والأحزان ، ويكتبون بينهم اتفاقيات تلزم الجميع بالحفاظ على الترابط والتكاتف ، ومساعدة الفقراء والمحتاجين ، أو المنكوبين بينهم . ويحاربون من يقوم بينهم ببعض العادات الأخلاقية أو السلوكية السيئة ، فلا يحمونه ، ولا يتعاونون معه ، وإنما يتكاتفون في معاقبته ماديا ونفسيا . ويلجأ البعض من أفراد القرى والعشائر إلى المشاركة بنصيب من محاصيلهم الزراعية ، أو ما يجنون من أموال ، كالنقود وغيرها ، فيجمعونها في مكان معين ، ويقوم بالإشراف عليها من يتم اختياره من بينهم ، ثم يتفقون على أوجه صرف مثل تلك الأموال ، التي كانت تجمع بشكل دوري في نهاية كل شهر ، أو وقت حصاد الثمار ، أو في نهاية كل عام ، وغالبا تصرف في أوجه البر ، كمساعدة الضعفاء والمحتاجين ، أو المنكوبين بينهم ، وأحيانا تجمع أموال

من كل أفراد العشيرة أو القرية ، كل على قدر استطاعته ، ثم تصرف في بناء بعض المشاريع الخيرية ، كبناء مسجد ، أو بيت لتعليم القرآن وبعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية . وكانوا ، أحيانا ، يصرفون من هذه الأموال بعض الأطعمة والولائم لمن يقدم عليهم كضيف من خارج حدود قريتهم أو عشيرتهم ، وكانوا أيضا يعطون منها من لا يستطيع الزواج بينهم ، أو من كان يتيما وليس له مال يفي بحوائجه .

ب ـ الكرم واستقبال الضيوف :

إن الكرم من مناقب العرب ، ونجد كتب التراث العربي الاسلامي مليئة بقصص الكرم والكرماء ، وربما وصلت بعض تلك القصص إلى مرتبة الخيال[1]، ومن ذلك فهي صحيحة ولا يمكن أن يتطرق إليها الشك بأي حال من الأحوال .

ويتضح كرم العسيريين في مناسبات عديدة ، أهمها : وفادة الضيف ، حيث يستقبل الرجل ضيفه بالترحيب والبشاشة ، ثم يقدم له كل ما يستطيع تقديمه من مظاهر الحفاوة والكرم [2] .

والضيوف في بلاد عسير على مراتب ، ولكل منهم منزله ، فأحيانا يقدم الضيف والضيفان والثلاثة على رجل معين في القرية أو العشيرة ، فيقدم لهم من موجودات البيت من لحم ، أو سمن وخبز وعسل ، وقد لا يكتفي بهذا وإنما يقدم لهم وليمة مكونة من خروف أو خروفين أو أكثر ، ويدعي الجيران ، وبعض أفراد القرية ليضفوا على الضيف/ أو الضيوف روح الأنس والمرح ، ويتناولون معهم الطعام ، حتى يرفعوا من منزلة الضيف ، ويعرف الضيف/ أو الضيوف أن مضيفهم ذا مكانه في قومه وعشيرته . مع أن مثل هذه الأطعمه قد تكلف صاحب المنزل كثيرا من الجهد والمال ، إلا أنه لا يمكن اهمالها ، وإلا أتهم بالبخل . والبخل من الصفات الذميمة التي يمكن أن يذم بها الرجل في إقليم عسير .

وهناك نوع آخر من الضيافة[3]، يشترك فيه جميع أفراد الفخذ ، أو القرية ، أو العشيرة الواحدة . ويحدث هذا النوع ، أن الضيوف غالبا يقدمون من خارج النطاق الاجتماعي للقرية أو العشيرة ، وعند وصولهم إلى ديار القرية المستقبلة ، وأحيانا إلى فناء

---

(١) نجد الكثير من كتب الأدب العربي مليئة بقصص الكرم والكرماء ، ومن أهم تلك الكتب مؤلفات الجاحظ . البيان والتبيين ، والحيوان ، والبخلاء ، والرسائل . ومؤلفات ابن قتيبه . عيون الأخبار ، والمعارف ، والإمامة والسياسة . ومؤلفات أخرى ، لأبي الفرج الأصفهاني ، والثعالبي ، والحصري القيرواني ، وابن الجوزي ، وكثير من الدواوين الشعرية المبكرة .

(٢) عادة استقبال الضيوف في إقليم عسير من العادات القديمة ولازالت متبعة إلى يومنا هذا ، حيث يكون جميع رجال القبيلة في استقبال الضيوف الذين يحلون عليهم ، أو على أحد منهم ، فيرحبون بهم ويسلمون عليهم ، ويعانقونهم ، ثم يصطحبونهم الى مجلس الضيافة ، ويجعلونهم في صدر المجلس ، لا يتقدم عليهم أحد كنوع من الاحترام والتقدير لهم . ويكرر على الضيوف عبارات الترحاب ، مثل : حياكم اله ، اهلا وسهلا ، مرحبا مئات ، أو مرحبا ألف ، إلى غير ذلك من الألفاظ والعبارات المعبرة عن القلوب الطيبة المليئة بالحب والإخاء وحسن المعشر وكرم الضيافة . ومن العادات التي لازال يمارسها بعض سكان عسير ، وخاصة في البوادي ، احضار بعض الأوعية المصنوعة من الخوص ، ثم وضعها وسط المكان الذي يجلس فيه الضيوف ، ويصب فيها أمام الضيف كميات من حبوب الهيل والقهوة ليرى الضيوف بأنفسهم نوع الهيل والقهوة التي سيقدمها لهم صاحب البيت ليشربوها ، وغالبا تكون من انواع الهيل والقهوة الجيدة .

(٣) ومثل هذا النوع من الضيافة يتم في مناسبات الزواج ، والختان ، أو التدخل في الاصلاح لبعض المشاكل والقضايا الاجتماعية بين القرى والعشائر المختلفة ، الى غير ذلك من المناسبات والاحتفالات المتنوعة .

المسجد . يكون في استقبالهم اغلب رجال القرية او العشيرة ، على هيئة صف واحد ، وبالتالي يصطف الضيوف القادمون ايضا صفا واحدا ، وبشكل متقابل مع أهل القرية ، ثم يبتدئونهم بالسلام . فيرد عليهم المضيفون التحية بأحسن منها[1]، ثم يتصافح الكبار مع الكبار . وكل واحد منهم يبدي شعوره النبيل تجاه الآخر ، وأحيانا يطلق الرصاص في الفضاء من قبل المستقبلين تعبيرا عن التحية والترحيب ، ويتبادل الضيوف معهم إطلاق النار . ثم يدخلون إلى بيت المضيف ومعهم رجال قريته ، فيتناولون ما أعد لهم من أطعمة واشربة . واحيانا يكون الضيوف لرجال القرية أو العشيرة كلهم ، وعندئذ فالضيافة تكون مسئولية الجميع ، ويتم توزيعهم على المنازل ، ويقام لهم بواجب الضيافة ، ولترتيب القيام بمثل هذا النوع من الضيافة ، فإن الكثير من سكان قرى وقبائل إقليم عسير يوجدون أنظمة واعرافا على جميع رجال القرية ، وكل واحد على قدر ما يمتلك من العقارات والأراضي الزراعية . فالفرد الذي يملك مزارع كثيرة ، يكون نصيبه من ذبح الذبائح واكرام الضيف اكثر من الشخص الذي يملك مزارع أقل . فمثلا يقرر على شخص أو أسرة أربع شياه كل عام ، في حين أن أسرة أخرى لا يقرر عليها إلا شاة واحدة في العام ، وذلك كل على حسب مزارعه وعقاراته . وعند إيجاد مثل هذا النظام ، كان هناك أشخاص في العشيرة أو القرية ، عالمون من حل عليه الترتيب في استقبال ضيوف العشيرة ، وعندما يقدم ضيوف للجميع يتم إخبار من عليهم الترتيب لكي يستعدوا لاستقبال من يرسل إليهم من الضيوف . ويطلق على هذه العادة عند البعض من عشائر إقليم عسير ، أسماء عديدة ، منها : (**النصة**) أو (**الخطة**) أو (**النوبه**) أو (**الشوع**) أو (**الفرق**)[2]. ومن لا يمتثل من أفراد العشيرة إلى ما طلب منه ، ويقوم (**بخطته**) أو (**نوبته**) يتآزر عليه رجال القرية أو العشيرة فيرغمونه على القيام بما أمر به ، وأحياناً يجازى بعقاب مادي آخر ، فيذبح ذبيحة أخرى ، أو ما شابهها .

ومن صفات الكرم عند العسيريين ، أنهم كانوا يستضيفون أبناء السبيل عندما يقابلونهم في الطريق ، أو يقدم بعضهم إلى المسجد أو القرية ، فيجدون هناك من يستضيفهم في داره ، وأحيانا يبني بجانب المسجد في كل قرية غرفة ، لكي يأوى إليها ابن السبيل ، وغالبا يظهر في رجال القرية من يأتي له بالطعام إلى مقر إقامته في تلك الغرفة .

جـ ـ الشجاعة :

تعتبر الشجاعة من أهم صفات العسيريين ، فنجد الرجل منهم لا يخاف ، وإنما يسافر ويتنقل من مكان إلى آخر ، وخاصة في الليل رغم وجود العديد من الوحوش المفترسة ،

---

(١) عند بعض العشائر في عسير يبتدىء المضيفون بالترحيب فيقولون : (ارحبوا يارجال ارحبوا) فيقول القادمون : (نحن واياكم ، السلام عليكم يارجال ...) وهناك بعض العشائر يكون البادىء فيهم بالسلام ، هم الضيوف القادمون . كما ان هناك عبارات وجملاً عديدة تقال في لحظة المقابلة بين الطرفين ، وتختلف من مكان لآخر ، ومن الأجزاء التهامية إلى الأجزاء السروية ، والاختلاف لا يكون في معاني العبارات فحسب ، ولكن أيضا في اختلاف الألفاظ واللهجات .

(٢) وجميع هذه الأسماء تطلق اما على الذبيحة التي يقدمها الفرد ، أو تطلق على عملية الضيافة بشكل عام . وهناك مصطلحات أخرى ، مثل (دول) او (ذمر) أو (صحن) . والذمر والصحن تطلق في حالة تقديم طعام البر والسمن بدون ذبيحة .

وبعض الزواحف السامة ، وأحيانا يعترض له بعض اللصوص وقطاع الطرق . ومع هذا كله كان الواحد منهم لا يخاف ، ولا يغادر منزله إلا وهو متوشحُ سلاحه ، كالخنجر ، أو البندقية ، وفي أضعف الحالات يحمل بيده عصا ، أو فأسا ، أو ما شابه ذلك .

أيضا كان للعسيريين دور ومساهمة في الحروب والصراعات القبلية التي كانت منتشرة ومتغلغة بينهم ، فتجدهم في حروب مستمرة ، فلا يخافون الموت ، وإنما الواحد منهم يثور لأتفه الأسباب ، فيحارب ، وربما غزا وسلب دون أن يهاب أو يجبن . وان كانت مثل هذه الأعمال غير حميدة ، وتتعارض مع مبدأ الشريعة الإسلامية ، إلا أنها بدون شك تصدر من رجال شجعان لا يهابون الموت والمشاركة في ميادين الحروب . ومما يؤكد على شجاعتهم أيضا مشاركتهم في الجهاد ، فعندما ينادي فيهم الحاكم الإداري ، تجد كل قبيلة أو عشيرة تعين من رجالها من يمثلها في الحرب أو الغزو الذي نادى به صاحب السلطة في البلاد[١].

ونجد الرحالة الفرنسي تاميزية (Tamisier) يتعرض لوصف العسيريين في بداية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ، فيقول : « **... ومن عاداتهم اذا دعاهم الحاكم إلى الخدمة العسكرية ، أن يجتمع الكبراء منهم ، ويتداولوا فيما بينهم لتحديد عدد الجنود المفروض على كل قرية ، أو قبيلة ، والفرد الذي يقع عليه الاختيار يسلح ويعيش على نفقة الذين يبقون في بيوتهم ، وإذا قتل في الحرب فعلى القبيلة أن تقوم على زوجته وأولاده ، وإذا عاد منتصرا فعليه أن يقاسم ما غنمه أهل قريته أو قبيلته** »[٢].

ولم تكن هذه العادة فقط من عهد تاميزية ، وإنما هي عادة قديمة عند سكان إقليم عسير وغيرهم ، وقد استمرت حتى عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، حيث بحوزتنا العدد الكثير من الوثائق التي تعكس مدى مساهمة بعض العشائر والقبائل العسيرية في الجهاد أثناء توحيد المملكة العربية السعودية ، وكان من يذهب إلى الجهاد ينطبق عليه ما ذكر تاميزية[٣].

---

(١) وجميع قبائل العرب في شبه الجزيرة العربية معروفة بصفة الشجاعة والوفاء ، وقد لاحظنا ذلك أيام الغزو العراقي للكويت عام ١٤١١هـ ، حيث هب سكان المملكة العربية السعودية إلى تلبية نداء خادم الحرمين الشريفين فانخرطوا في سلك التطوع ، واستعدوا للاشتراك في الجهاد والدفاع عن المال والوطن والعرض والمقدسات ، وكل ما تحتويه البلاد من خيرات . وهذا النبل والشجاعة لم يكن وليد الساعة ، وإنما هي صفات ورثها الأبناء والآباء عن الأجداد الأوائل الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية المبكرة ، فأعلوا راية الإسلام ، وحطموا معالم الكفر والطغيان .

(٢) انظر ، مقالة تاميزية ، مجلة العرب ، جـ ٩ ـ ١٠ (الربيعان ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ص ٦٥٩ . ومن خلال رحلاتي في انحاء عديدة من بلاد قحطان وشهران ، ورجال الحجر ، ومنطقة بيشة ، وبلاد غامد وزهران ، التقيت بالعديد من المسنين الذين عاصروا كثيرا من الأحداث السياسية خلال القرن الرابع عشر الهجري ، وبعضهم يذكر اسماء أشخاص شاركوا من عشائرهم في حروب متعددة ، ومنهم من قتل ومنهم من سلم وعاد . اما الذين قتلوا فتولى اقرباؤهم ، بمساعدة أعيان القبيلة ، رعاية أولادهم وبناتهم وذريتهم ، وكانوا سندهم الكبير بعد الله .

(٣) بحوزة الباحث بعض الوثائق التي تؤكد ما ذهبنا إليه ، وأرقامها ضمن أوراقه هي : (٤، ٧٣، ٨٠، ١٩٥، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٤٠، ٣٨٥، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٥٨٥، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٧). وفي عهد الحكومة السعودية الحالية ، ومن يموت في جبهات القتال ، أو أثناء ممارسة عمله ، فالدولة تتولى الاستمرارية في صرف أرزاق ورواتب لورثة الميت حتى يبلغ كل واحد من أولاده وبناته سن الثامنة عشرة من عمره .

د - الصلح

ظاهرة الصلح عادة قديمة عرفها العرب قبل الاسلام ، وجاء الإسلام فأشار إلى قضية الصلح في كتاب الله . قال الله تعالى ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾[1] . وبهذا فقد استمر الصلح خلال القرون الإسلامية المختلفة ، وقد اختلفت أزمنة ، وأمكنة ، ومناسبات الصلح ، فهناك إصلاح بين فرد وآخر ، أو بين عشيرة وأخرى ، أو بين حكومة وأخرى . كما أن هناك صلح على حدود دولية ، أو عشائرية ، أو أسرية أيضا ، ومواضيع اصلاحية أخرى يصعب حصرها في هذه السطور . وكان مكان الاصلاح في المحكمة الشرعية ، أو في مضارب القبيلة ، او في دار أحد شيوخ القبائل ، أو في أي مكان قريب من مكان النزاع الذي يراد اصلاحه .

وبالاطلاع على عشرات الوثائق في إقليم عسير ، استطعنا العثور على عدد كثير من الاتفاقيات والوثائق التي تعتبر نماذج اصلاحات بين أفراد ، أو أسر ، أو عشائر متنازعة في طول وعرض البلاد . وغالبية بنود الصلح المكتوبة في الكثير من تلك الوثائق والاتفاقيات تدور حول مهن السكان الاجتماعية والاقتصادية ، كالأملاك الزراعية ، ومصادر المياه ، ومواطن الرعي والصيد ، والطرق الزراعية والتجارية ، والأسواق الأسبوعية ، وغيرها من المواضع العديدة . ومعظم تلك الوثائق إن لم يكن جميعها ، عبارة عن قضايا وبنود مكتوبة بخط اليد ، تحتوي على مجالات الخصام ، وأسماء الأطراف المتنازعة ، والموضوع الذي تم التنازع عليه ، ثم أسماء الشهود والمصلحين بين المتخاصمين ، ويتم توضيح الاتفاقيات والبنود التي اصطلحوا عليها ، وأخيرا يوقع المتنازعون ، ثم الشهود والمصلحون على تلك الاتفاقيات ، ثم يعطي كل طرف من الأطراف المتنازعة نسخة من ذلك الصلح حتى يحتفظ بها كمستند رسمي يبرزها وقت الحاجة[2] .

أما عادة طلب العفو عن الآخرين ، فهي من الأمور الإصلاحية التي عرفتها المجتمعات العسيرية ، ومضمون ذلك أن الحاكم أو القاضي إذا أصدر حكما ليس فيه حد شرعي ، على أحد من الناس ، فانه قد يتدخل بعض الأعيان وأهل الرأي لطلب العفو عن المحكوم عليه ، وغالبا يذهبون إلى صاحب الحق ، فيلقون عمائمهم بين يديه ، وأحيانا عند رجليه ، وقد

---

(1) سورة الحجرات ، آية (٩) . وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم تشير إلى أهمية الصلح والاصلاح بين الناس ، قال تعالى ﴿ اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ وقال تعالى ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ وقال تعالى ﴿ فلا جناح عليهم أن يصلحا بينهما صلحا ﴾ وقال تعالى ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ .

(2) بحوزة الباحث الكثير من الاتفاقيات التي هي : عبارة عن إصلاحات بين أفراد وأسر وعشائر ، وتاريخ بعض تلك الوثائق يعود إلى القرن العاشر والحادي عشر ، والثاني عشر للهجرة . كما أن هذه العادة في كتابة وثائق ومستندات بين المتنازعين في إقليم عسير لازالت سارية المفعول عند الكثير منهم في جميع أنحاء البلاد .

يقبلون خشمه ولحيته طالبين منه العفو عن المحكوم عليه[1]، وفي كثير من الأحيان لا ترد عمائم المصلحين على رؤوسهم إلا بعد استجابة صاحب الحق في العفو والسماح ثم التنازل عن حقه . وقد بين سليمان شفيق باشا الكمالي تأصل مثل هذه العادة بين سكان بلاد عسير[2]، ولازالت تمارس بشكل واسع حتى يومنا هذا .

هـ ـ عادة اعطاء الوجوه أو الجوار :

ان عادتي اعطاء الوجه أو الجوار متقاربة في مضمونهما وأساليبهما ، ففي بعض الأحيان كان يحدث صراعات واقتتال بين بعض الأشخاص ، يترتب عليها فقد أرواح يكون من نتيجتها مطالبة أقرباء المقتولين بالثأر ، فيضطر القاتل أو(**القتله**) إلى الهروب من أوطانهم ، فيجاورون عشائر أو قبائل أخرى ، وبوجودهم بين العشائر المجيرة لهم ، يصبحون في كفالة تلك العشائر ، فيوفرون لهم الأمن والحماية ماداموا يعيشون معهم . ومن العرف عند سكان إقليم عسير احترام عادتي الوجوه والجوار ، فلا يعتدى على من يعطى هاتين العادتين ، حتى يخرج من حماية من حماه ، وبعد ذلك يكون المعطي للوجه في حل من حماية الجاني ، ولو حدث أن أحد خرق ذلك العرف ، وحاول أخذ ثأره من غريمه وهو في كفالة وحماية شخص أو عشيرة معينة ، فربما يعرض نفسه للقتل ممن أعطاه الحماية والجوار[3].

و ـ عادة توديع واستقبال المسافر :

كان المسافرون عندما يخرجون من ديارهم ، إما للتجارة وكسب الرزق ، أو لأداء فريضة الحج ، يعانون متاعب كثيرة ، وذلك عائد إلى وعورة المسالك والدروب المخترقة لجبال ووهاد ووديان بلاد تهامة والسراة ، ولكثرة الوحوش والزواحف المفترسة أو السامة ، وغارات القبائل والعشائر بعضها على بعض ، وانتشار الأمراض والفقر والجوع بين الناس ، ووجود بعض اللصوص وقطاع الطرق . وجميع هذه العوامل تجعل المسافر يخرج من داره وربما لا يعود ، فيودعه أهله ، وقد يبكي البعض منهم على فراقه ، وهو أيضا يودعهم ، وأحيانا يوصيهم وصية مودع قد لا يعود ، وعند ذهابه ثم رجوعه سالما يستقبل بكل حفاوة وترحيب ، وفي بعض الأنحاء من إقليم عسير ، يخرج رجال القرية لكي يستقبلوا بعض المسافرين الذين طالت غربتهم ، وأحيانا يعبرون لهم عن ترحيبهم باطلاق

---

(١) عادة القاء العمائم أو تقبيل الخشم أو شعر اللحية من العادات العربية السابقة للاسلام ، وقد استمرت في العهود الاسلامية المختلفة حتى عصرنا الحالي ، فلازلنا نلاحظ الكثير من سكان العرب في شبه الجزيرة العربية يمارسونها ، كما كان يمارسها الأوائل من قبل . وللمزيد من التفصيلات ، انظر مقالنا « العمائم تيجان العرب » مجلة بيان الصادرة عن نادي أبها الأدبي ، عدد (٨) ، عام ١٤١٣هـ ص ٦٦ ـ ٧١ .

(٢) انظر ، مذكرات سليمان شفيق باشا ، ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) وعادة اعطاء الوجه أو الجوار من العادات القديمة عند العرب ، واستمرت هذه العادات في العصور الاسلامية المختلفة حتى وقتنا الحاضر . وكتب السير تذكر قصة الرسول (ﷺ) عندما رجع من الطائف إلى مكة المكرمة ، وطلبه الجوار من بعض القرشيين ، فأجاره مطعم بن عدي ، وهذا مما يؤكد على قدم هذه العادة .

الأعيرة النارية ، وممارسة بعض الرقصات الشعبية ، واعداد الولائم فرحا وسرورا بقدوم اولئك المسافرين .

وكان على بعض المسافرين ، وخاصة ممن طال غيابه ، وتحسنت أوضاعه المادية ، أن يقدم كسوة لكل رجل وامراة في قريته ، وغالبا ما تكون الكسوة عمامة ، وأحيانا من قماش (**الدوت**) او (**البفتة**) للرجل ، وقناع وربما قماشاً من القطيفة للنساء . أما أقرباء المسافر ففي الغالب يكسون جميعا ، كل على مستوى سنه ووضعه الاجتماعي في الأسرة . وعندما تكون ملابس الكسوة لا تكفي لجميع الأقارب ، يضطر المسافر (**الكاسي**) إلى التعويض عنها بالمال ، فيعطي كل شخص مبلغا من المال يعادل ما يستحقه من كسوة[1] .

ز ـ تبادل الأخبار :

الحديث أو السماع للأخبار ، عادة قديمة عند العسيريين ، ومازالت قائمة عند الكثيرين منهم حتى الآن ، وطريقتها أنه إذا قدم رجل من سفر ، أو من قرية بعيدة ، على قريب ، أو جار ، او صديق له ، فإنه يبدأ على الفور بأخباره عن أسباب قدومه ، وعن أحواله وأحوال أسرته ، وقريته ، وعشيرته ، وفي مقدمة تلك الأخبار ، ما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وخاصة ما يمس مهنهم ، وموارد دخلهم ، وأحوالهم الصحية ، وفي أثناء حديث الوافد ، يكون المقيم مصغياً إلى حديث المتكلم ، ولا يقاطعه في كلامه حتى ينتهي ، وعند الانتهاء يبدأ صاحب الدار بتكرار ترحيبه بالوافد ، ثم يخبره هو بكل ما يتعلق بأحواله ، وأحوال أسرته وقريته . وفي حالة وجود أكثر من شخص في المجلس ، وخاصة من أقرباء المقيم ، فإن أكبرهم سناً هو الذي يتحدث ويرد على الضيف ، وذلك تقديراً للسن وأهله . وطريقة الأخذ والعطاء بين الوافد والمقيم ، تعكس نمط آداب الحديث ، وتصور نوعاً من أنواع المجالس الاجتماعية في الديار العسيرية[2] .

ح ـ عادة السَّمُوَّه أو (السَّماية) :

عادة السَّمُوَّه كانت تمارس بشكل كبير بين سكان المجتمع العسيري ، فعندما يولد لبعضهم أولاد يسمونهم على بعض أسماء الأقارب ، أو الجيران ، أو الأصدقاء . فإذا كان المسمى به قريباً ، أو من أفراد القرية ، أو العشيرة التي ينتمي إليها المولود الجديد ، يأتي هو وبعض أقاربه لزيارة المولود وأهله ، فيقدمون لهم بعض الهدايا ، كالملابس ، والنقود ،

---

(١) وهذه العادة لاحظتها بنفسي عندما كنت صغيرا ، خلال العقد التاسع من القرن الرابع عشر الهجري ، حيث كان بعض الأقرباء (كالاخوان ، والاعمام والاخوال) عندما ياتون من سفر يقدّمون لنا بعض الألبسة ، وأحيانا كانوا يقدّمون للكبار بيننا ، وخاصة الآباء والامهات ، بعض الألبسة والنقود معا . ومن يمعن النظر في وقتنا الحالي يجد ان مثل هذه العادة اختفت ، وربما قلة قليلة من السكان لازالوا يمارسونها ، فيقدمون بعض الملابس الأفضل في الجودة من الألبسة التي كانت تقدم سابقا .

(٢) وهذه العادة مثلها مثل العادات التي بدأت تقل ، وخاصة عند الشباب المتأخرين ، فتجد البعض منهم ربما يصل عمره إلى العشرين واحياناً إلى الثلاثين ، ولا يستطيع ان يتكلم في موضوع ما ، مثلما كان يتكلم الأوائل في أعمار قد لا تتجاوز العشرين سنة من أعوام حياتهم . ومن خلال رحلاتي في أجزاء تهامة والسراة من بلاد عسير ، لاحظت أن غالبية من لازال يمارس هذه العادة ، هم من كبار السن ، أو من الذين تتراوح أعمارهم مابين الخمسة والثلاثين والثمانين سنة .

والذبائح وغيرها ، ويسلم المسمى به على سميه المولود ويدعو له بطول العمر وحسن العمل ، والتوفيق والعافية والهداية . وفي حالة أن المسمى به من قبيلة أخرى غير قبيلة المولود وأهله ، فانه يجمع رجالا من عشائره وقبائله التي ينتمي إليها ، وأحيانا يصل عددهم إلى المائتين أو الثلاثمائة رجل ، ويحددون يوماً لزيارة المولود وعشيرته ، ويذهبون في الموعد المحدد حاملين معهم الكثير من الهدايا ، والأكسية المتنوعة ، وبعض الأموال . وعند وصولهم يعلنون أمام عشيرة المولود ما قدموا به من هدايا وأموال لسميهم الجديد [1]، ثم تقام بهذه المناسبة الاحتفالات والضيافة المناسبة ، وقد تستمر الرقصات والاحتفالات الشعبية ليومين أو ثلاثة .

وعلى ذكر السّماية ، نجد الكثير من الأسماء المتميزة في بعض الأجزاء العسيرية دون غيرها ، فعندما تذكر بعض الأسماء التي سنوردها فيما يلي ، يستطيع السامع ، إذا كان عارفا بأحوال إقليم عسير ، أن يحدد موطن صاحب الاسم دون أن يخبر بذلك . ففي بلاد غامد وزهران يتميز أهلها بتسمية عطيه ، وجمعان ، وغراز ، وغرم الله ، وحكران ، وعيظه ، وجحران ، وقشران ، وصحفان ، وخضران ، وقبسون . وفي بلاد شمران وبلقرن ، ورجال الحجر (**بنو شهر ، وبنو عمرو ، وبللسمر وبللحمر**) جرمان ومشرف ، وغرامه ومسبل ، وجاري ، وغرم ، وغرمان ، وغيثان ، وفائز ، وحمود ، ومناع ، وفراج ، وحنش وخلوفه ، وظافر ، وشار ، ومعاضه . وبين قبائل عسير الرئيسية ، معدي ، وفائع ، ومسلط ، وعيسى ، وزائد ، والحسن . وعند شهران اسم مستور ، وجابر ، وعبيد ، وعبود ، وبطي ، وسفر ، وعوضه ، ومبارك . ولدى عشائر قحطان ، هيف ، وسعيد ، وسالم ، وسيف ، وصالح ، وعوض ، وشفلوت ، ومعيض ، ومسفر ، ومرعي ، ومشبب ، ومداوي ، ومفرح ، وشائع . وهذه الأسماء وغيرها كثير تكاد تكون من السمات المميزة في بعض المناطق العسيرية المذكورة آنفا [2].

والسبب في تميز مثل هذه الأسماء خلال القرون الماضية ، ربما يعود إلى اعجاب بعض الأسر في تسمية أولادها بمثل هذه الأسماء ، أو إلى تقليد بعضهم بعضاً ، فعندما كان يسمي رجل أحد أولاده باسم عطيه أو غرم الله في بلاد غامد أو زهران ، يتبعه في التسمية أكثر من أسرة في تلك الأجزاء . وظاهرة الأسماء ومعانيها وجذورها التاريخية بين سكان عسير ، أو في أنحاء المملكة العربية السعودية جديرة بالدراسة والاستقصاء . ونجد في العهود الماضية أسماء كثيرة مستمدة من مسميات الطبيعة ، وما يوجد بها من كائنات حية أو غير حية . وفي العقود المتأخرة من القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر

---

(١) ومثل هذه العادة تحدث في عادة الزواج ، فأحيانا عندما يتزوج شخص ما ، يقوم بدعوة أصدقائه وزملائه (وخاصة العاملين معه في مجال وظيفته ، أو من يربطه بهم علاقات صداقة وروابط اجتماعية) فيرحبون بالدعوة ، ويجمعون له بعض المال ثم يوضع بيد أكبرهم سنا ، وعندما يقدمون إلى مكان الزواج يستقبلهم العريس وبعض رجال عشيرته ، فيرحبون بهم ، وبعد الترحيب بهم يتكلم من بيده النقود فيخبر السامعين بهدف قدومهم ، ثم يذكر مقدار المال الذي جمعوه وجاءوا به لزميلهم وصديقهم ، وأحيانا لا يذكر المقدار ، وإنما يبين أنهم شاركوا في مساعدة صاحبهم . وهذه العادة قديمة جداً ولازالت تمارس إلى يومنا الحاضر .

(٢) الأسماء ومدلولاتها في إقليم عسير ، أو في شبه الجزيرة العربية من المواضيع الجديرة بالدراسة ، حبذا لو تجرد لها أحد الباحثين من أبناء المملكة العربية السعودية ، فأخرج لنا دراسة علمية جادة تفيد القارىء والباحث على حد سواء .

الهجري ، نجد ظهور أسماء لم يعرفها أهل البلاد من قبل ، فبعضها يكون أسماء صحابه او قاده مشاهير او علماء وجهابذة في التاريخ الاسلامي [١] ، وأخرى ربما يكون مقتبساً من اسماء اشخاص أخرين في البلدان المجاورة سواء داخل شبه الجزيرة العربية أوخارجها ، وهذا التغير الأخير ربما نتج عن سببين هما :

(١) انتشار الوعي الديني بين الناس [٢]، وبالتالي صاروا يعرفون أسماء قادة ومشاهير في صفحات التاريخ الإسلامي ، وتأثروا بذلك ، فصاروا يسمون أولادهم بأسماء أولئك المشاهير .

(٢) أن العالم العربي والإسلامي ، بل والعالم بأسره ، انفتح بعضه على بعض ، فأصبح وكأنه قرية أو حي صغير يعرف ما بداخله ، فاختلفت الثقافات ، وامتزج الناس بعضهم ببعض . فأثروا وتأثروا في جميع الجوانب الحضارية ، حتى تسمية أولادهم وبناتهم [٣]

٨ ـ المجالس العلمية والاجتماعية :

لم يكن المجتمع العسيري خالياً من بعض الأنشطة العلمية والاجتماعية . ففي مجال العلم ومجالس التعليم صار هناك بعض الكتاتيب في كل قرية ، أو عند الكثير من العشائر القريبة من بعض المراكز الحضارية ، في الأجزاء التهامية أو السروية من البـلاد . والكتاتيب (**مفردها كتّاب**) ، وهي : المنازل أو الدور التي كانت تخصص في القرى لارسال الأولاد إليها في سن الرابعة أو الخامسة من أعمارهم ، لكي يتعلموا مبادىء القراءة والكتابة . والقائمون على الكتّاب وتعليم الأولاد يكونون ممن نالوا بعض المعرفة في قراءة القرآن ، وكتب السنة ، وغيرها من علوم المعرفة . ويطلق على الواحد منهم اسم

---

(١) ومن الاسماء التي نلاحظه بين اطفال إقليم عسير وغيره في انحاء المملكة العربية السعودية ، ومقتبسة من كتب التراث الاسلامي ، مايلي : الرازي ، المكتفي ، المعتز ، المثنى ، البراء ، معاذ ، مصعب ، صهيب ، قتيبة ، فراس ، سهيل ، ياسر ، خديجة ، اروى ، سمية ، صفية ، دانية ، اسماء ، رقية ، بنان ، هدى ، وغيرها أسماء كثيرة ، ويصعب حصرها في سطور .

(٢) مما لا شك فيه ان الوعي الديني بين سكان المملكة العربية السعودية ، اصبح في العقود المتاخرة افضل مما كان عليه في العقود الاولى من القرن الرابع عشر الهجري ، وذلك يعود إلى أسباب عديدة منها: ما تبذله حكومة المملكة من جهد في نشر العلم وتوعية الناس في امورهم الدينية والدنيوية . كذلك ما يبذله ابناء المملكة العربية السعودية من جهد في تلقي العلم والمعرفة ، مع مراعاة النهل من المعارف الموافقة لكتاب الله وسنة رسوله ، وهذا ما يجب أن يتصف به طالب العلم المسلم، الذي يرجو رحمة ربه عزوجل.

(٣) من المؤسف حقا ، ان التاثر بالحضارات في بعض الأحيان يكون ذا نتيجة سلبية ، وفيما يخص الأسماء ، نلاحظ في أنحاء عديدة من إقليم عسير ، وغيره من اجزاء المملكة العربية السعودية ، وجود اسماء دخيلة علينا ، وليست من لغتنا ولا تراثنا في شيء . ولم تكن اسماء افراد فحسب ، وانما هي أسماء محلات عقارية وتجارية ، واحيانا مؤسسات كبيرة ، فلا يقتصر تسمية المحل أو المؤسسة بشكل خال من الدعاية والإعلان ، وإنما تكتب أسمائها على أبواب المكان التجاري ، وبشكل دعائي ملفت للنظر ، ثم تطبع في اوراق واحياناً توزع على المارة في الشوارع والطرقات . ومن تلك الأسماء ما يكون مقتبساً من حضارة أخرى ، وهي في حد ذاتها لا تتماشى مع منهج الدين الإسلامي السليم . ومن هذه الأسماء على سبيل المثال : النيروز ، أو المهرجان ، وهي من أعياد الفرس القديمة ، والمرفوضة في عصر الرسول (ﷺ) والسلف الصالح . والبرنسيسه : هي كلمة انجليزية يقصد بها اسم (الأميرة) . وجنتلمان : وهي كلمة انجليزية ايضا تطلق على (الرجل الانيق) . وغيرها أسماء عديدة يصعب حصرها .

الشيخ ، أو الفقيه ، أو المطوع ، أو السيد ، أو الجد ، أو المعلم ، أو المدرس ، أو غيرها من الأسماء التي تعارفوا عليها في القرون الماضية ، ودور المعلمين في الكتّاب أن يعلموا الأولاد المرسلين إليهم من الأهالي ، ويركزون على تعليم القرآن الكريم بالتدريج ، وتعليم الحروف الأبجدية ، وبعض الأغاني التعليمية التي يقولها المعلم ، ثم يرددها الأولاد في صوت واحد من بعده ، ومن تلك الأناشيد التي كانت تقال : « **ألف لا شيء عليها ، والباء واحدة من تحتها ، والتاء اثنتان من فوقها** ». ومعنى ذلك أن الألف لا شيء عليها ، أي لا نقطة عليها ، بينما الباء واحدة من تحتها ، وهي النقطة التي تحت الباء ، والتاء اثنتان من فوقها ، أي النقطتان اللتان تميزان حرف التاء . وهناك أناشيد يرددها الطلاب كل يوم

أثناء مغادرتهم مقر الدراسة (**الكتّاب**) ، يدعون فيها لمعلمهم ، ويطلبون التوبة والرحمة من الله ، فيقولون :

غفر الله لمعلمنا ولوالديه
والمعلامة بين يديه
ياتواب تب علينا
وارحمنا وأرض علينا
حن عبيدك لا تنسانا يامولانا
يارب الحرم والبيت[١].

ويستمر بعض التلاميذ في مدارس الكتّاب سنة أو سنتين ، وربما أكثر من ذلك ، ثم يعودون إلى أهاليهم لمساعدتهم في مهنهم التي يقتاتون منها . ومنهم من يذهب إلى مكان آخر يكون أفضل من حيث الاستزادة في المعرفة ، وغالباً ما يكون في المكان الجديد عالم أو علماء مشاهير يتعلم الطلاب الوافدون على أيديهم . وعند الانتهاء من تعليمهم يمنحون أجازات أو شهادات علمية تدل على قدرتهم في التدريس ، وأحياناً في الفتوى والقضاء[٢]. ولم تكن تقتصر مهنة التعليم على مدارس الكتّاب ، وإنما كان هناك حلقات في المساجد ، أو في دور بعض العلماء أو العارفين بعلوم الشريعة . وهذه الحلقات لا تقتصر فقط على صغار السن ، وإنما يحضر بعضها كبار السن من الآباء ، والأخوان ، والأجداد . ولم يكن هناك مدارس نظامية ذات أيام وأوقات معلومة ، إلا بعد مجيء حكم الدولة السعودية الحالية[٣].

---

(١) سمعت هذا النشيد عند عدد من رجال إقليم عسير ، وخاصة في الأجزاء السروية ، وغالبية من سمعت منهم كانوا قد تعلموا في بداية حياتهم بالكتاتيب التي كانت موجودة في انحاء بلاد عسير .

(٢) كان في بلاد عسير بعض المراكز والبيوت المشهورة بالعلم والمعرفة ، مثل أسرة آل الحفظي في بلاد رجال ألمع ، وأسر عديدة في البرك ، والقنفذة ، وجازان ، وصبيا ، وعدد من المراكز الأخرى في الأجزاء السروية. وللمزيد من التفصيلات عن الحياة العلمية والثقافية في إقليم عسير ، انظر. عبدالله ابو داهش. الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ، وكتاب شعاع الرحلين ، جمع وتحقيق عبدالرحمن الحفظي ، وكتاب صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول، ص ٤٩ ـ ٥٩، ومقالنا الذي بعنوان «أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية» مجلة العرب ، جـ ٩-١٠ (الربيعان، ١٤١١٢هـ/١٩٩١م) ص ٥٩٤ ـ ٦١٠.

(٣) موضوع التعليم في إقليم عسير، خلال عهد الدولة السعودية الحالية ، من المواضيع الجديدة والجديرة بالدراسة، حبذا لو انبرى لها بعض الدارسين المتخصصين في المناهج وعلوم التربية، أو من يجد لديه القدرة على دراسة هذا المجال . وبهذا العمل سوف يخرج لنا ـ باذن الله ـ دراسة قيمة يستفيد منها كل طالب علم.

وكان هناك مقابلات ومراسلات للعلماء مع بعضهم البعض . فتجد علماء آل الحفظي ، في بلدة رجال ألمع . كانوا يستقبلون بعض العلماء والدارسين في مقر إقامتهم ، وكان البعض منهم يذهب للالتقاء ببعض الفقهاء والعلماء في البرك ، أو القنفذة ، أو صبيا ، أو أبها ، أو خميس مشيط ، او النماص ، او الباحة وبلجرشي ، وغيرها من المراكز الحضارية الأخرى . وكان هناك من يراسل العلماء والفقهاء في مدن الحجاز ، ونجد ، واليمن . وفي كثير من الوثائق التي استطعنا الاطلاع عليها ، وجدنا أن مجالس العلماء والفقهاء ، أو مراسلاتهم كانت تدور حول العديد من المواضيع ، كمناقشة بعض القضايا الفقهية أو الشرعية . او استفسار بعضهم من بعض في فتاوي شرعية معينة ، أو طلب بعضهم من بعض اعارة بعض المصادر الشرعية ، أو التشاور في بعض القضايا الدينية ، أو الامور الاجتماعية التي كان لها علاقة ببعض الجوانب السياسية ، أو الاقتصادية ، أو الفكرية . وأحيانا يكون هناك رسائل بين بعض الفقهاء والعلماء في مناسبات الأعياد ، وشهر رمضان ، والحج . وفي طيات مثل تلك الرسائل تبادل التحية ، وسؤال بعضهم عن أحوال البعض الآخر وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الاقتصادية والمعيشية . وبعض العلماء كانوا يكتبون إلى علماء آخرين من اصدقائهم فيحثونهم على الاهتمام والاجتهاد في ممارسة كل ما يقربهم إلى الجنة ، ويبعدهم عن نار جهنم ، ثم يذكّرونهم بنشر الفضيلة بين أقوامهم ومحاربة الرذيلة ، وكل ما يتعارض مع كتاب الله وسنة الرسول (ﷺ) .

وكانت هناك مجالس بين العلماء والفقهاء وبين الأمراء وشيوخ القبائل . والعلماء في كل زمان ومكان ، يرون أن على عواتقهم مسئولية عظيمة ، وهي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويظهر ذلك جليا فيما بحوزتنا من وثائق خلال القرون المتأخرة الماضية ، حيث نجد الكثير منها : عبارة عن مراسلات من بعض العلماء في إقليم عسير إلى بعض الأمراء في مدينة أبها ، أو إلى بعض الأعيان وشيوخ القبائل في أجزاء مختلفة من البلاد ، وفيها يبلغونهم السلام ، وينصحونهم بمراقبة الله في السر والعلانية ، ويحثونهم على الجد والاجتهاد ، ومراقبة الله في كل ما أوكل اليهم من أمانات ، وكل ما تولوا عليه من أمور ومصالح للمسلمين . وكانت ردود الكثير من الأمراء والشيوخ والأعيان ، هي الترحيب بكل ما أسدى إليهم من نصح ، ثم الحرص على الاجابة والتلبية . ومثل تلك الرسائل والاجابات تتجلى لنا صريحة في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، حيث عثرنا على عشرات الوثائق بينه وبين بعض الفقهاء والعلماء ، وأحيانا بعض الأمراء وشيوخ القبائل ، فوجدناها جميعا مبنية على النصح ، ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم تحكيم كتاب الله وسنة الرسول (ﷺ) .

ومجالس الشعراء لا تقل عن مجالس الفقهاء والعلماء ، فالبعض من علماء بلاد عسير كانوا يقولون ويكتبون الشعر . ونلمس ذلك في الكثير من الوثائق المحلية التي بين أيدينا ، حيث نجد بعض العلماء ، وخاصة في بلدة رجال ألمع ، والقنفذة ، والبرك ، وصبيا ، وجازان ، وغيرها ، كانوا يكتبون بعض الفتاوي ، أو الرسائل النثرية المتضمنة لمواضيع متعددة ، ثم يستشهدون عليها أو يذيلونها ببعض الأبيات الشعرية من أشعارهم

الخاصة ، وأحياناً من أشعار شيوخهم ، أومن بعض كتب الأدب العربي القديم . ولم تكن مجالس العلماء والفقهاء ، أو مجالس الأمراء وشيوخ القبائل ، تخلو ممن يضفي عليها روح المرح من الشعراء ، أو الظرفاء وأصحاب الفكاهة .

واذا انتقلنا إلى الشعر الشعبي ، فيتسع بنا المجال ، فلا نجده محصورا في مجالس العلماء والفقهاء ، أو الأمراء والوجهاء ، وإنما يمتد إلى جميع القرى والأرياف . ولازال يوجد في إقليم عسير أعداد كثيرة من الشعراء النبطيين . كما لازلنا نشاهد بين العوام من يحفظ قصيده ، أو قصائد ، شعرية شعبية مضى عليها عدة عقود ، وربما وصلت إليهم عن طريق الرواية الشفوية ، علما بأن قائلها الأصلي قد مات في القرن الثالث عشر ، أو في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري . ولأن الشعر الشعبي لا يلتزم بكل المعايير التي نعرفها في شعر الفصحى ، ويقال باللهجة العامية التي يتكلم بها مجتمع الشاعر الشعبي ، فإننا نجده محبوبا عند الكثير من السكان ، فيقولونه ويسمعونه في حفلات ختانهم ، وأعراسهم ، وأعيادهم ، وبعض مجالس سمرهم . ولأهمية هذا النمط الشعبي ، وما يوجد ببعضه من حكم ونصائح ، وملامح اجتماعية ، وفكرية ، وأدبية ، واقتصادية . والذي لم يعد يجمع من أفواه الرواة ، فياحبذا لو خرج من أبناء البلاد من يجمعه ويدرسه ويحلله ، ويذكر ايجابياته وسلبياته . وبالتالي سيضيف إلى المكتبة العربية والاسلامية رافداً من روافد الأدب الشعبي الذي خلفه الآباء والأجداد في القرون الماضية .

ومما له صلة بالشعر الشعبي ، الأغاني الشعبية ، التي كانت تنطلق على الألسنة ، والتي كان يهتف ببعضها المغنون ، أو يرددها البعض من عامة الناس . وهذه الأغاني ليست مثل الشعر الشعبي ، حيث لا يعرف مؤلفوها ، ولا ملحنوها ، ولكن كانت تنطلق وتشيع بين الناس . وتستخدم في بعض الرقصات ، أو الفنون الشعبية المختلفة . ويظهر بين بعض القرى والعشائر من يحفظ أكبر قدر ممكن من هذه الأغاني ، ثم يرددها على أسماع المشاركين في الألعاب الشعبية[1] . وكانت بعض الأغاني مؤذية لأنها كانت تتحدث عن انسان معين ، يسمى باسمه أولقبه ، أوتذكر بعض النواحي الغزلية فتبين مفاتن امرأة معينة ، أوما شابه هذا النوع من الفحش ، وهناك البعض من الأغاني التي ظهرت أولاً في مدن الحجاز الكبرى ، ثم جاء من لحنها وغناها ، مثل أغنية :

يا مركب الهند يابو دقلين ياريتني كنت ربانه[2]

وبالتالي تناقل الناس مثل هذا الغناء إلى بلاد عسير وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية .

ومما يظهر على البعض من الشعر الشعبي ، والأغاني الشعبية ، اتصالهما بالفن

---

(١) ولازال هذا النوع من الأغاني يمارس في بعض حفلات الزواج ببلاد عسير، مع العلم أن البعض منه خارج عن إطار الدين الاسلامي الصحيح، لما يرد به من بعض العبارات السيئة، كالتغزل في امرأة جميلة، فيذكر محاسنها ومفاتنها، ويتغزل فيها بجمل مختلفة ، وغير ذلك من الأمور المختلفة. ونسأل الله العلي القدير أن يرد كل منا إلى رشده، واتباع سنة الرسول (ﷺ) ، وترك كل ما يتعارض مع منهج الاسلام الصحيح.

(٢) ومثل هذه الأغنية وغيرها نقلت من الحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية إلى إقليم عسير. كما ظهر في بلاد عسير بعض الشعراء المحليين الذين يستطيعون تأليف أغاني تناسب بعض الرقصات الشعبية المختلفة في أنحاء البلاد.

والأدب لأسباب كثيرة . حيث فيهما الخيال . والصورة ، والعاطفة ، والمحسنات البديعية (كالاستعارات . والكنايات . والتورية . وغيرها) . وان كانا كما ذكرنا ، لا يتقيدان بقيود اللغة والنحو . ولا يلتزمان ببحور الشعر المقفي الموزون التزاما دقيقا في كل الأحيان . أيضا يظهر في بعض القصائد الشعرية الشعبية إثارة النعرات والعصبيات القبلية التي ليست من الاسلام في شيء . وكثيرا ما كان يؤتى بشعراء نبطيين عدة ، وكل واحد منهم من عشيرة . أو قبيلة معينة ، ثم يتبارون بالشعر على ملأ من الناس ، فيحاول كل واحد منهم أن يرفع من شأن عشيرته ، وينال من عشائر وقبائل الشعراء الآخرين . ولكن بعد توحيد المملكة العربية السعودية ، خف مثل هذا النوع ، وصار الناس أكثر ألفة وتقارباً وتحاباً مما كانوا عليه من قبل .

ويدخل ضمن المجالس الاجتماعية ، كثرة الأمثال الشعبية التي تنطلق على ألسنة الناس في المناسبات ، والتي تعبر عن أفكارهم وتجاربهم . والكثير من هذه الأمثال لا يزال يعيش بيننا حتى اليوم ، ويتمثل به الناس في كل حين ، والبعض منها لم يكن ترديده مقصوراً على بلاد عسير ، وإنما يقولها أناس في أجزاء أخرى في شبه الجزيرة العربية ، ومنها ما يكون تراثاً إنسانياً يردده الناس ، أو يرددون معانيه في كل زمان ومكان ، مع الاختلاف في الألفاظ ، والاتفاق في المعاني والغايات(١).

وفي مجالس العسيريين الاجتماعية ، كانت هناك مجالس للسمر في الليل ، كل في مستوى طبقته . فالنساء والرجال الكبار يتجمعون في القرية أو الحي ويتحدثون في مواضيع مختلفة ، وكذلك الشباب يتجمعون في فناء المسجد بعد الانتهاء من الصلاة ، أو في بعض المنازل ، ويتحدثون هم الآخرون في بعض الأحاديث المصبوغة بصبغة المرح ، أو الشجاعة ، أو المفاخرة . وفي بعض المراكز الحضارية الكبرى ، وبعض القرى يوجد من يحفظ الشعر الشعبي ، أو من قرأ أو سمع قصصاً عديدة . وبالتالي يتجمع من حوله أهل الحي أو أهل المنزل ، ويقص عليهم بعض القصص البطولية ، أو يقول لهم بعض القصائد النبطية الممزوجة ببعض القصص التي سمعها من غيره . وكان هناك من يقرأ ويكتب ، ويقتني بعض القصص الخيالية التي كان يؤتى بها من حواضر الحجاز أو اليمن ، فيقرأها على أفراد أسرته ، أو أفراد الحي ، أو من يجتمع بهم . ومن تلك القصص التي كانت تقرأ ويحتفظ ببعضها ، قصة فروسية عنتره وعبلة ، وسيف بن ذي يزن ، والزير مهلهل ، وأبي زيد الهلالي وغيرها .

٩ ـ الطب والتطبيب :

من الصعب مقارنة الأمس باليوم في مجال الطب وطرق التداوي ، فقد تقدم الطب في

(١) ولمزيد من التفصيلات عن الأمثال الشعبية في عسير. انظر. يحيى ابراهيم الالمعي. الأمثال الشعبية في المنطقة الجنوبية (ابها: النادي الأدبي، ١٤١٣/١٩٩٢م).

وقتنا الحاضر ، وكثر الأطباء المتخصصون في جميع الأمراض ، وأنشئت المستشفيات والمستوصفات العامة والخاصة . وصار الناس في يسر من أمرهم ، بعد أن كانوا في ضائقة شديدة ، فلا يعتمدون بصورة عامة إلا على بعض الوصفات الشعبية من قبل الآباء والأجداد ، والمتوارثة جيلا بعد جيل . وأحياناً كان هناك بعض الرجال والسيدات الذين يلجأ إليهم الناس في بعض المسائل الصحية والعلاجية .

ومن خلال لقاءاتنا ببعض المسنين في إقليم عسير ، واطلاعنا على بعض المصادر والوثائق المتعلقة بتاريخ المنطقة ، اتضح لنا انتشار العديد من الأمراض الفتاكة خلال القرون الماضية ، وهذا مما جعل الكثير من العسيريين يؤرخون بأوقات حدوث بعض تلك الأمراض ، دون أن يحددوا سنة الحدوث ، ولكن يقولون : (**زمن الطاعون**) أو (**زمن الجدري**) ، وهذان المرضان كثيرا ما كانا ينتشران بين الناس فيفتكان بهم ، ويقضيان عليهم ، ومن يسلم من مرض الجدري ويشفى قد يترك على وجهه أو بعض أجزاء جسمه آثار بقع سوداء . وكثيرا ما نجد تلك الآثار على وجوه وأجسام البعض ممن أصيبوا بهذا المرض في الفترات الأولى من القرن الرابع عشر الهجري ، ولازالوا على قيد الحياة إلى عصرنا الحاضر .

ومن الأمراض التي كانت شائعة بين الناس في الماضي ، الحمى ، وخاصة في المناطق الحارة في تهامة ، وبعض الأجزاء الشرقية من بلاد عسير ، كبيشة وما حولها . وأمراض الرأس ، كالصداع وما شابهه ، وأمراض العيون ، كالرمد ، أو ظهور الماء في العين . أو أمراض العظام ، والمفاصل ، والأعصاب . أو أمراض البطن ، أو الصدر ، أو الظهر . أو أمراض النساء ، وحالات الحمل ، والولادة والنفاس . أو أمراض الجلد ، أو الجروح ، أو الكسور ، أو أمراض الجنون ، أو أمراض الأسنان ، وغيرها من الأمراض التي كانت منتشرة بين سكان إقليم عسير ، وغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية .

وقد اختلفت طرق العلاج من شخص لآخر ، ومن مكان لمكان ، فالمراكز الحضارية الكبرى ، كالقنفذة ، والبرك ، وصبيا ، وجازان ، وأبها ، وخميس مشيط ، وبيشة ، والباحة ، والنماص ، كانت أحوالها الاجتماعية والاقتصادية أفضل مما كان عليه الحال في البوادي والأرياف في باقي البلاد . وبالتالي كان يوجد بها بعض العارفين بالأمراض وطرق علاجها ، مع العلم أن الطرق المستخدمة في جميع أنحاء البلاد كانت بدائية . والكي يأتي على رأس القائمة ، فعندما يتألم الواحد من صداع برأسه ، أو يظهر على جلده بعض الدمامل والحبوب ، أو يصيب الظهر ، وأحيانا ، الصدر أو البطن بعض الآلام ، يلجأ إلى علاج ذلك بالكي . وطريقته يأتي من يقوم بعملية الكي ، فيسأل المريض عن موقع الألم ، ثم يحدد موضعه ، وموضع المكان الذي سيكوى ، ثم يحضر له إناء به جمر متوهج ، فيضع فيه الأداة الحديدية التي ستستخدم للكي . وهي عبارة عن قطعة من الحديد الرفيع ، فإذا توهجت هذه القطعة بفعل بقائها في النار ، سارع المعالج فكوى بها المريض في مواضع الألم التي حددها . ويتم هذا الكي دون تخدير ، وبعض المرضى يحتاج إلى الكي عدة مرات في

وقت واحد . وأحيانا في أوقات متفرقة ، وذلك حسب الحالة التي يراها الشخص المعالج . وفي بعض الأحيان يكون الجد او الوالد في الأسرة الواحدة ، هو الذي يقوم بكي من يمرض من أفراد اسرته . واحيانا اخرى يكون في القرية أو العشيرة بعض المختصين والعارفين بعملية الكي . فيلجأ إليهم المرضى وقت الحاجة .

وهناك من كان يقوم بفصد العين ، وهذه العملية من أخطر أنواع العلاج ، وهدفها معالجة العمى الذي ينتج عن ظهور الماء في احدى العينين أو كلتيهما . وهو علاج قديم ظهر منذ عهد الدولة العباسية والدولة الفاطمية خلال القرون الإسلامية الوسيطة . وهذا العلاج يعتمد على فصد العين المصابة بالماء ، وكان له بعض الأفراد المختصين من البدو ، وهم قلة نادرة جدا . والفصد يتم بآلة حديدية صغيرة تشبه المخيط الذي كان يستعمل لخياطة اكياس الخيش ، وله طرف مدبب رفيع مسنون ، فتفصد العين بهذا المخيط ثم تلف العين تماماً ويحجب المريض عن الضوء مدة يحددها المعالج ، وبعدها يخرج فتكون النتيجة إما نجاحاً يستطيع به المريض أن يرى الناس والحياة التي كان محجوباً عنها ، وإما انه يفقد بصره إلى الأبد .

ويستخدم أيضا العلاج بالنار ، علاج الأولاد بعد ختنهم ، والنفساء من النساء بعد ولادتهن ، أو بعض المرضى بالحمى وأمراض البرد . كل هؤلاء وغيرهم كانوا يعالجون بالدفء عن طريق احضار الحطب ، واشعال النيران ، وتوفير الجمر المتوهج ، وأحياناً توفير البخور ، أو روث الأبقار والجمال الجافة ، لكي يعالجوا بها المجروحين أمثال : المختونين من الصبيان ، أومن بهم جروح أخرى ، اعتقادا منها بأن وضع مثل هذه المواد على النار ، ثم وقوف المريض عليها لكي يتسرب الدخان إلى الجسم ، سيساعد على الشفاء والتئام الجروح .

وفي حالة وجود جروح في بعض أجزاء الجسم ، كانت تستخدم أوراق أو لحاء بعض الأشجار ، وأحيانا التراب ، أو الطين ، لايقاف نزيف الدم . كما أن البعض في البوادي يعتقدون أن البول أو روث بعض البهائم يساعد على التئام الجروح .

أما الكسور وما يتعلق بها ، فقد عرف العسيريون بعض المختصين في تجبير العظام ، عن طريق إعادة العظم بعد انكساره إلى وضعه الصحيح ، ثم ربطه مع خشبتين أو ثلاث ، بعد وزنها بطريقة معينة . وأحياناً يستخدم جلد الماعز بدلاً من الخشب ، فبعد اعادة العظم إلى وضعه الصحيح ، يلف عليه الجلد ، ثم يربط لعدة أسابيع ، وأحياناً لشهر أو شهرين ، وذلك حسب حجم الكسر ، ولا يتوقف المكسور عند هذه العملية ، وانما يحرص على تناول بعض الأطعمة التي تساعد على التئام الجراح ، كلحم الضأن والماعز مع المرق والعسل ، والسمن البلدي ، وحبوب الذفاء والحلب[1].

---

(١) الذفاء والحلب من الحبوب التي تزرع في بلاد عسير ، ويتم زراعة الذفاء في فصل الخريف ، والحلب في فصل الصيف ، وكلا النوعين من الحبوب المفيدة لامراض الصداع ، والبطن ، وتجبير الكسور ، وتليين الاعصاب ، وتقوية اجساد النفساء .

وفي بلاد عسير الكثير من الأشجار ، والنباتات المفيدة لعلاج الكثير من الأمراض ، وقد عرف أكثرها فاستخدمت في علاج أمراض عديدة ، ولازالت المسئولية قائمة على كواهل الأطباء المختصين ، ليكشفوا لنا مدى أهمية استخدام هذه النباتات الطبية ، وهل ما كان مستخدماً عند الأوائل موافقاً للدراسات الطبية الحديثة ؟ [1].

وفي مجال علاج أمراض العيون ، عرف الماء الدافىء الممزوج مع الملح ، ثم تغسل العين المريضة . كذلك لعلاج ظهور بعض الطفح على الجلد والحساسية تستخدم زيوت بعض الأشجار فيدهن بها المكان الملتهب . وعرف العسيريون مادة السنا ، كمادة مسهله ، بل أن البعض منهم كان يستخدمها مرة أو مرتين ، وربما أكثر من ذلك خلال العام الواحد ، ويعتبرونها مطهراً للأمعاء ، وقد يستخدم بعض أوراق الأشجار أو النباتات الأخرى لنفس الغرض .

أما أمراض النساء والولادة ، فلم يكن هناك أدوية وعلاجات معروفة ، وإنما أغلب النساء يحملن ويلدن دون أن يستخدمن أي شيء . وهناك نساء كثيرات كن يفارقن الحياة من آثار الحمل أو الولادة المتعسرة . وكذلك كان الكثير من الأطفال حديثي الولادة يموتون نتيجة أمراض عديدة ، يصابون بها قبل أو بعد الولادة . وكانت الولادة تحدث في البيوت ، وقد تجد المرأة من يساعدها من النساء الخبيرات أثناء عملية الولادة ، وربما ولدت بمفردها دون أي مساعدة .

ومرض الأسنان من الأمراض التي كان يعاني منها الناس دون أن يجدوا من يخفف آلامها ، وفي الغالب أن الأسنان عندما تلتهب ، أو يتألم منها صاحبها ، يبدأ بالتصبر عليها ، فيأخذ بعض أوراق الأشجار التي يعتقد أنها تخفف الآلام ، ولكن اذا نفذ الصبر ، وصار من المستحيل تحملها ، يذهب إلى بعض المختصين الذين عُرفوا بخلع الأسنان ، وربما خلعها المريض بنفسه ، وعلى أية حال ، فإن طرق الخلع بدائية إذ لم يكن هناك مخدر ، بل قد يسحب السن باليد ، أو بخيط رفيع ، أو بأداة حديدية شبيه بـ (**الزرادية**) المعروفة في وقتنا الحالي . وكان يطلق على هـذه الأداة عند بعض العسيريين اسم (**الكلبة**) . وبعد خلع السن أو الأسنان ، لا يستخدم المريض أي دواء معين ، وإنما عليه بالصبر حتى يخف الألم ويشفى مكان السن المخلوع .

١٠ ـ الألعاب الرياضية ووسائل التسلية :

هناك العديد من الألعاب الرياضية ، والفنون الشعبية التي عرفت في إقليم عسير منذ قرون سابقة ، ثم اندثر بعضها فلم تعد تمارس ، وبقي البعض منها يمارس إلى وقتنا

(١) للمزيد من التفصيلات عن نباتات عسير ، أنظر . محمد حسن غريب . النباتات في عسير ، (النادي الأدبي ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، وكتابنا صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول ، وخاصة الفصل الثاني من نفس الكتاب ، وهو بعنوان « اهمية النباتات في الغذاء والدواء ببلاد السراة من خلال بعض كتب التراث الإسلامي » ، ص ٣١-٤٣ .

الحالي ففي مجال الرياضة البدنية . كانت هناك بعض الألعاب المحببة إلى النفوس عند الرجال والنساء . وكانت هناك العاب تمارس داخل المنزل ، وأخرى في الميادين الفسيحة حول البيوت . او في الجبال والأودية والصحاري . ومن الألعاب التي كانت تمارس بواسطة الرجال والشباب البالغين خارج المنازل ، السباق على الحمير ، أو الإبل ، أو على الأقدام ، حيث كانت تحدد المسافة التي يراد التسابق عليها . ويحدد المتسابقون ، وأحياناً يكون هناك جمهور من المشاهدين . ثم حكام للسباق لتحديد الزمن الذي حققه المتسابقون . كما كان هناك رياضة السباحة وكانت تمارس في الآبار ، أو العيون ، أو في البحر ، وخاصة عند سكان الأجزاء الساحلية التهامية الممتدة من القنفذة شمالا حتى جازان جنوبا . ومن الألعاب الرياضية المعروفة قديما ، الرماية بالرصاص ، حيث كانت تحدد علامة ، أوقطعة حجر معينة . وعلى مسافة معلومة ، ثم يتبارى بعض الرماة في إصابة تلك العلامة ، أو القطعة الحجرية . ويطلق على مثل هذه الرياضة أسماء عدة كـ (**النصع**) أو (**رمي المثل**) أو (**خيال**) . وأحيانا تكون تلك الرياضة رمياً بالحجارة وليس بالرصاص . وهناك العاب (**النفت**) و (**المقاحزة**) ، وهاتان اللعبتان لهما علاقة بالقفز . فالنفت : عبارة عن محاولة للقفز من جانب جدار إلى جانبه الآخر ، اعتمادا على عضلات الساقين ، وقوة الجسم . أما المقاحزة : فتكون بالتنافس بين مجموعة من الشباب للقفز أطول مسافة ممكنة من مكان مرتفع إلى أرض ترابية ناعمة ، وصاحب أطول مسافة يكون هو الفائز ، والهدف من ممارسة هذه الألعاب قضاء وقت الفراغ واضفاء روح المرح وبث روح الشجاعة في النفوس ، وتعويد الجسم على بعض المهارات والألعاب التي كان يمارسها الأجداد السابقون .

كذلك كانت المصارعة من الألعاب الرياضية ، وكانت تمارس أما داخل البيوت أو خارجها ، ولا يشترك فيها أكثر من اثنين ، وهدفها اختبار القوة عند المتصارعين ، وأحياناً كانت تتم أمام بعض المشاهدين للتشجيع ، والحكم للفائز في نفس الوقت . ويطلق على هذه الرياضة أسماء محلية متعددة ، كـ (**المراصعة**) أو (**المعاركة**) أو (**المباطحة**) أو (**الملادحة**) . وأحياناً قد تخرج عن حدود الرياضة وأسلوب المرح ، إلى مستوى الجد والعنف فتتحول إلى شقاق وقتال بين المتصارعين .

والساري أو المساراه من الألعاب التي عرفها العسيريون . فأما الساري ، وخاصة عند أهل تهامة ، فيلعب في الليل ، بعد انقسام الفريق إلى فرقتين ، فرقة تقوم بالهروب ، والاختفاء . وفرقة تقوم بالبحث عنها ومطاردتها ، ويكون الفوز بالقبض على أحد أفراد الفرقة الأولى . أما المساراة : فهي لعبة مكونة من فريقين ، يوضع بينهما خط ، ويكون الفريق الأول مسئولاً عن حماية هدف يدافعون عنه ، كان يكون عصا أو نقطة محظورة . والفريق الثاني يحاول اختراق صف الفريق الأول بالقوة حيناً ، وبالخدعة حيناً آخر ، ولها قوانين خاصة كان يعرفها الأوائل . وهناك لعبة أخرى قريبة الشبه من المساراة ، وتدعى (**البعية**) والمشاركون فيها يتكونون من فريقين ، وفي ملعب مقسوم إلى نصفين ، وكل فريق يحاول اختراق ملعب الفريق الآخر ، والوصول إلى طرفه الثاني ، دون أن يمسه أحد

من لاعبي الفريق المضاد ، وهذه اللعبة تعتمد على القوة والقدرة على المراوغة .

وفي بعض أجزاء من بلاد عسير ، عرفت لعبة (**العمعمية**) أو (**الغميمة**) : وهي تعصيب عيون أحد اللاعبين ثم تركه يبحث عن بقية المشاركين الذين يختبئون في أماكن معينة ، وأحياناً يكونون حوله ،لكنه لا يراهم ، وفي الغالب لا يستطيع القبض على أحد منهم لعدم قدرته على الحركة وهو مغطى العينين . أيضا عرفت كرة القماش ، التي يقوم بعملها اللاعبون مما تيسر لهم من خرق باليه ، ويطلق عليها عدة أسماء محلية كـ (**الدومية** ، **واللميّا** ، **وكوره**) وغالبا ما تكون في حجم البرتقالة ، أو أكبر بقليل ، يلعبها فريقان يتكون كل فريق من مجموعة لاعبين ، ويتم لعبها باليد وتناقلها بين اللاعبين فإذا ما أصابت أحد لاعبي الفريق الآخر فانه يخرج من اللعبة ، إلا إذا تمكن من التقاط الكرة بيده فانه يحوزها ويحق له اصابة لاعب من الفريق الخصم . وهكذا يستمر اللعب حتى يخرج أكثر لاعبي الفريق . والفريق الفائز هو الذي يتمكن من اخراج أفراد الفريق الآخر أولا . وهذه اللعبة ربما كانت مقدمة للعب كرة اليد حالياً ، وكانت تمارس بشكل واسع في مدن الحجاز الكبرى ، وفي مصر ، ويطلق عليها اسم (**كرة الشراب**) نسبة إلى القماش الذي تتكون منه الكرة ، حيث كان يتم عملها ، ثم إدخالها في جوارب (**شراب**) مما يلبس في القدمين .

وعرفت النساء لعبة (**الزقطة**) أو (**الملاقطة**) : وهي مجموعة من الحصى تبلغ خمسا أو ستاً أو سبع حصيات ، يتم التدرج في لعبها مروراً بعدة خطوات حتى الوصول إلى النهاية . وذلك برمي إحدى هذه الحصيات والتقاط الأخرى من على الأرض ، بشرط ألا تسقط الحجرة الأولى على الأرض ، وإنما تسقط في يد اللاعب . وتستمر اللعبة على هذا المنوال ، إذا لم يخطىء اللاعب الأول ، فإن أخطأ ينتقل اللعب إلى اللاعب الآخر ، وغالبا لا يشترك في هذه اللعبة أكثر من اثنين ، وربما يتم ممارستها داخل البيت ، أو في الخلاء ، كما كان بعض الرجال يمارسها ، مع العلم أنها من الألعاب المعروفة في مجتمع النساء .

ومن الألعاب المعروفة قديما (**الكحشة**) أو (**المصاحير**) : وهي لعبة تشبه ما يعرف اليوم بـ (**الهوكي**) أو (**الجولف**) ، يلعبها فريقان أو ثلاثة ، يتكون كل فريق من عدة لاعبين . تلعب في مساحة واسعة تقسم إلى قسمين ، وفي نهاية كل قسم خط يعتبر منطقة المرمى . ويلزم كل لاعب عصا مستقيمة من شجر العتم أو التألب ، أو الشوحط ، ليضرب بها الكرة ، التي هي عبارة عن قطعة خشبية (**أو مصنوعة من مادة الطفي وما شابهه**) مستديرة الشكل ، وصغيرة نسبيا ، ومن يتمكن من إيصال الكرة إلى خط المرمى للفريق الآخر فانه يكسب بذلك نقطة على الفريق الخصم ، ويكون الفوز في النهاية بكثرة النقاط المسجلة .

وفي بعض الأجزاء التهامية عرفت لعبة (**الجرير**) ، وتتمثل في فريقين ، يقوم احدهما بعمل خطوط على الأرض ، وفي أماكن متفرقة من مساحة الملعب ، على أن تتم هذه العملية بعيداً عن أنظار الفريق الآخر ، وعند الانتهاء من التخطيط ، يأتي الفريق الخصم ليقوم بكشف الخطوط وطمسها ، ويتم الفوز بطمس الخطوط جميعها .

كما عرفت لعبة (**القطرة**) أو (**المقطار**) : وهي لعبة ذهنية مسلية تشبه إلى حد ما

لعبة الشطرنج وهي عبارة عن عدة مربعات متداخلة ترسم في الغالب على التراب ، ويلعبها شخصان في الغالب أحدهما معه ثلاث ، وربما ست ، أو تسع حصيات صغيرة ، والثاني معه نفس العدد من حبات نوى التمر ، أو حصيا مختلفة في لونها عن لون الحصيات التي مع اللاعب الآخر . وتبدأ اللعبة بأن يتبادل اللاعبان وضع الأحجار داخل المربعات . فاذا تمكن أحدهما من وضع أحجاره أو تحريكها لتكون ثلاثة منها على صف واحد ، فانه يقضي بذلك على احد احجار اللاعب الآخر ، وهكذا حتى تنتهي أحجار أحد اللاعبين .

وفي النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، وصلت إلى بلاد عسير لعبة كرة القدم ، والكرة الطائرة ، وكرة اليد ، وتنس الطاولة ، والشطرنج ، والكيرم ، وألعاب الورق ، كالباصرة ، والجوكر ، والبلوت . وهذه الألعاب الأخيرة تلعب في داخل المنازل ، وأحياناً في اماكن النزهة والمقاهي وما شابهها[1].

اما الفنون الشعبية في بلاد عسير ، فهى احدى وسائل التسلية المعروفة عند العسيريين ، والاختلاف بينها وبين الألعاب السابقة . أن العديد من الفنون الشعبية عرفت من قديم الزمان ، ولازالت تمارس ، ويشجع العاملون بها إلى وقتنا الحاضر . أما أغلب الألعاب الآنفة الذكر ، إن لم يكن جميعها ، قد عرفت في الماضي ، ثم اندثر أغلبها ، وحل محلها بعض الألعاب الرياضية الحديثة ، ككرة القدم ، أو كرة السلة ، أو الكرة اليد ، أو كرة الطائرة ، وبعض ألعاب القوى الأخرى ، التي أصبح لها نواد رياضية حديثة بها متخصصون ومدربون يشرفون عليها . والفنون الشعبية مازالت محببة عند سكان إقليم عسير ، فتمارس في حفلات أعيادهم ، وأعراسهم ، واستقبالاتهم ، ومناسبات أخرى عديدة ، ومن أهم تلك الفنون ما يلي :

أ - العرضه :

فهي لون شعبي متميز ، لازال يمارس في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية ، ولكن تختلف بعض حركات الأداء من منطقة إلى منطقة ، أو من قبيلة لأخرى ، ويرقصها الناس قديما بعد انتصاراتهم في الحروب ، ويمارسونها منذ القدم وحتى الآن ، في حفلاتهم ، وأعيادهم ، وأعراسهم . وطريقة الأداء ، يشكل الراقصون طابورا طويلا دائري المسار ، ثم ينقسم هذا الطابور إلى قسمين أول وثان . فالأول ينشد بالشطر الثاني للبيت الأول من شعر الشاعر ، أو الشعراء الشعبيين الذين يسايرون الراقصين . والقسم الثاني ينشد الشطر الثاني من البيت الثاني . وعلى جميع الراقصين تحريك الأرجل إلى الأعلى والأسفل وحفظها في حركة متناسقة ومتساوية . وهناك ألحان مختلفة منها السريع الخفيف ، ومنها

---

(1) والمقاهي من اماكن النزهة التي يذهب إليها الرجال لشرب الشاي ، وأحيانا لشرب الدخان أو (الشيشة) وكذلك للعب الشطرنج والألعاب الورقية الأخرى . وأماكن المقاهي تكون في أطراف المدن ، وأحياناً داخل المراكز الحضرية الكبرى في إقليم عسير وغيره ومما يلاحظ في وقتنا الحالي إنشاء العديد من المقاهي في اسفل سفوح جبال السراة من الغرب ، حيث تجدها في اغلب فصول السنه . وخاصة في فصلي الشتاء والخريف ، مليئة بالوافدين إليها من الأجزاء السروية ، لكي يمارسوا فيها بعض الألعاب السابقة الذكر ، ويتناولوا فيها بعض الأطعمة والأشربة المطهوة هناك .

البطيء الثقيل ، ويصاحب رقصات العرضة ، دق الطبول ، وأحيانا دق ((**الهون**) أو (**المهراس**)[1]، والمزمار .

ومن أمثلة الأبيات الشعرية الشعبية التي تقال في العرضه ، ما سنورده فيما يلي لبعض السكان في جنوبي البلاد السعودية ، والتي قيلت بعد خروج الجيش العراقي من الكويت ، وعودة أرض الكويت إلى أهلها ، عام (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) فمن الأشعار التي قيلت في بلدة جازان وما حولها ، ما يلي :

ألا لا واجمل سلامي .... ألا يامرحبا ياضيوفنا
وأجمل سلامي
ألا لا واقبل سلامي .... ألا ياقايد المملكة
وأقبل سلامي
ألا لا زان كلامي .... ألا يوم دخلنا الكويت
زان كلامي
لالا خادم البيتين .... تفداك روحي
خادم البيت
لالا واحد با اثنين .... جيش السعودي
واحد باثنين
لالا يارموش العين .... جندي السعودي
يارموش العين

ومن أشعار عرضة قبائل عسير الرئيسية (**بنو مغيد ، وعلكم ، وربيعة ، ورفيده ، وبنو مالك**) مايلي :

وأهلين ياسلطان والصحب المظفر
مبروك بالنصر الذي للجيش يذكرا
برا وبحرها وأسرابنا في الجو يعجبك اعتراضها .
جميع القبائل كلهم في الجيش عسكرا
يوم الندى والله ما حي تأخر
حضر وبدوها دون الوطن طاح ركاب من شبابها .

ومن أشعار عرضة رجال الحجر (**بللحمر ، وبللسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو**) مايلي :

جعل ياخادم البيتين عيدك سعيد
وألف مبروك بالنصر المبين الوكيد
وألف يهنى لبو متعب ولي العهد
واسع الفكر حلال النشب والعقد

---

(١) الهون أو (المهراس) ، أداة مصنوعة من الحديد أو الصفر ، أو النحاس . وتستخدم أساسا في دق البن والزنجبيل الذي يستعمل لمشروب القهوة .

و الف يهناك يا سلطان نصر وشرف
انت بونا وقايدنا وحامي حمانا
لك نزف التهاني باسم وحداتنا
القبائل ترحب والدوائر تشيد
عندهم مثل عيد الفطر عيد وعيد
يوم شرفتنا في الحفل يوم السعيد
لك نجدد ولاءنا ويوفاء العهد
يا إبن عبدالعزيز ، مواقفك تنعرف
في لباس الشرف والعـــز
والله ينصر حكومتنا وقاداتنا[1].

الخطوه :

وهي عبارة عن صفين متقابلين من الراقصين ، يرفع الصف الأول صوتاً من اللحن ، الذي يلقيه عليهم الشاعر الشعبي الذي يرافقهم ، ثم يليه الصف الثاني ، وفي كل صف يتقدم الراقصون خطوة للأمام ، ثم يرجعون إلى الوراء مثلما كانوا ، وهكذا . وفي وسط اللحن تنثني الركبة اليسرى بشكل مفاجيء تتلوها اليمنى ، ثم ترفع إلى الوسط لتعاد الكرة ، ويستمر الرقص بالخطى . ويمارسها الرجال والنساء في المناسبات والأفراح ، وكانت تضرب الطبول ، والهون (**المهراس**) أثناء أدائها ، ولها ألحان متعددة مثل :

وابن عشقة يقول أبها تشبه جمال القاهرة وأحسن أحسن يوم رحنا على بيروت شفنا جمال زايد وأبها أحسن .

جـ ـ الشهري ، والدمة ، والزحفة :

الشهري رقصة تشابه الخطوة ، ألا أنها أسرع ، ويمارسها الرجال والنساء في بعض المناسبات ، كالزواج ، والأعياد ، والاستقبالات وغيرها . أما الدمة فتختلف نوعا ما عن الخطوة والشهري ، ولها أداء حركي خاص ، يشبه رقص العرضة ، ألا أنها قد تكون أسرع قليلا ، ولها أشعار خاصة بها ، ومن أمثلة ذلك :

طلبت ذا ينبت لنـا الأرزاق بـالمطـر   واهب الشرايع بين خلق الله وافيـه
ياصاحب المعقـول لامنجى من القدر   تجي بك الدنيـا وتمسي النار طـافيه

أما الزحفة فهي أسرع من رقصة الخطوة ، ولكن ترتيبها ، وصفوفها مثلها ، وبها تثنى الركبة في وسط اللحن ، ولكن تختلف الطريقة في أداء اللعبة ، اذ تثنى الركب فقط دون التخطي للأمام وبشكل سريع .

---

(١) ومما يتضح من هذا الشعر انه قيل في مناسبة زيارة الأمير سلطان بن عبدالعزيز لمنطقة عسير ، بعد عودة أرض الكويت إلى أهلها أما الأشعار النبطية في المنطقة الجنوبية فهي كثيرة جدا وتحتاج إلى من يجمعها ويدرسها مع إظهار محاسنها وعيوبها .

شكل رقم (٢٦) : صورة توضح أداء لعبة (العرضة) عند بعض قبائل عسير السروية



شكل رقم (٢٧) : صورة توضح أداء لعبة (الخطوة) عند بعض سكان عسير

د ـ قصة المسحباني :

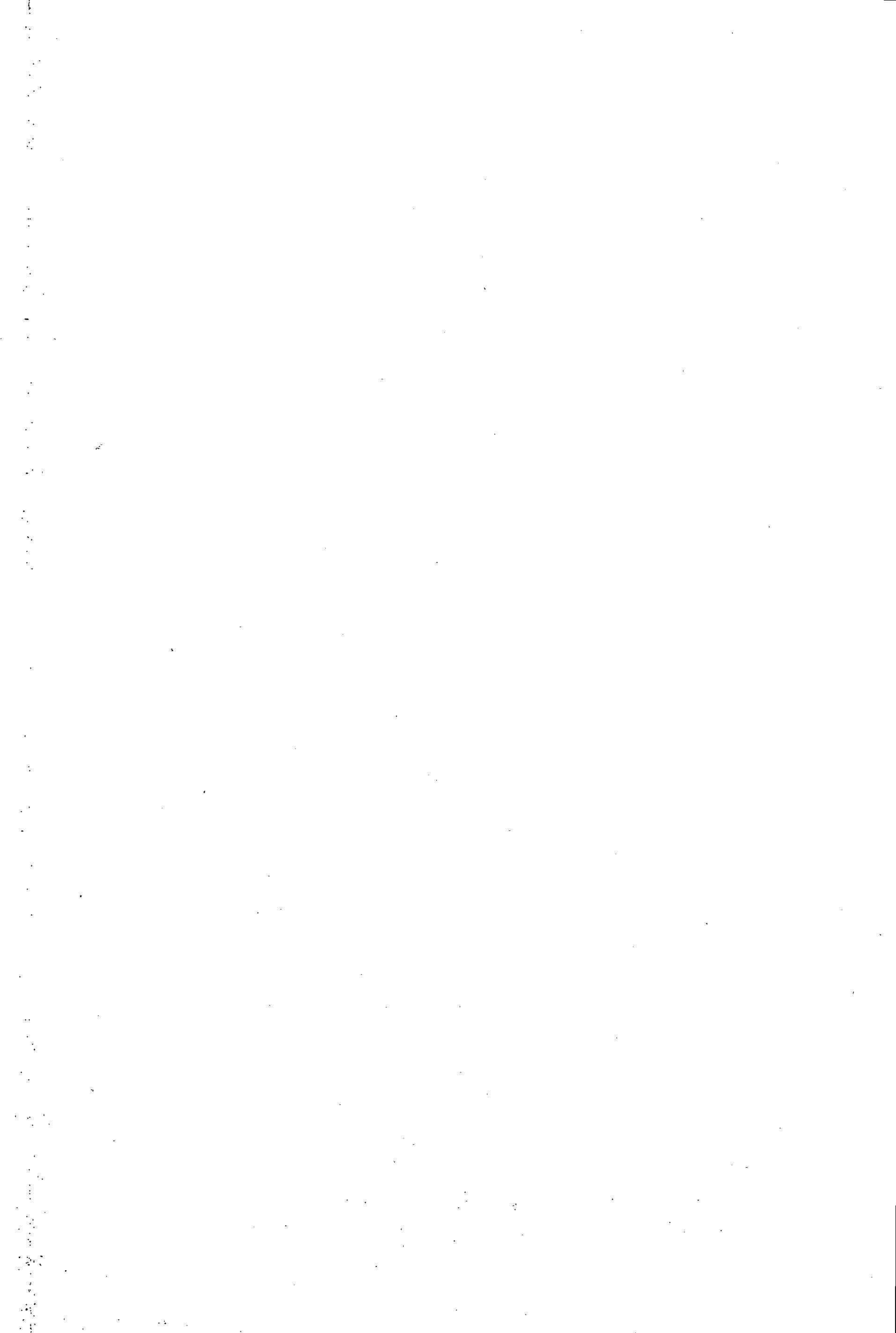
عبارة عن صفين متقابلين . لا يزيد الصف في كثير من الأحيان عن عشرة أو خمسة عشر شخص . يرفعون فيها ألحان الغناء التي يسمعونها من الشعراء الشعبيين الذين بينهم ، ويصاحب هذه الرقصة الضرب على الطبول ، وأحياناً يستخدم الهون (**المهراس**) . وتعرف هذه الرقصة عند بعض أهالي عسير باسم (**اللعب**) ، وغالباً تمارس في حفلات الزواج والختان . واحسن الأوقات لمارستها في الليل بعد صلاة العشاء ، ويمارسها كل من الرجال والنساء على حد سواء ، ومن أمثلة الأشعار الشعبية التي تقال في هذا الرقص ، القول :

يامرحبا عد الأزهار وعدد براق الأمطار كل يرحب بسلطان
يامملكتنا الحبيبة مامثل مكة وطيبة هي قبلة المسلمين
لي دعانا مليكنا بالروح نفدي وطننا على الطلب حاضرينا

ومن الفنون التي كانت تمارس ، ولازال بعضها يمارس إلى يومنا الحاضر ، المزمار ، ولعبة السيف في بعض الأجزاء التهامية . وهاتان اللعبتان متشابهتان ، حيث تؤديان على صوت صفير المزمار (**الشبابة**) ، ودقات الطبول بحركات خفيفة ، وغالباً ما يكون أداؤها فردياً ، أو ثنائياً مع التناوب عليها بين فترة وأخرى . وعرفت أيضا لعبة الجيش ، وهي رقصة حماسية ، لكنها صامته إلا من دقات الطبول . وتؤدى في صفوف متتالية ، ويتخللها سباق بالجري في بعض الأحيان . كما عرفت (**العزوة**) التي كانت تؤدى قديماً في مناسبات الختان ، حيث يحفظ الشخص الذي يراد تطهيره قصائد ، قد يطلق عليها (**القاف**) عند بعض سكان تهامة ، فيبين مكانة جماعته ، وقبيلته ، وأهله ، وصفات الكرم والرجولة فيهم . ومنها قصائد غزلية ، ومناظرات شعرية تؤدى على دقات الطبول في أشكال رقصات متعددة . وكانت توجد ألعاب السّمر ، وهي أنواع عديدة ، كالبدوية ، والربخة ، والعكيرية ، والتهامية ، والكعابة وغيرها . وجميع هذه الفنون كسابقتها تؤدى في المناسبات والتجمعات ، وقد تمارس مع الايقاع أو بدونه ، أو مع المزمار وماشابه .

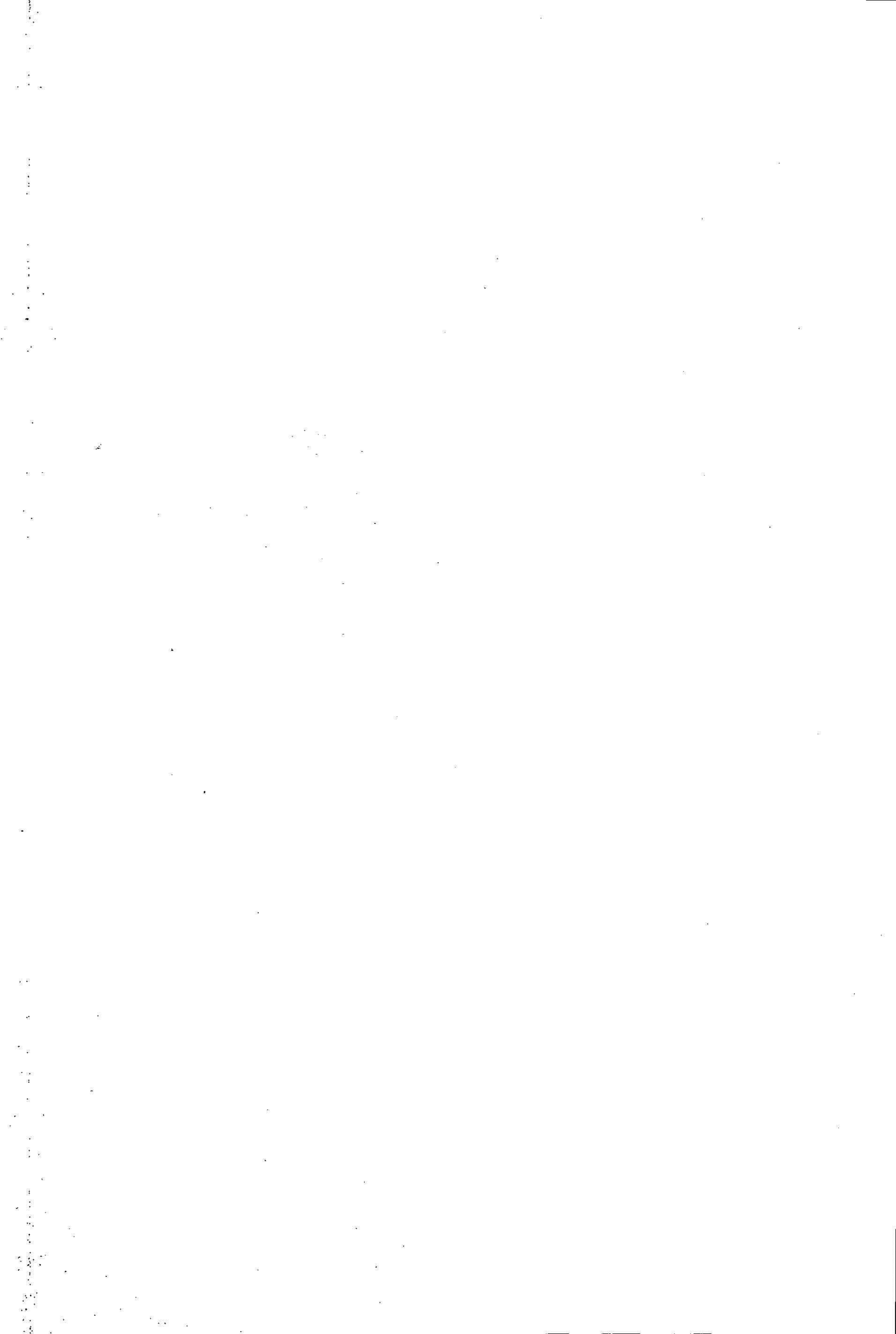
ومن جلسات السّمر عرفت لعبة (**العجبة**) : وهي عبارة عن مشهد تمثيلي يشترك فيه القادرون على التقليد ، ويقّدمون صورة لحالة أحد الحاضرين ، أو موقفا طريفا مما يجري في الحياة . وهم بهذه اللعبة وغيرها يسرّون عن أنفسهم ، ويدخلون السرور إلى قلوب السّامرين وهناك لعبة أخرى عرفت باسم (**الزّرفة**) ، وهي تكتل مجموعة من الشباب ودورانهم حول بيت العريس الذي يتزوج حديثاً ، ثم يرددون أهازيج راقصة تصف المتزوج ببعض الأوصاف المضحكة ، وذلك من باب الفكاهة والتطرف .

وفي هذه الصفحات السابقة عن الألعاب الرياضية ، ووسائل التسلية ، لم نكن قد ألممنا بجميع الفنون والألعاب التي كانت تمارس في الزمن السابق ثم اندثرت ، أو التي لازالت تمارس إلى وقتنا الحاضر ، وإنما أشرنا لما استطعنا العثور عليه وجمعه وتدوينه ، علماً بأنه قد يكون هناك أشياء أخرى كثيرة لم نذكرها ، وقد يأتي من أبناء البلاد من يستكمل مالم نناقش ، أو يصوب ما وقعنا فيه من أخطاء ، أو يوضح ويفصل مالم نستوف بالتفصيل .



الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية



الفصل الثالث :

الحياة الاقتصادية

١ ـ الرعي والصيد والجمع والالتقاط .

أ ـ الرعي

ب ـ الصيد

جـ ـ الجمع والالتقاط

٢ ـ الزراعة .

أ ـ أنواع الأراضي وملكيتها

ب ـ طرق التعامل الزراعي

جـ ـ أنماط الزراعة والري

د ـ المحاصيل الزراعية

٣ ـ المهن الصناعية والحرف التقليدية .

أ ـ المعادن وما يتعلق بها

ب ـ الصناعات الحجرية والفخارية

جـ ـ النجارة

د ـ دباغة الجلود وخرازتها

هـ ـ النسيج والخياطة والصباغة

و ـ حرف وصناعات أخرى

٤ ـ التجارة .

أ ـ الطرق التجارية

ب ـ الأسواق

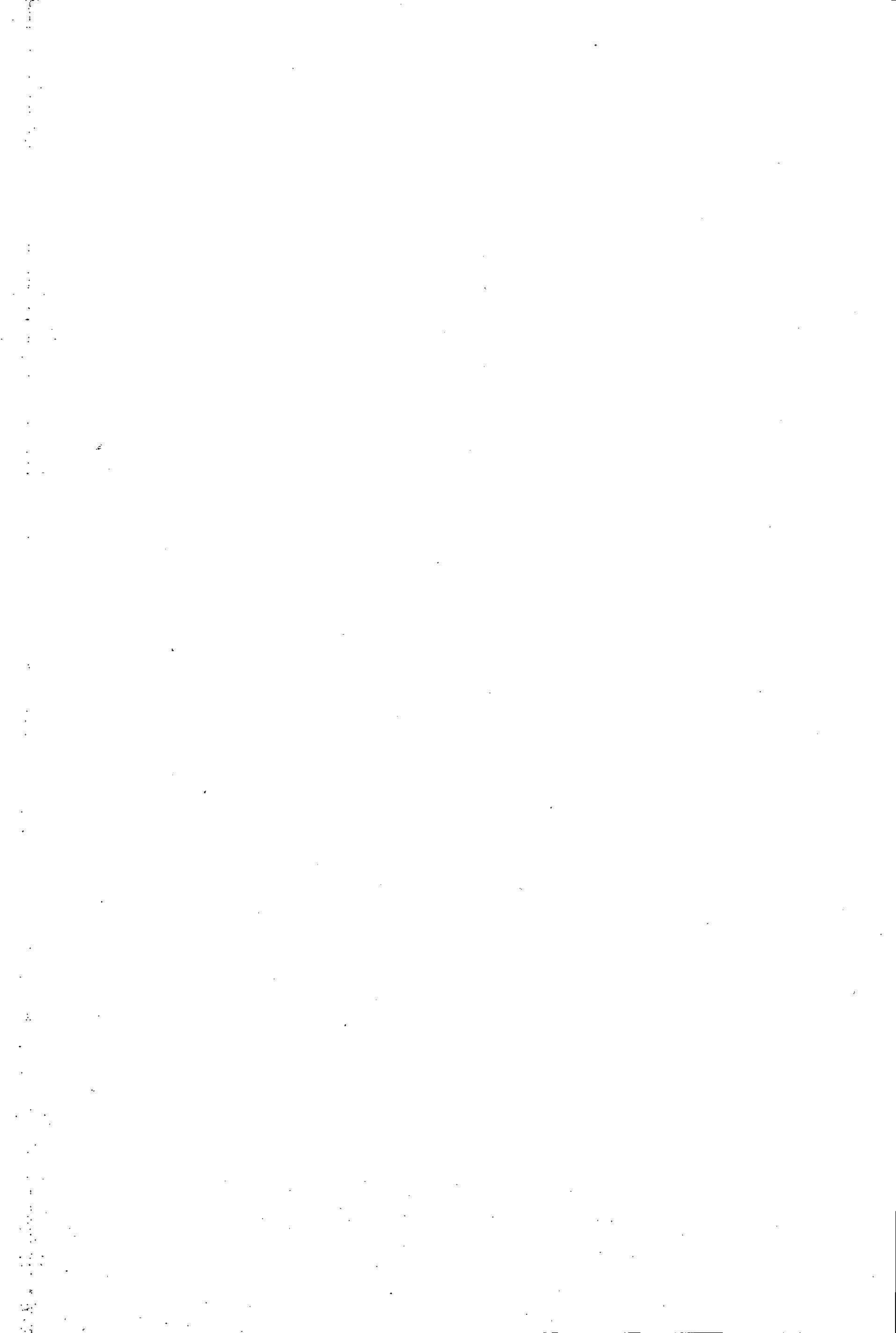
جـ ـ الصادرات والواردات

د ـ الأسعار

هـ ـ العملات

و ـ الأوزان والمكاييل والمقاييس

٥ ـ العقبات المواجهة للحياتين الاجتماعية والاقتصادية .



الحياة الاقتصادية

بلاد عسير ، احد الأجزاء الهامة الواقعة بين منطقتي اليمن والحجاز ، ولها ظروف طبيعية وبشرية جعلتها تستوعب حياة اقتصادية متعددة الفروع ، وخاصة في الفترة الزمنية المعنية في هذه الدراسة . وسوف نركز في الصفحات القادمة على العديد من الجوانب الاقتصاديـه المختلفة ، مثـل : الرعي ، والصيـد ، والجمع ، والالتقـاط ، والزراعة ، والحرف اليدوية والصناعات التقليدية ، والتجارة وما يتعلق بها .

١ - الرعي والصيد والجمع والالتقاط :

أ - الرعـي :

الرعي من المهن الأساسية التي كان يمارسها أفراد كثيرون في المجتمع العسيري ، ولكن الطبيعة الجغرافية أثرت على نسبة الرعي والرعاه من مكان لآخر . فالأجزاء الشرقية ، والتي يطلق عليها عند أهل البلاد اسم (**البادية**) أو (**البوادي**) ، كان معظم سكانها يمارسون حرفة الرعي ، لذا فأغلبهم بدو رحل مع مواشيهم ، كالابل ، والضأن ، والماعز ، وأحيانا الأبقار ، والحمير ، والخيول . أما الأجزاء الجبلية أو السروية ، فلم تكن نسبة الرعي بها مساوية للمنطقة السابقة ، وذلك لأن الزراعة هي المهنة الأساسية لسكان تلك النواحي ، مع العلم أنه لم يكن هناك منزل من منازل أهل السراة ، إلا فيه قطيع من الضأن والماعز ، وبعض الأبقار ، والجمال ، والحمير ، وأحياناً الخيول . والأجزاء السهلية التهامية ربما كانت في مستوى سكان أهل السراة . من حيث ممارسة مهنتي الرعي والزراعة على حد سواء . ونجد الرحالة الانجليزي ، **السيركيناهان كورنواليس (Sir Kinahan Cornwalls)**[1]، يصف لنا أحوال المواشي وما يتعلق بها في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، فيقول : « ... **تنتج تهامة أعداداً كبيرة من الأبقار ، والأغنام ، والماعز ، والجمال . كما توجد الحمير الكبيرة ذات اللـون الأبيض ، وتستخدم للركوب ، وهناك نوع أصغر رمادي اللون يستعمل في حمل الأثقال . بينما الخيول توجد في مخلاف اليمن ، وتستورد جميعها من الداخل ، ولا توجد بغال . وهناك**

---

(١) Asir, P.18.

أنواع مختلفة من الحيوانات في الجبال ، ولكن الجمال تستخدم في الجبال وفي المناخ البارد ولا أحد من العرب يفكر بأخذ بهائمه إلى السهول ، علما بأن الجمال في الجبال هي على العموم بيضاء اللون ، ولكن جمال قحطان وشهران سواد اللون . وهاتان القبيلتان هما اللتان تمتلكان الخيول بشكل رئيسي ، كما تقوم ببيع الحيوانات الضعيفة ، وتحتفظان بنسل السلالة الواحدة ، وتعطيانها عناية فائقة ... »[1].

وكون هذا الوصف الذي زودنا به **كورنواليس** مفيداً إلى حد ما من حيث تواجد بعض الحيوانات في تهامة والجبال السروية ، لكن تحديده لألوان الجمال في السراة ، بأنها ، بشكل عام ، بيضاء ، وعند قبائل قحطان وشهران سوداء ، فهذا قول قد يجانبه الصواب ، لأن بلاد السراة لم تكن الجمال بها كثيرة ، مقارنة بسكان البوادي ، ثم إن ألوان الجمال الموجودة كانت مختلفة ، فمنها ، الأسود ، والأبيض ، والرمادي ، وغيره .

وقد اختلف نشاط الرعي عند العسيريون ، باختلاف نوعية المرعى ، وطريقة الرعي . فالمراعي منها الخاص ، ومنها العام . والمراعي الخاصة تكون ملكاً لرجل أو أسرة ، أو فخذ يفرض سلطانه على المراعي ، مثل الأحماء الخاصة ، حيث لا يسمح لأحد غير أفراد الأسرة ، أو الفخذ المالك لمثل ذلك النوع من الأحماء . والمتجول في أنحاء بلاد عسير ، يلاحظ بعض الجبال ، أو الهضاب ، أو الأودية ، وقد أحيطت ببعض الأسوار القديمة التي يعود تاريخ بعضها إلى أكثر من ثلاثة قرون من الزمان . وفي حالة الاستفسار عن الهدف من بناء تلك الأسوار ، وجدنا أنها كانت أحمية خاصة لبعض الأفراد أو الأسر في القبيلة أو العشيرة الواحدة . أيضاً ، وجدنا من خلال الوثائق ، امتلاك بعض الأسر العسيرية للعديد من الأحمية الخاصة ، بهدف استخدامها لرعي البهائم المتعلقة بتلك الأسر . أما المراعي العامة ، فهي التي لا تدخل في ملك شخص معين ، وإنما يرعى فيها كل أبناء الحي ، أو العشيرة ، أو القبيلة ، لأن أرض القبيلة أو العشيرة ملك لها ، مادامت عزيزة فيها ، مالكة لزمام أمرها ، يرعى فيها كل أبنائها ، ولا يجوز لأحد من أفراد القبيلة أو العشيرة الواحدة ، أن يأخذ من أرباب المواشي عوضاً عن مراعي القبيلة لأنها للجميع ، وذلك ما نص عليه الاسلام ، بالنسبة للمراعي الموات ، التي لا تخص أحداً بعينه ، حيث يقول الرسول (ﷺ) « **الناس شركاء في ثلاث : الماء ، والنار ، والكلأ** » .

ومن سكان عسير من كان يرعى مواشيه في أملاكه الخاصة ، كذلك يرعى في المراعي المشاعة الخاصة بقبيلته أو عشيرته ، ولأن أهل البوادي في الأجزاء الشرقية يمتهنون الرعي كحرفة أساسية ، فكانوا كثيري الترحال من مكان لآخر ، يبحثون عن مواطن الماء ، والكلأ لرعي مواشيهم . أما أهل الأجزاء السروية ، فيبقون في مواطنهم خلال فصول

---

(١) المصدر نفسه

ومن يلقي نظرة على نوعية الحيوانات بإقليم عسير في وقتنا الحاضر ، يجد أنها أصبحت قليلة جدا ، فلم يعد هناك من يربي أعداداً كثيرة كما كان الأوائل . وذلك ناتج عن توافر أعمال أخرى جعلت الرعاة يتركون مهنة الرعي ، والعمل في مهن أكثر فائدة من الأعمال الرعوية . كما أن الكثير من الذين يملكون بعض الأبقار والحمير وما شابهها فضلوا التخلي عنها فباعوها ، وأحيانا أطلقوا سراحها ، كالحمير التي شاهدناها في العقدين الماضيين ، ولازلنا نشاهدها على قارعة الطريق ، وكثيرا ما يتعرض بعضها للدهس بالسيارات الصغيرة أو العربات الكبيرة .

الربيع . والصيف . والخريف يبحثون عن المواقع الغنية بالماء والحشائش ، وأحياناً يتوغلون في بعض الأجزاء الشرقية ، أو في المنحدرات الغربية لبلاد السراة ، والمعروفة بمنطقة (**الاصدار**) ومفردها (**صدر**) فترعى بهائمهم بعض الوقت ، ثم يعودون من يومهم الذي جاءوا فيه . أيضاً ، أهل السهول التهامية يصعدون ببهائمهم إلى سفوح منحدرات الأصدار ، فيفعلون مثلما يفعل أهل السراة . أما في فصل الشتاء فلا يبقى ذوو القطعان الكبيرة من اهل السراة بديارهم ، وانما يبنون لهم منازل في الأجزاء الشرقية ، أو في منتصف منطقة الأصدار ، ويطلقون عليها (**حلة**) وجمعها (**حِلال**) لكي يقضوا بها فترة الشتاء هروبا من برودة بلاد السراة ، وبحثاً عن الكلأ لرعي مواشيهم .

وكما أشرنا سابقا ، بأن أهل الأجزاء الشرقية كانوا يقتنون القطعان الكثيرة من الأغنام ، والجمال ، إلى جانب بعض الحمير ، والخيول ، أيضا كانوا يحرصون على امتلاك الكلاب الجيدة ، والخاصة لحراسة منازلهم ، المصنوعة من الشعر ، ومواشيهم التي يقومون على رعيها . ونادراً ما كانوا يمتلكون الأبقار ، والطيور ، كالدجاج ، والأوز ، والبط وما شابهها . في حين أن أهل الأجزاء الجبلية (**السروية**) والسهلية التهامية ، كانوا أكثر استقرارا من اخوانهم في البوادي الشرقية ، فتجدهم يقتنون بعض الجمال ، والأغنام ، والأبقار ، والحمير ، وأحياناً الخيول ، وبعض الطيور ، كالبط ، والدجاج ، والنحل ، وغيرها . كما امتلك جميع السكان في أجزاء إقليم عسير الحيوانات الأليفة ، وعلى رأسها الجمال ، والأغنام ، والبغال ، والحمير ، وأحياناً الخيول ، وذلك لحاجتهم الماسة إلى تلك الحيوانات ، وإلى العديد من الفوائد التي يجنونها من اقتنائها ، مثل حمل أثقالهم عليها ، وأكل لحومها ، وشرب ألبان بعضها ، والاستفادة من جلودها ، أو أصوافها ، أو شحوم البعض منها ، وقد بين الله أهميتها في كتابه الكريم ، فقال تعالى ﴿ **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون** ﴾[١]. وقال تعالى ﴿ **ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾[٢].

والعسيريون سلكوا طرقا عدة في رعي بهائمهم ، فكان البعض منهم يخرج ببعض المواشي إلى أماكن الرعي منذ شروق الشمس حتى الظهر ، ثم يعود إلى منزله لقضاء وقت الظهيرة ، والقيلولة ، ثم تناول وجبة الغداء ، بعدها يخرج بالماشية مرة ثانية ، إذا كان عاد بها معه ، وان كان تركها مع راع آخر حل محله بقية النهار ، أو وقت الذهاب إلى المنزل لبعض الوقت ثم العودة إلى أماكن الرعي مرة أخرى . وهناك بعض أفراد الأسر أو الحي الذين يخلطون جميع المواشي ، ثم يتناوبون على رعيها ، وبشكل دوري ، وقد يوزعون إلى

---

(١) سورة النحل ، الآيات (٥ ـ ٨) .
(٢) سورة الأنعام ، آية (١٤٢) .



شكل رقم (٢٨) : منظر لرعي الأغنام في الأجزاء الشرقية من عسير

شكل رقم (٢٩) : صورة لبدوي عسيري أثناء تنقله وترحاله مع مواشيه

عدة فرق ، لتقوم كل فرقة بالرعي في اليوم المخصص لها . ومن الناس من كان يستأجر رعاة اخرين لرعي مواشيهم[1].

وبعض الأسر قديما كانت تطلق سراح بهائمها وخاصة (**الجمال** ، **والأبقار** ، **والحمير**) إما في الأجزاء الشرقية ، أو في منطقة الأصدار ، وتترك لعدة أشهر تهيم على وجهها . فترعى من حشائش الجبال ، وترد على موارد المياه فتشرب منها ، وقد يتابعها البعض من افراد الأسرة من وقت لآخر . أيضا ، كان هناك من يقتني بعض الحيوانات في المنزل ، كالأبقار ، والحمير ، وأحيانا الجمال وقليل من الضأن والماعز ، فلا يتركها تخرج للرعي كيف تشاء ، وانما يذهب بعض أفراد الأسرة لاحضار ما تحتاج من أعشاب ، وحشائش ، وغيرها ، ويتم تربيتها تحت رعاية أصحاب المنزل . ومثل هذا النوع من الحيوانات ، يستخدم لبعض الخدمات ، كنقل بعض الأغراض ، أو الاستخدام في مهنتي الحراثة ، وري المزارع ، أو ما شابه هذه الأعمال .

اما المشاكل التي كانت تواجه الرعاة ، أو من يمتلك أي نوع من أنواع الحيوانات الأليفة ، فهي متعددة ، منها :

١ - قلة الأمطار ، ورداءة الأحوال الجوية التي تؤدي إلى القحط والمجاعة ، ونتيجة لذلك تموت أكثر الحيوانات .

٢ - اصابة بعض الحيوانات بالأمراض والأوبئة ، التي تفتك بها ، فتؤذي صاحبها ، وتنزل به خسارة كبيرة ، ولا سيما إذا كانت تلك الحيوانات من الأنواع الهامة ، أو الغالية ، مثل الأبل ، والخيول ، والأبقار . وقد تعتدي بعض الحيوانات على بعض ، أو بعض الطيور الجارحة على بعض الحيوانات فتصيبها ببعض الأمراض ، أو تهلكها . ومن الأمراض التي كانت تصيب بعض الحيوانات ، الهيام الذي أكثر ما يؤذي الأبل ، وهو داء يأخذ بها فيصيبها مثل الحمى ، ولذلك عرف بـ (**حمى الأبل**) . وقيل أنه جنون يصيب الأبل فيقتلها ، وغالباً ما يصيبها في المكان الموبوء الذي تكون فيه نقوع أسنة لا تجري ، ولذلك قال الأوائل ، وأهل الأخبار ، أن الهيام : يحدث من ماء آسن تشربه الأبل من مستنقع ، ويصيب الأبل والأغنام مرض الجرب ، أو بعض القروح التي تخرج في الرقبة أو الجنب . أيضا تموت بعض ذكور الحيوانات بعد مرحلة خصيها .

٣ - مهاجمة الوحوش المفترسة للحيوانات الأليفة . فالنمور تفضل افتراس الأبقار ، والضباع تحبذ أكل الحمير ، أما الذئاب وبعض السباع الأخرى ، فتهاجم الأغنام ، وتفترس ما تستطيع افتراسه منها ، ولهذا كان بعض الرعاة يحمل بندقيته للدفاع عن نفسه ومواشيه ، وأحيانا إذا نزل أصحاب البهائم أرضا مسبعة ، أي ذات سباع ، خافوا منها ، وأوقدوا بها نار في الليل لطرد السباع عنهم .

---

(١) لم يكن في الماضي رعاة وافدون من مناطق او بلدان اخرى يقومون على رعي بعض المواشي بالأجرة خلاف ما نشاهد في عصرنا الحاضر ، حيث البعض من العسيريين يمتلكون بعض القطعان ، ثم يستقدمون لهم عمالا من خارج المملكة العربية السعودية لكي يقوموا على رعايتها وتربيتها .

٤ ـ أيضا وضع بعض اللصوص أو قطاع الطرق الذين كانوا يسرقون المواشي أو الأغنام الخاصة ببعض الأسر أو العشائر المختلفة(١).

ب ـ الصيد :

عرف العسيريون ، وخاصة فئة الرعاة ، أو أهل البوادي والأرياف ، مهنة الصيد منذ العهود القديمة ، وكانت ممارستهم بصفة خاصة لحرفة الصيد البري ، إلى جانب عملهم في بعض المهن الأخرى ، كالرعي ، أو الزراعة ، أو الجمع والالتقاط . ولم يكن هناك أساليب متطورة في ممارسة الصيد ، حتى ولو كان هناك بعض المهرة لمزاولتها ، وإنما عرف عنهم استعمال القوس ، أو السهم لقتل الصيد الذي يراد اصطياده ، سواء كان حيواناً أو طيراً . كما كان هناك بعض الحيل عند العسيريين ، فقد يأوي إلى الكهوف أو الآبار الكثير من الطيور أثناء الليل ، فيأتي بعض الصيادين بقطعة من السجاد ، وأحياناً أثاث من الفرش المصنوع من الطفي أو الحصر ، أو الخصف فيوضع على فتحة البئر أو الكهف ، ثم يدخل تحت ذلك الآثاث من يوقظ الطيور المتواجده ، ويبدأ بجمعها . وأحياناً يضع بعض الصيادين كمينا للأرانب والغزلان ، وعند دخولها إلى الفخ المعّد لها يتم القبض عليها ، وقد تضرب بعصا ، أو ترمى بحجر حتى تسقط وتتعثر ، وبالتالي يصبح الامساك بها سهلاً . وعرفت بعض الأسلحة النارية ، كالبنادق المختلفة وغيرها ، فاستعملها الصيادون في قتل كثير من الطيور ، أو بعض الحيوانات البرية .

ومن أنواع الطيور والحيوانات التي كان يحبذ الصيادون اصطيادها : الحمام ، والهجف كما يسميها بعض سكان المنطقة ، وأحيـاناً يطلق عـلى هذا الطـير ، اسم (**القمري**) وجمعها (**قماري**) ، وطيور القهابا ، والدرجة أو الدراج ، والصفايا ، وعصافير أخرى عديدة(٢). أما الحيوانات فيفضل منها صيد الأرانب والغزلان . ومثل هذه الطيور والحيوانات كانت موجودة في سهول ، ووهاد ، وأودية ، وجبال عسير . ولم يكن يتوانى الكثير من الصيادين في إطلاق العنان لنفسه ، واصطياد ما يستطيع الحصول عليه منها . وبالتالي جاروا عليها حتى انقرض أكثرها ، وان كان لازال بعضها ، لكن الأعداد المتبقية منها أصبح قليلا جدا .

وما قامت وتقوم به حكومة المملكة العربية السعودية من جهود لإعادة الحياة الفطرية

---

(١) من يقارن الماضي بعصرنا الحالي ، لا يجد وجه مقارنة ، فنظام الرعي القديم اندثر ، ولم يبق إلا أشخاص قليلون يقتنون بعض الأغنام القليلة ، فيقومون على رعايتها حول منازلهم ، وأحياناً يحجزونها في مزارعهم ويربونها للاستفادة منها وقت الحاجة . والأسباب في تقهقر مهنة الرعي ، تعود إلى أن الانسان لم يعد يعتمد على الماشية كمورد دخل رئيسي ، وذلك لوجود موارد اقتصادية أخرى ، لا تحتاج إلى جهد عملية الرعي ، ثم أن الفائدة منها ربما تكون أكثر من فائدة تربية الحيوانات . كذلك تقهقر مهنة الرعي بسبب ازدياد دخل الفرد من مهن أخرى ، إلى جانب ظهور عملية استيراد المواشي من المناطق والبلدان المجاورة . أيضا الرغبة عند كثير من السكان في الانتقال من حياة الريف والبوادي إلى حياة المدن والحضر . ثم انخراطهم في أعمال التجارة ، والصناعة ، والوظائف الحكومية ، وغيرها .

(٢) يوجد في اقليم عسير العديد من الطيور المختلفة في الأحجام ، والألوان ، والمنافع ، ومنها ما يصلح للأكل ، وتعيش في اغلب الأجزاء العسيرية .

إلى سابق عهدها . كان بدافع الإحساس بأهمية وجود مثل تلك الطيور والحيوانات التي انقرضت . والمسئولية ليست فقط ملقاة على عاتق الحكومة أو اللجان المسئولة عن حماية البيئة . وإنما كل فرد في المجتمع مسئول عن حماية بيئته فيعمل على ايجاد بيئة جميلة متكاملة . مع الادراك بأن الحياة الفطرية ، بما فيها من طيور ، وزواحف ، وحيوانات ، وغيرها . هي من العناصر البيئية الرئيسية المتكاملة .

ولعل الكثير من الصيادين كانوا يلجأون إلى مهنة الصيد قديماً للحاجة الماسة للاقتيات بلحومها ، واحياناً للاستفادة من جلودها أو ريشها . أما اليوم فأصبح دافع الصيد هو : الترفيه ، والسياحة ، والتسلية . وقد يمارسه الآن من لا يدرك أهمية البيئة ، ولا السلبيات المترتبة على الصيد بطريقة عشوائية غير منظمة .

والصيد البري غالباً ما عرفه ومارسه الكثير من سكان الأجزاء الشرقية البدوية ، والسروية ، ومنطقة الأصدار ، والسهول التهامية . أما أهل السواحل فقد عرفوا صيد أشياء اخرى من البحر الأحمر ، مثل الأسماك المختلفة . وأشهر الأنواع التي عرفوها ، وكانوا يصطادونها فيأكلونها ، أو يتاجرون بها ، سمك الشعور ، والبياض ، والصهب ، والعربي ، والقرش ، وغيرها من الأسماك الأخرى . أيضا كان بعض الصيادين لا يقتصرون على صيد الأسماك ، ولكن إلى جانب هذا العمل كانوا يعثرون على بعض اللؤلؤ ، والمرجان ، والأحجار الكريمة التي غالباً ما توجد في البحر .

جـ - الجمع والالتقاط :

مهنة الجمع والالتقاط معروفة عند العرب منذ أقدم العصور ، وقد مارسها بعض الرجال والنساء في البلاد العسيرية ، ولم تكن تمتهن بمفردها ، وانما كان البعض يمارس معها أعمالا أخرى ، كالرعي ، أو الصيد ، أو الزراعة ، وغيرها . والأشياء التي كانت تجمع وتلتقط إما للاستعمال الذاتي فقط ، أو للاستخدام الشخصي ، ثم التجارة فيما زاد عن الحاجة . وجميع المواد الملتقطة ، أو المجموعة كانت من البيئة الطبيعية التي يعيش فيها السكان . فالحطب وجمعه كان من أهم الأشياء التي مارسها العسيريون بجميع طبقاتهم ، لما له من أهمية في حياتهم ، فيستخدمونه في اشعال النيران التي يستدفئون بها ، ويطهون عليه أطعمتهم التي يـأكلون ، ويستخلصـون منه الفحم الـذي يخزنـون ، ليستخدموه وقت الحاجة . ولم يخل بيت أو أسرة من جمع الحطب واقتنائه ، ولهذا فالسواد الأعظم من السكان كانوا يذهبون رجالا ونساءً لجلب ما يحتاجون من الحطب من الأودية ، والجبال ، والهضاب ، والغابات ، والصحاري القريبة من مواطن استقرارهم ، والخاصة بقبائلهم وعشائرهم التي ينتمون إليها . أما الأغنياء ، والتجار ، والأعيان ، وعلية القوم في المجتمع فقد يستأجرون من يجلب لهم الحطب ، وغالباً ما كان يجمع وينقل على ظهور الجمال والحمير ، وأحياناً على ظهور وأكتاف الرجال والنساء .

ومن يلق نظرة على بلاد عسير في وقتنا الحاضر ، يجد بها أعداداً كثيرة من الغابات ، والجبال ، والوهاد ، والسهول المليئة بأنواع كثيرة من الأشجار والنباتات الجيدة والرديئة

للاشعال ، والتي كان يجمع السكان منها حطبهم الذي يحتاجون ، ومن أفضل الأشجار التي كان يحرص الناس على التزود بحطبها ، شجر القرظ ، والشوحط ، والتألب ، والسّلم ، والسّمر أو الطلح ، والعتم (**الزيتون البري**) ، والعرعر والندغ ، والسدر ، والمظ ، والنشم ، والاراك ، والدوم ، والاثل ، وغيرها كثير . ونجد العالم المسلم الشهير ، أبو حنيفة أحمد بن دادود الدينوري ، يدون لنا خلال القرن الثالث الهجري في معجمه المعروف بـ (**كتاب النبات**) ، فيذكر لنا أعداداً كثيرة من الأشجار والنباتات الموجودة في شبه الجزيرة العربية ، وخاصة في بلاد تهامة والسراة الواقعة بين حواضر اليمن والحجار الكبرى ، والتي يعتبر إقليم عسير جزءا منها. ولم يكن الدينوري يكتفي بسرد ووصف أهمية كل نبات ، وانما أفرد في أحد أجزاء الكتاب فصولا مستقلة ، كان البعض منها يدور حول النار ، ومن تلك الفصول ، فصلان سماهما : « **باب الزناد** » والآخر « **باب في ألوان النيران والأرمدة والأدخنة** » ، فصّل فيهما أنواع الشجر الجيد والرديء لمن يقوم بمهنة جمع والتقاط الحطب ، وبين نوعية النار ، والأدخنة ، والأرمدة التي تخرج عن كثير من الأشجار التي يستخدم حطبها في الاشعال[1].

وتعتبر الحشائش وبعض الأعشاب والشجيرات من الأشياء الهامة التي كان يجمعها العسيريون لكي يعلفوا بها حيواناتهم وبهائمهم التي يربون . وهذه العادة كثيراً ما كانت عند الفلاحين وأصحاب المزارع الذين يملكون بعض الحيوانات في منازلهم لأجل استخدامها في الحراثة والري ، أو النقل ، أو الحصول على ألبان بعضها ، وبالتالي كان عليهم أن يحضروا لها ما تقتات به من حشائش ، وأعشاب ، وغيرها . وكانوا يحضرون هذه الأعلاف من مزارعهم ، أو من بعض الأحماء التابعة لهم . وكثيراً ما كان في الأرياف من يمارس مهنة جمع الحشائش والأعلاف لبهائمهم ، وغالباً كان النساء يقمن بهذا العمل .

وجمع الثمار أو الفواكه أو الخضروات من المهن التي عرفها ومارسها العسيريون من أصحاب المزارع والبساتين . فعند موسم النضج والحصاد يقوم أفراد الأسرة المالكة للمزارع والبساتين بجمع ما ينضج من ثمار وفواكه ، فإذا كانت قليلة استخدمت للأغراض الشخصية ، وقد يتصدقون منها على الجيران والفقراء في مواطنهم ، وإن كانت كثيرة يصدّرون الفائض عن حاجتهم إلى الأسواق لبيعها . وفي وقت حصاد المحاصيل ، كالقمح ، والذرة ، والدخن ، والتمر ، والفواكه ، يخرج بعض الفقراء ، أو من لا يمتلك حبوبا ومحاصيل زراعية ، فيتجولون في البلاد بهدف طلب الصدقات ممن لديهم محاصيل ومنتجات زراعية ، وغالباً لا يرد طلبهم ، وإنما كل واحد من ملاك المزارع كان يعطي ما تجود به نفسه . وفترة التجول لأمثال أولئك الفقراء قد تستمر لعدة أيام ، وأحيانا لعدة أسابيع ، وربما تجاوزت الشهر والشهرين ، وقد يعود بعضهم بمقادير كثيرة من الحبوب

---

(١) لم يصلنا من كتاب النبات للدينوري إلا ثلاثة أجزاء تجدها مفهرسة ضمن قائمة المصادر في نهاية هذا الكتاب . علماً بأنه لازالت هناك عدة أجزاء مفقودة ، وقد يعثر عليها وتظهر للوجود ، بإذن الله . أما الأشجار والنباتات في عسير ، فلازالت بحاجة ماسة إلى من يخرج عنها دراسة جادة ومفصلة ، مع العلم أن هناك من قدم بعض الدراسات القليلة والمختصرة حول هذا الموضوع . وقد أدرجنا أسماء تلك الدراسات ، ومؤلفيها ضمن قائمة المصادر الملحقة بهذا الكتاب أيضاً .

والتمور التي جمعها اثناء تجواله . والبعض من أولئك المتجولين لا يقتصر على طلب أصحاب المزارع ، وإنما قد يعمل معهم أوقات الحصاد وجمع المحاصيل . وبالتالي يعطي من المحصول مقابل عمله ، وقد يختص ببعض الزيادة التي يعتبرها صاحب المحصول من باب الصدقة .

ونوع أخر من الجمع يقتصر على بعض الثمار وما شابهها في الجبال ، والأودية ، والوهاد التي لا تخص فرداً ولا أسرة بعينها ، والتي يوجد ببعضها أشجار ، ونباتات مثمرة يأكلها الإنسان ، وربما بعض الحيوانات ، مثل أشجار السدر ، والزيتون البري ، المعروف عند أهل البلاد باسم (**العتم**) ، وشجر الآراك ، والذي يطلق عليه عند بعض سكان الأجزاء التهامية ، اسم (**الرديف**) وثمره يعرف بـ (**الكباث**) . كل هذه الأشجار ، وغيرها نباتات كثيرة ، جمع العسيريون ثمارها وأكلوها ، بل البعض منهم كان يجمع منها مقادير كثيرة ، فيأكل جزءاً ، ويتاجر في الجزء الآخر .

٢ - الزراعة :

الزراعة احدى الحرف الأساسية التي مارسها العسيريون ، ولسعة انتشارها بين السكان ، تولد عنها جوانب عديدة ، قد يصعب علينا مناقشتها بالتفصيل ضمن هذا الكتاب الذي نهدف من وراء تأليفه التعريف ببعض الجوانب الحضارية في إقليم عسير خلال القرون الماضية . مع العلم أننا ندرك بأن المنطقة لازالت بحاجة ماسة إلى تضافر جهود الباحثين لإخراج دراسات علمية جادة ، ليس في مجال الزراعة فحسب ، ولكن في جميع الدراسات العلمية والفكرية ، والأدبية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والأثرية ، والسياسية ، وغيرها . وما سوف يناقش في الصفحات القادمة ، يدور حول أنواع الأراضي وملكيتها ، ثم الطرق التي كانت مستخدمة في التعامل الزراعي ، مع عرض للنباتات والمحاصيل الزراعية التي كانت تزرع ، وكذلك عمليات الانبات ، وطرق الري الزراعي ، ثم العوامل المساعدة أو المعرقلة لممارسة مهنة الزراعة .

أ - أنواع الأراضي وملكيتها :

التباين الجغرافي كان ذا أثر كبير على تشكيل الوضع الزراعي في بلاد عسير . فالأجزاء الصحراوية ، أو المناطق البدوية ، كانت قليلة الزراعة ، وأحياناً تكون نادرة ، وربما ذلك يعود لأسباب عديدة ، منها : عدم رغبة سكان البوادي في ممارسة الزراعة ، وإنما فضلوا الرعي ، وربما الجمع والالتقاط ، والصيد على غيرها من المهن . ثم إن الأراضي الزراعية في الصحاري ، وبعض الأجزاء البدوية غير صالحة للزراعة لرداءة تربتها ، وقلة مياهها . وهكذا ، فأنواع الأراضي تختلف من مكان إلى آخر ، فالبعض من الأجزاء الشرقية البدوية لم تكن تصلح للزراعة ، للأسباب الآنفة الذكر وغيرها كثير . أما الأجزاء السروية ، وكذلك

السهول التهامية فهي أفضل المناطق الصالحة للزراعة . أما منطقة الأصدار فهي أسوأ حالاً من الأجزاء البدوية ، فلا يوجد بها أراض صالحة للزراعة ، علماً أنها مليئة بالنباتات والأشجار ، والحشائش ، والأعشاب التي نبتت في الجبال ، والأودية ، والوهاد ، دون أن يزرعها أحد . والسؤال الذي يطرح نفسه ، إذا كانت طبيعة أرض إقليم عسير كما ذكرنا ، فما الأراضي التي عرفها السكان ، ثم ملكوها لمزاولة مهنة الزراعة .

إن غالبية الأراضي الزراعية كانت ولازالت ضمن نطاق الملكية الخاصة (**الفردية**) ، وملكيتها جاءت عن طريق الإرث من الآباء ، والأجداد ، وغيرهم من الأقارب وأحياناً كانت تنتقل إلى بعض الأسر ، أو الأفراد عن طريق الشراء من أسر أخرى أو أفراد آخرين ، أو عن طريق الوصية من ميت لحي ، أو تعطى هبة من فرد لآخر .

وبالاطلاع على عشرات الوثائق المحلية ، اتضح لنا عدة أمور منها :

١ ـ ان جميع الأراضي الزراعية الخاصة بكل أسرة ، أو فرد معين يكون لها أسماء متعارف عليها ، وغالباً ماتكون كل قطعة محدودة بمعالم معينة ، كمزارع لأفراد ، أو أسر أخرى مجاورة ، أو ببعض الممرات التي يستخدمها المزارعون أثناء عملهم في مزارعهم ، أو ببعض الأسوار ، أو أطراف الأودية ، أو سفوح الجبال ، أو غيرها من المعالم .

٢ ـ حرص أغلب الأفراد على امتلاك وثائق ومستندات تبين أحقية كل واحد منهم في المزارع والأراضي التي ورثها من آبائه ، أو شرائها ، أو المصدر الذي حصل عليها منه ، وربما هذا الحرص كان ولازال ناتجاً عن خوف صاحب الأرض ممن قد يخاصمه أو يتنازع معه فيما يمتلك .

٣ ـ كثير من الأفراد كانوا لا يرغبون في تقسيم أراضيهم الزراعية عن طريق الإرث ، واعطاء كل ذي حق حقه . وإنما يفضلون تركها مملوكة تحت سيطرة رجال الأسرة الواحدة ، وبالتالي يلجأون إلى وقفها على من يبقى في خدمتها والأكل من عائدها . أما من يخرج من الأسرة ، وخاصة النساء اللاتي يتزوجن ، فيسقط حقهن منها ، وكان الهدف من هذا ، أن يمنع انتقال ما ترثه المرأة المتزوجة الى أسر أخرى[1]. ومن الأساليب التي كان يكتب بها مثل هذا النوع من الأوقاف ، أن يقال مثلا : « ... **نحن أفراد أسرة آل فلان ... قد اجتمعنا في مجلس كذا وكذا ... وأوقفنا جميع مزارعنا على ذريتنا ذكر وأنثى ، لا يباع الوقف ولا يشترى ، صفت ما انهم**[2] **أوقفوه الآباء والأجداد ، ومن بدله بعد ما سمعه ، فإنما إثمه على الذين يبدلونه ، وحرر ذلك في شهر ذي القعدة ... سنة (١٢٨٨هـ) ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ... الختم** »[3]. وفي صيغة أخرى نجد الموصي بالوقف يقول : « ... **إني قد**

---

(١) مع أن الكثير من العسيريين كانوا يحرصون على نظام التزاوج بين أبناء العم ، بهدف الحفاظ على وحدة ملكية الأراضي للعائلة الواحدة . وإذا تزوجت الفتاة من أسرة أخرى فمن المؤكد أن حقها من الإرث سيذهب إلى الاسرة التي تزوجت منها .

(٢) المقصود بهذه الكلمة : (طالما) .

(٣) صورة من هذا الوقف ضمن اوراق الباحث تحت رقم (٨٩) .

أوقفت جميع تركتي[1]... الداخل يأكل ويشرب ، والخارج ماله شيء[2]... والوقف يجري على الذكر فالذكر ما تناسلوا ، يعلم بذلك جميع من يراه ... في شهر ذي القعدة ، في ١٦/١٣١٩هـ »[3]. وفي وثيقة أخرى عام (١٣٢٠هـ) ، يوقف فيها شخص مزارعه وجميع املاكه ، فيقول : **بعد ذكر اسمه ، والبسملة** « ... **وقد وقفت وحبست جميع تركتي دار وعقار ، وشجر ومدر ، وقفا شرعياً لا يباع ولا يشترى ، ولا يوهب ولا يورث ، ولا يقسم منه لأجنبي[4]، وهو وقف على أولادي المنتسبين إليه ذكورا وإناثا ، الداخل في الوقف يأكل ويشرب ، ويتصرف التصرفات الشرعية ، ويطعم الخارج من الريع[5]، ومن أراد إفساد الوقف ببيع أو قسمة ، أو ما يفسد الوقف فهو ممنوع من ذلك** ... »[6]. وقد تختم بعض الأوقاف بعبارات للتأكد على ما ورد في وثيقة الوقف ، كأن يقول : « ... **وكان الوقف بحال الصحة والاختيار ، وقف شرعي لا يباع ولا يشترى ، ولا يوهب ولا يورث ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها** ... »[7].

وكان هناك من يوقف بعض أملاكه ومزارعه على ابن السبيل ، أو على الفقراء والمساكين ، أو على عمارة المسجد ، أو في بعض أوجه الخير الأخرى .

ومن انواع الأرض في عسير ، الأراضي القبلية (**المشاعة**) ، وتكون في الغالب تحت تصرف أفراد القبيلة الواحدة فقط ، وكثير من القبائل العسيرية كانت ولازالت تحرص على إثبات أحقيتها في تملك أراضيها المشاعة عن طريق تملك وثائق ومستندات تؤكد أحقيتها في ذلك . والملاحظ أن الأراضي القبلية تكون مجاورة أو قريبة من منازل القبيلة أو العشيرة التي تملكها ، وغالباً تتكون من الأحماء العامة ، أو الأحراش ، أو المراعي ، أو الأودية ، والجبال ، والوهاد ، وغيرها . وتستخدم بالدرجة الأولى لرعي البهائم والصيد ، والجمع والالتقاط . أما الزراعة في مثل هذه المواقع فقد تكون قليلة ، وأحياناً نادرة . وينتج على مثل هذا النوع من الأراضي نزعات قبلية متعددة فيما بين العشائر والقبائل المجاورة ، يصير ضحيتها قتل الأنفس ، وإراقة الدماء ، الأمر الذي يجعل السلطة الإدارية الحاكمة ترفع أيدي أفراد كثير من القبائل عن التصرف فيها وتعتبرها أملاكا للادارة الحاكمة ، إلا ما كان

---

(١) يقصد بكلمة (التركه) أي الأملاك الزراعية الخاصة بالفرد او الأسرة الواحدة .

(٢) أي الذي يبقى ملتصقا بالاسرة ، ومستقر في أملاك الآباء والأجداد ، ويخص بذلك الرجال ، فيأكلون ويشربون مما استولوا عليه . اما الذين يخرجون من الأسرة ، ويقصد بذلك النساء اللاتي يتزوجن من أسر اخرى ، فليس لهم ما خلّف الآباء والأجداد شيء ، وهذا أمر يتعارض مع قاعدة الارث التي تقول : للذكر مثل حظ الانثيين .

(٣) صورة من هذا الوقف ضمن أوراق الباحث تحت رقم (٢٣٧) .

(٤) المقصود بالأجنبي ، أي فرد من خارج أسرة الشخص الذي أوصى بهذا الوقف .

(٥) أي من المحاصيل الزراعية الناتجة من تلك الأراضي الموقوفة .

(٦) صورة من هذا الوقف ضمن أوراق الباحث تحت رقم (٢٣٩) . وبحوزتنا العديد من الوثائق التي تنص على وقف مزارع وعقارات عديدة في أنحاء إقليم عسير ، وارقام بعض تلك الوثائق ضمن أوراقنا هي : (٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١) .

(٧) صورة من الوثيقة التي وردت بها هذه العبارات ، ضمن أوراق الباحث تحت رقم (٢٨٩) .

مملوكاً بوثائق شرعية ومستندات للقبيلة ، وليس عليها منازعات ، فتبقى تحت تصرف أفراد القبيلة في حدود المصلحة العامة[1].

والأراضي الموات التي لا مالك لها ، ولا انتفاع ، ولا ماء بها . فهي من الأراضي التي عرفها بعض العسيريين ، فملكوها ، وقاموا باصلاحها ، فحفروا الآبار ببعضها ، وعملوا على إصلاح تربتها وخدمتها ، ثم زراعتها ، وبالتالي أصبحت ملكا لمن أحياها . والبعض من المزارعين يوجد إلى جانب أملاكه الزراعية بعض الأراضي الصحراوية والميته التي لا تخص فردا بعينه ، فيضمها إلى أملاكه ويستصلحها ، وتصبح جزءا من حقه الخاص . وفي الآونة الأخيرة ، صارت حكومة المملكة العربية السعودية تسهل الأمور للمواطنين ، بل وتشجعهم على إحياء الأراضي الموات ، وأحياناً يُقطع بعض المقتدرين مادياً أراضي واسعة من أجل احيائها وزراعتها ، وبالتالي تصير ضمن أملاكه الخاصة .

ب ـ طرق التعامل الزراعي :

كان جل سكان القرى والأرياف ببلاد عسير يعملون في الزراعة ، ومنهم من كان يمتلك الأراضي الواسعة التي زرعها لحسابه الخاص ، وأحيانا كان هناك من يستخدم الرقيق والأجراء في زراعة مثل تلك الأملاك الكبيرة ، علما أنه كان لا يقوم بمثل هذا العمل إلا الأغنياء ، وأصحاب القدرات المادية الجيدة . أما السواد الأعظم من السكان ، فكان أفراد كل أسرة ، نساءً ورجالا ، هم الذين يمارسون الزراعة في مزارعهم من بداية استصلاح الأرض وبذرها ، ثم حمايتها وسقيها ، إلى حصد محاصيلها وخزنها . ومن العوامل الأساسية في ممارسة الأعمال الزراعية بين أفراد الأسرة ، أو الأسر المتقاربة أن يكونوا متعاونين في كسب لقمة عيشهم من مزارعهم ، لأن طرق الزراعة كانت تقليدية تعتمد على جهد الإنسان العضلي ، وعلى ما يقتنون من امكانات محدودة . ولم يكن التعاون في مساعدة البعض للبعض ، أو تبادل الأدوات الزراعية المختلفة مقصورا على أفراد الأسرة الواحدة ، أو على أفراد الأسر المتقاربة ، وإنما ظاهرة التعاون كانت تشمل جميع أفراد الحي ، أو القرية ، أو القبيلة ، فتجدهم يتبادلون الحيوانات التي تستخدم في الزراعة ، أو الري ، ويتعاونون جميعا أيام بذر الحب ، أو في أوقات الحصاد ، أو درس المحاصيل ، ومثل هذا التعاون كان يمتد فيشمل بعض العشائر والقبائل المجاورة ، وذلك عندما يكون بعض الأفراد ، أو الأسر ، ذا أملاك زراعية واسعة ، فقد يذهب أولئك الملاك إلى أفراد عشائرهم ، وأحيانا إلى رجال القرى والعشائر المجاورة فيطلبون منهم المساعدة لبذر ، أو حصد محاصيلهم الزراعية ودرسها . وغالبا يهب المطلوبون إلى مساعدة من طلبهم ،

---

(١) للمزيد من التفصيل عن الأراضي وانواعها . انظر ، جواد علي ، المفصل ، جـ ٧ ، ص ١٣١ ـ ١٥٦ ، أحمد محمد حيدر . الجغرافية الزراعية لمنطقة عسير (ابها : النادي الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ١٥٦ وما بعدها .

والتعاون معهم حتى النهاية[1]. وكان هناك من يعمل مع أصحاب المزارع مقابل أجر تدفع له من الثمار والمحاصيل الزراعية . ومن العسيريين من كان يزارع على الأرض غيره ، كأن يدفع له خمس ، أو ثلث ، أو ربع ، أو نصف المحصول مما تنتجه الأرض . وقد يكون المالك للأرض هو الذي بذر الحب وسقاه ، وليس على الطرف الآخر ، إلا الحصاد والدرس ، ثم القسمة والخزن . وفي احيان أخرى يكون المزارع هو الذي قام بخدمة الأرض من البداية إلى النهاية . وكان هناك من يتقاسم الحب الذي تبذر به الأرض ، أو الحيوانات والأدوات التي يحتاجها المزارعون اثناء الزراعة والري والحصاد . ووجد أيضاً من كان يؤجر أرضه بالدراهم ، أو ببعض السلع الأخرى .

جـ ـ أنماط الزراعة والري :

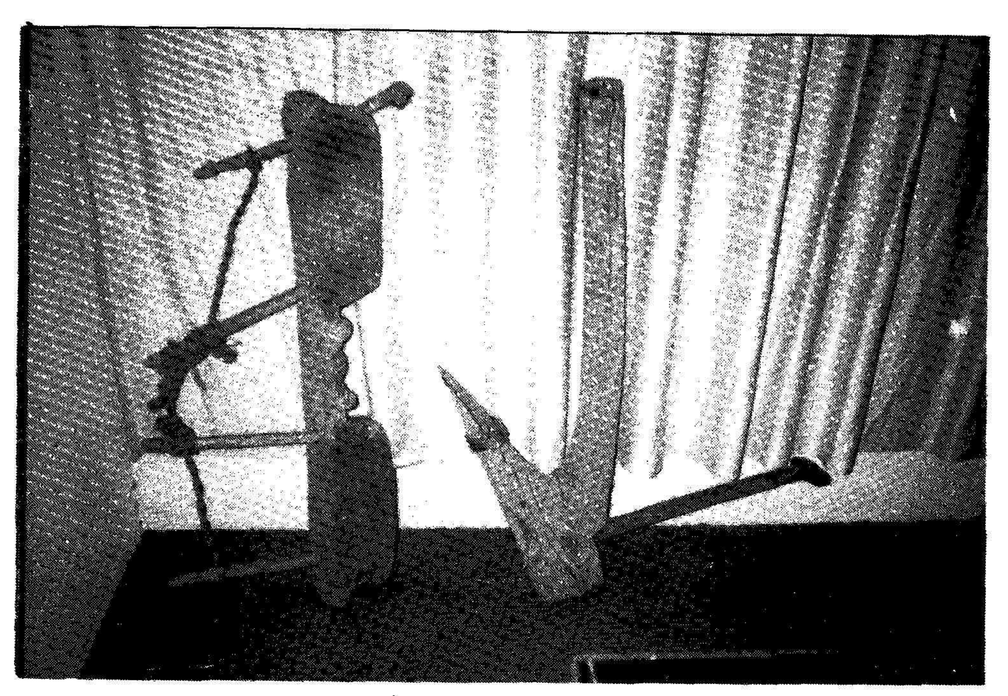
طرق الزراعة قديما كانت بدائية ، فلم تعرف الآلات ، والأدوات الحديثة التي نراها اليوم ، وإنما كانت تعتمد على جهد الانسان ، ومـا يمتلك من أبقار ، وجمال ، وحمير لحرث وسقي ودرس ما يستطيع زراعته كما اعتمد المزارعون على الأدوات البدائية التي تستخدم في مزاولة حراثة وري الأرض . وجميع تلك الأدوات ـ كما نلاحظ بعضها أسفل ـ كانت من صناعة البيئة العسيرية ، فأكثرها كان يقوم بصناعته حرفيون من أهل البلاد . وقد يكون رب الأسرة ، أو رئيس العائلة من يصنع مثل تلك الأدوات ، التي من أهمها : المحراث ، ويطلق عليه في بعض أجزاء من إقليم عسير ، اسم (**اللومة**) ، ويتكون من عمود واحد من الخشب ، وأحيانا من جزئين ، وله شعبة عند أسفله يوضع بها قطعة من الحديد تسمى (**السّكة**) أو (**الحكل**) أو (**السحب**) لشق الأرض أثناء حرثها . ويلصق بالسحب من أسفل قطعتان من الخشب لدعمه ومنعه من الانكسار أثناء الحراثة . ويتصل باللومة من ظهر الشعبة عمود من الخشب يسمى (**اليد**) أو (**التابع**) ليقبض به المزارع أثناء الحراثة . ويربط رأس اللومة بحبل مصنوع من الجلد . أو ألياف النخل ، ثم يربط في قطعة خشبية أخرى تسمى عند البعض (**المضمد**) أو (**المقرنة**) أو (**المجرنة**) والتي توضع على رقاب الثيران ، أو الحمير التي تسحب جهاز المحراث . والمضمد يوجد به أربعة ثقوب في كل طرف من أطرافه ثقبان يسقط معهما قطعتان من الخشب تسميان (**الزنود**) أو (**المقارن**) ، يبلغ طول الواحد منهما مابين (٤٠ ـ ٦٠سم) . وعندئذ يوضع المضمد على رقاب الحيوانات التي تستخدم في الحراثة مع إسقاط الزنود من كل طرف على جانبي رقبة كل حيوان ، ثم يوصل طرفيهما من أسفل بحبل ويربط من تحت رقبة الحيوان ، وتربط

---

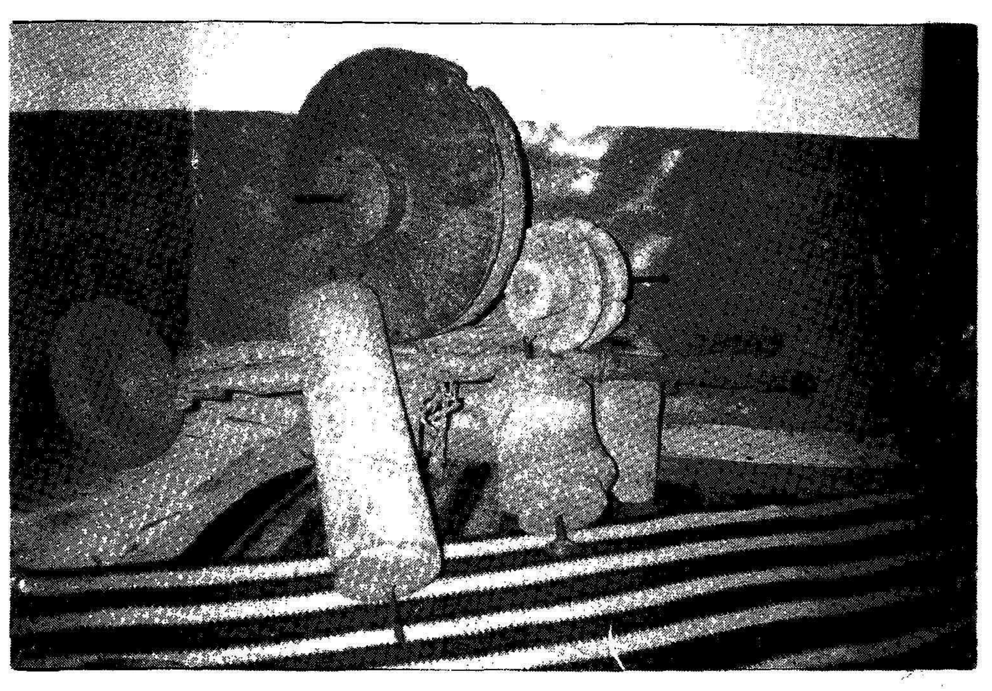
(١) ومثل هذه العادة اندثرت ، واصبحت اثراً بعد عين ، وذلك لعدة اسباب ، هي :

١ ـ توفر الأموال في ايدي الناس ، إلى جانب توفر الآلات التي تقوم بالبذر والحصد والدرس في وقت وجيز . وبهذا صار الناس يميلون إلى استئجار من يقوم بالاعمال التي كانوا يتعاونون فيها سابقا .

٢ ـ صار العمل بالزراعة في إقليم عسير قليلا ، لاجل انخراط اغلب السكان في أعمال اخرى ، كالتجارة ، والحرف الصناعية ، والوظائف الحكومية ، وغيرها .



شكل رقم (٣٠) : صورة للمحراث والمضمد اللذين استخدمهما العسيريون في الزراعة



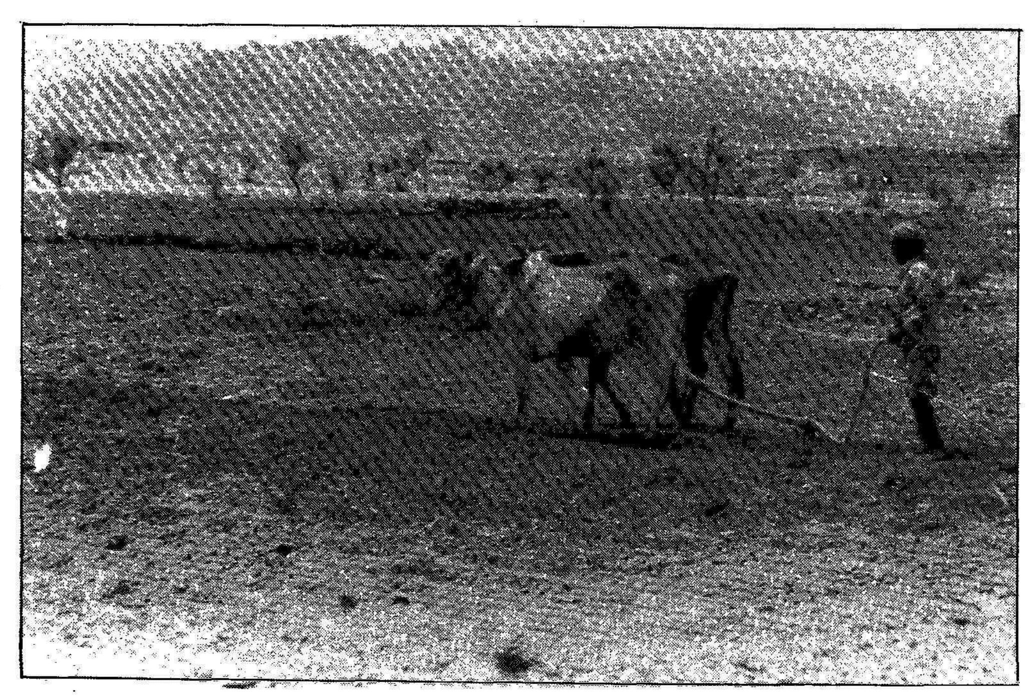
شكل رقم (٣١) : نموذج للعجلة والدراجة اللتين عرفهما العسيريون في رفع الماء من الآبار

اللومة في وسط المضمد على رقاب الحيوانات . ثم يقبض الفلاح بيد اللومة ، ويترك الحيوانات تمشي في اتجاهات معينة بالمزرعة ، وينتج عن ذلك حرث الأرض وتشقيقها (**أنظر شكل رقم ٣٢**) ويشتغل الفلاح العسيري بعد حراثة الأرض باصلاحها ، ونثر الحب فيها نثرا متساويا منتظما . ثم يستخدم بدلا من اللومة (**المدسّم**) أو (**المدمسه**) أو (**المدمس**) . وهي خشبة عريضة نوعا ما ، وطولها حوالي المترين ، تجرها الثيران على الأرض المشققة فتساوي التربة المثارة وتغطي الحب . ومن الآلات الأخرى التي استعملت في حراثة التربة . المحفار ، وهي المسحاة ، وغيرها مما يحفر به ، والمخدة ، حديدة تخد بها الأرض . والمعول لتكسير الحجارة والحفر . والمجنب ، ويقال له بلهجة بعض إهل البلاد (**الميْنب**) ، وهي شبحة مثل المشط . إلا أنه ليس لها أسنان ، وطرفها الأسفل مرهف يرفع ، أو يساوى بها التراب .

وكان الفلاحون يحرصون على قلب التراب على الحب لضمان انطماره ، فلا يظهر على سطح الأرض فتلقطه الطيور ، أو يتعرض للعوارض الجوية التي تفسده وتتلفه . وقد يسبق الحراثة تقوية الأرض واعادة الحيوية إليها ، وذلك بالتسميد ، فاستعملوا فضلات الحيوانات التي يربون . وأحيانا تكون الأرض صلبة قبل حراثتها ، فيلجأ المزارعون إلى سقيها بالماء حتى تلين بعض الشيء ثم تحرث .

وللعسيريين مواسم يعرفونها ، ولها أسماء ودلالات يستدلون بها على بداية الحراثة لكل محصول زراعي . فمثلا ، (**نجم الجبهة**) الذي في عرف البعض منهم ، يتكون من أربعة نجوم ، وعند ظهوره يقطف التمر . أما نجم سهيل ، والبعض يطلق عليه (**نجم ثريا الخريف**) وأحياناً يسمى بـ(**السبع**) لكونه يتألف من سبعة نجوم ، وعند ظهوره تبدأ زراعة الذرة التى يسميها البعض بـ (**الخريف**) . وهناك من يسمى أحد النجوم بـ (**نجم الذراع**) ، وعند رؤيته يعتقدون حلول موسم زراعة الذرة البيضاء . وعند بعض الأجزاء التهامية يسمون وقت زراعة الصيف بـ (**سعد السعود**) ، والخريف بـ (**نجم السهيل**) ، والشتاء بـ (**الشب**) . والعرب في العصور الجاهلية ، أو الإسلامية المختلفة كانوا من أفضل العارفين بمواسم وفصول السنة ، والأوقات الجيدة للزراعة ، وما يتعلق بالأمطار ، والنجوم ، وغيرها . ومن أفضل الكتب التي وصلتنا من علماء المسلمين الأوائل حول مثل هذه المواضيع (**كتاب الأنواء في مواسم العرب**) ، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المتوفي في أوائل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي . وهذا الكتاب (**المطبوع عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ، في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر أباد ، بالهند**) ناقش جوانب عديدة عن الأمطار ، والرياح ، والنجوم ، والأفلاك ، وعلاقتها بالبشر من جوانب عديدة . ولا يستغني أي باحث ، أو دارس لأحوال الزراعة من الرجوع إلى هذا المصدر القيم ، لما أورد فيه مؤلفه من معلومات لازلنا بحاجة إلى معرفتها ، وخاصة فيما يتعلق بمواسم وفصول الزراعة .

ولم تكن الزراعة مقصورة على القمح ، والشعير ، والذرة ، والدخن ، وماشابهها ، وإنما أغلب العسيريين كانوا يزرعون الكثير من الفواكه ، والخضروات . وهناك بعض



شكل رقم (٣٢) : صورة تبين استخدام المحراث القديم



شكل رقم (٣٣) : صورة توضح عملية استخدام المحراث الحديث

..دها تمار يستفيد منها الانسان في طعامه ، او طعام بعض الحيوانات الأليفة .

والمزارع تختلف في نوعها من حيث جودة التربة ، وتوفير المياه ، فكان ولازال هناك أرض تعتمد في ريها على المطر . ويطلق عليها عند أهل البلاد (**العثري**) . والأرض التي يقوم الانسان بسقيها عن طريق الآبار ، أو العيون وغيرها ، تسمى (**السقى**) أو (**المسقوي**) . وهي افضل من حيث جودة التربة ، والقيمة الشرائية ، ونوعية المحاصيل الزراعية التي تخرج منها .

وطرق الري التي عرفها العسيريون عديدة ، لكن نزول الأمطار تأتي على رأس القائمة ، لما يعم البلاد من خير ورخاء بعد نزول المطر . ويقال للمطر ، الغيث ، وللسكان علامات إذا ظهرت دلت عندهم على أنها أمارات الغيث وعلاماته . منها الهالة التي تكون حول القمر ، فإن كانت كثيفة مظلمة ، كانت من دلائل المطر ، ولا سيما فإن كانت مضاعفة . ومنها الرعد والبرق ، ومنها أن ترى القمر أو الكواكب في الصحو يحيط بها لون يخالف لون السماء . والبعض يسمي المطر الذي ينزل في فصل الخريف بـ (**الخريف**) أو (**الخرفي**) ، ثم الذي يليه الوسمي ، وهو عند دخول فصل الشتاء ، ثم يليه الربيع ، ثم الصيف . ونجد بعض علماء اللغة ، كابن منظور ، وابن سيده ، وابن دريد ، والزبيدي ، وغيرهم يشيرون إلى المطر ومراتب نزوله ، فيذكرون أن أول المطر الوسمي ، ثم الشتوي ، ثم الدفيء ، ثم الصيف ، ثم الحميم ، ثم الخريف . وقال أبو حنيفة الدينوري : ليس الخريف في الأصل باسم للفصل ، وإنما هو اسم مطر القيظ ، ثم سمي الزمن به .

وعند نزول الغيث يفرح العسيريون وغيرهم بنزوله ويستبشرون ، لاسيما إذا كان نزوله بعد قحط وجدب ، يهنيء أحدهم الآخر بانصبابه لما يصيبهم جميعاً من خير عميم . وأحياناً كان يصير نقمة ، إذا نزل سيلا مدراراً يكتسح كل شيء يجده أمامه ، وقد تمتليء به بطون الأودية فتغرق سيولها القرى والمزارع والمستوطنات .

وللاستفادة من مياه الأمطار أثناء نزولها ، سلك العسيريون عدة طرق ، كأن يزرعوا بعض المحاصيل على جنبات بعض الأودية ، أو عند سفوح بعض الجبال والهضاب ، ليستفيدوا من مسائل المياه عندما تنزل من أعالي الجبل والأودية ، وقد يوجدون بعض الحواجز التربية لحبس المياه في بعض الأماكن ، ليستخدموها بعد توقف الأمطار ، أما شرباً للحيوانات ، أو سقياً للمزارع . وأغلب المزارعين يوجدون بعض الأحباس ، والسواقي التي تسيل من سفوح الجبال ، وبعض الهضاب ، ثم يوجهونها إلى حقولهم ، ومزارعهم ، وبساتينهم . ومن الوثائق التي بحوزتنا نجد كثرة المسايل والسواقي في المناطق الزراعية ببلاد عسير ، كما يحدث الكثير من المنازعات بين أفراد القرى والعشائر حول مثل تلك المسائل والسواقي التي يشترك في مياهها أكثر من أسرة وأكثر من صاحب حقل أو مزرعة . وعرفت الينابيع والعيون التي استخدمت في ري بعض المزارع والحقول . وأعظم ما عرف ولازال موجوداً كمصدر من مصادر الري ، المياه الجوفية التي تأتي عن طريق حفر الآبار . ويحفر الناس آباراً في بيوتهم وفي أملاكهم للشرب والزرع إن كانت

عذبة ، ويستعين البعض بالأجراء أو الخدم والسقائين في حفر ، أو ري الحقول من الآبار العذبة . وأحيانا تكون الآبار ذات مياه غزيرة كبيرة تخص القرية أو القبيلة بأسرها ، وقد تكون ملك فرد أو أسرة واحدة تستغلها لحسابها . وكثيراً ما وجدنا في الوثائق المحلية بأن الآبار كانت مصدر نزاع وشجار بين بعض أفراد الأسرة الواحدة ، أو بين أفراد الأسر ، أو القرى ، أو العشائر المختلفة .

وبين سكان عسير أناس عارفون بتحديد المواضع التي يحتمل وجود المياه العذبة بها ، ولهم في ذلك علم ودراية وخبرة . ولم يكن من السهل في القرون الماضية حفر الآبار ، لعدم توفر الآلات والأدوات الفنية[1] . ثم إن حفر البئر إلى عمق بعيد الغور كما تتطلبه بعض الأماكن يحتاج إلى آلات كثيرة ، وإلى علم وتدبير وفن وذكاء في المحافظة على جدران البئر من الانهيار على الحفارين ، أو على الماء بعد الانتهاء من الحفر . وغالباً ماكان يتحايل الحفارون في الحفر ، فإذا فوجئوا بصخرة أو أرض صلدة ، تمنعهم من الاستمرار في الحفر ، وخاصة إذا كانوا قد بلغوا عمقاً بعيداً في باطن الأرض ، وقد كلفهم الحفر صرف مال كثير ، لذلك يتحايلون على الأرض بالتعريج في الحفر ، يمنة ويسرة ، للعثور على موضع ينزلون منه إلى موضع وجود الماء . وقد يحفرون سلسلة آبار يخرق أسفلها ليفرغ بعضها في بعض من موضع الماء .

وأحيانا تتعرض الآبار لسقوط الأتربة والرمال فيها ، بعد حفرها ، أو قد تنهار جدرانها فينضب ماؤها ولايمكن الاستفادة منها إلا بتنظيفها ، ويقال لتنظيف البئر ، نُثلت البئر ، أي إخراج ترابها وما تساقط فيها . ويتم التنظيف بنزول الرجال في الآبار ، فيشد الرجل وسطه بالحبل ، ويترك طرفه في يد رجل آخر ، أو مشدوداً بشيء ثابت قوي ، وفي العادة تعمل في جدار الآبار مواضع للأقدام متقابلة يضع النازل في البئر رجليه عليها ، لتمكنه من النزول إلى قعر البئر ، واستخراج ما قد يتساقط فيها من رمال وأتربة . وفي الغالب تستخدم الأبقار ، أو الجمال ، أو الحمير في رفع الأتربة والطين والأوساخ المتراكمة في قاع البئر . ونفس هذه الحيوانات تستخدم في رفع المياه من الآبار أثناء ري البساتين والزروع . وجهاز البئر الذي ترفع من عليه المياه ، والأدوات التي تستخدم لرفع الماء تتمثل فيما يلي :

(١) الكلبان [٢] ، ومفردها كلب ، أو القرنان ، وقد تجمع فيقال **(القرون)** وهما جدران من الحجر والطين يقعان على إحدى جهات البئر ، والواحد منهما مثلث قائم الزاوية ، والزاوية القائمة نحو البئر ، وهما متوازيان ترفع **(العجلة والدراجة بينهما)**[٣] .

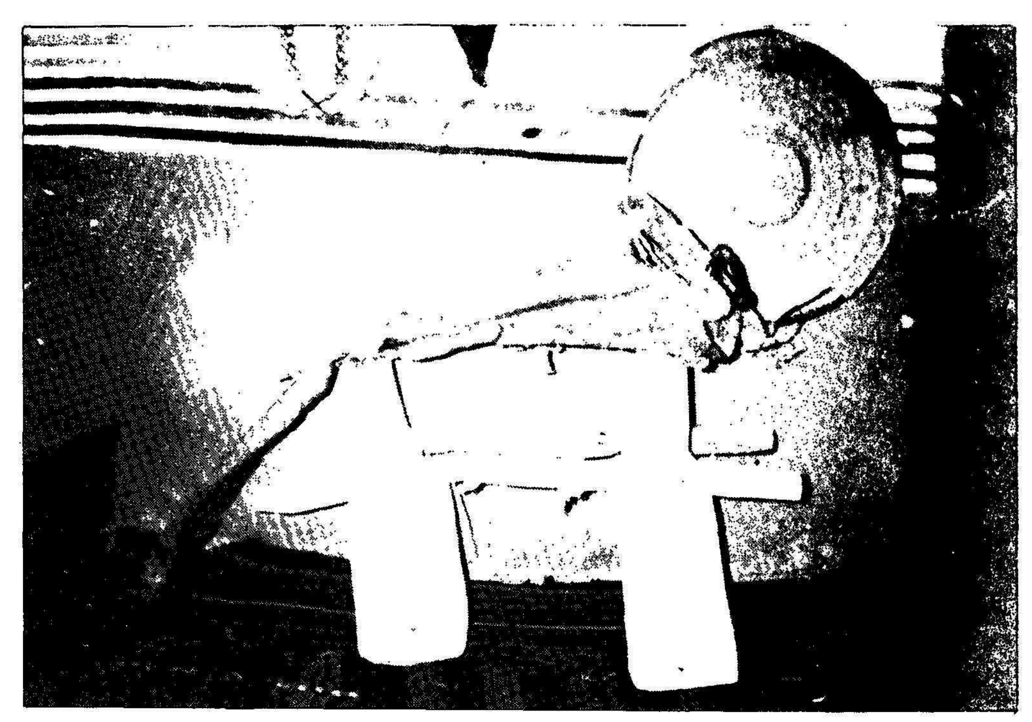
(٢) القلنصوه ، أو الرزة ، أو الرعال ، وجميعها أسماء للجهاز الخشبي الذي يركب على

---

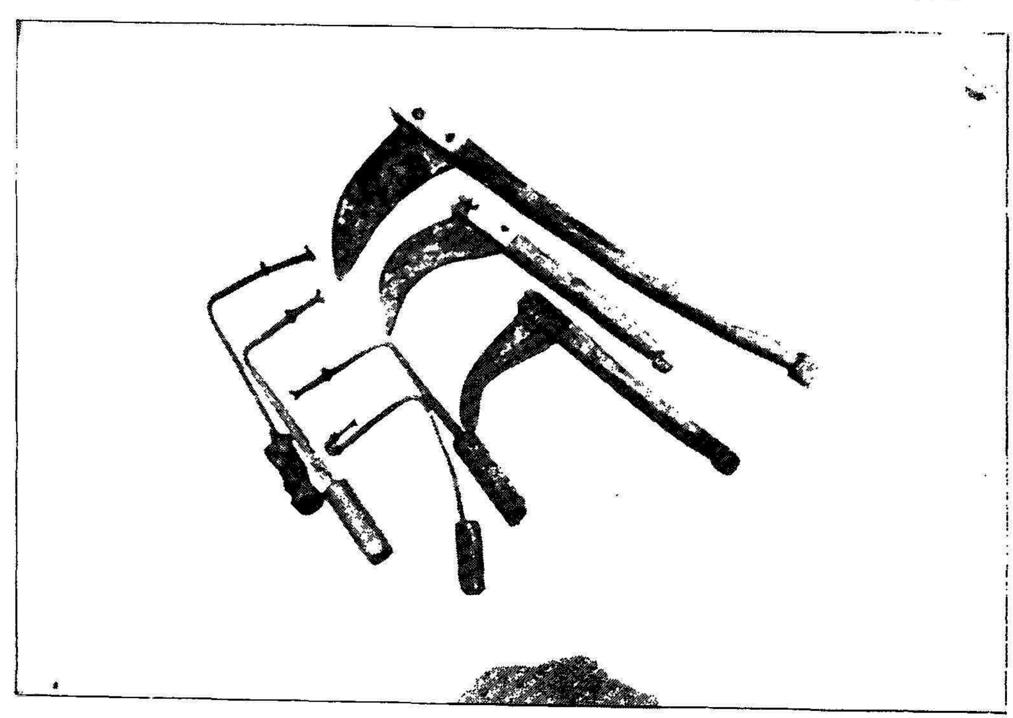
(١) ومن ملاحظات سليمان شفيق باشا على الآبار في بلاد عسير ، وعلى حضارة الأوائل في حفرها ، أن قال : «وفيها ـ اي بعض الأجزاء العسيرية ـ صخور رملية نقبت فيها آبار من بقايا القرون الاولى في قاعتها مياه عذبة براقة يسقون مزارعهم منها ، وهذه الآبار تدل على حضارة سابقة ، لأن الأهالي ليس عندهم الآن الآلات الحديدية التي يستطيعون أن يحفروا بها مثل هذه الآبار في الصخور» انظر مذكرات سليمان سليمان شفيق باشا ، ص ٩٦ ، القحطاني ، موجز تاريخ عسير ، ص١٤٥ .

(٢) سأذكر أكثر من اسم لبعض الأدوات ، أو أجزاء جهاز البئر ، لأجل تعدد الأسماء ، واختلافها من مكان إلى آخر .

(٣) انظر شكل العجلة والدراجة في شكل رقم (٣١) .



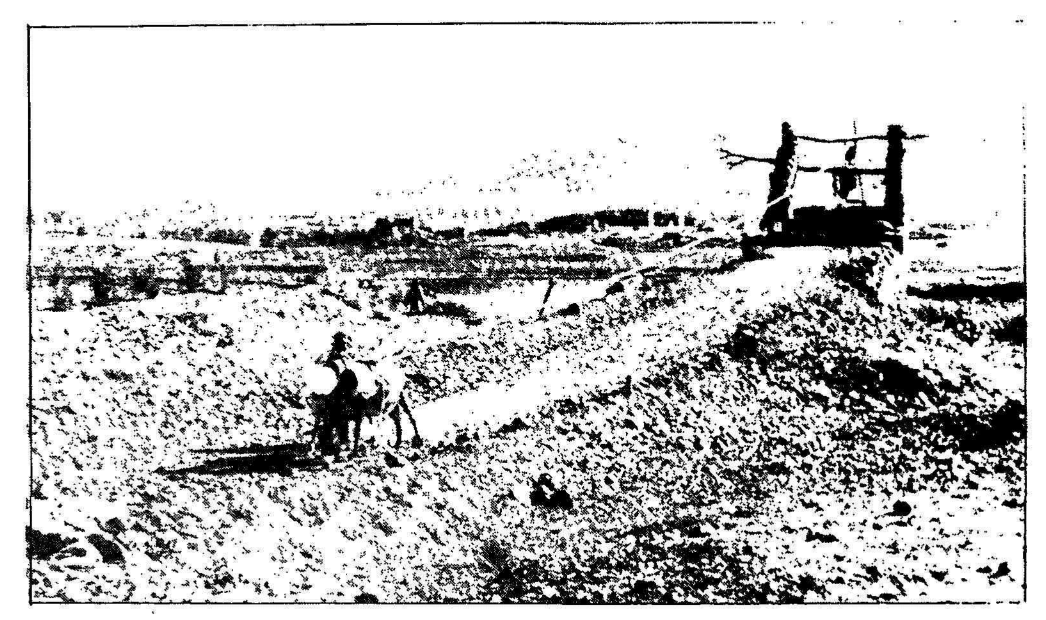
شكل رقم (٣٤) : صورة (للغرب) الذي يستخدم في رفع الماء من الآبار



شكل رقم (٣٥) : صورة تضم نموذجين : لبعض أدوات الحصاد ، وبعض مفاتيح البيوت الخشبية

الكلبين ، وفيه تركب العجلة والدراجة التي يسحب من عليهما الماء . وضمن ذلك الجهاز خشبة من الأعلى تربط ما بين طرفي الرعال ، وتسمى **(القوبع)** أو **(القناعة)** لكونها على هامة الجهاز الخشبي من الأعلى ، وتحت الدراجة والعجلة خشبتان متصلتان بطرفي الرعال من المنتصف ، ومن الأسفل ، ويطلق عليهما أسماء عدة ، مثل **(الفراشة)** أو **(الزندة)** أو **(الحمار)** ، وذلك لركوب العجلة والدراجة عليها ، ضمن الجهاز الخشبي .
(٣) القف أو المشنة ، وهو حوض على طرف البئر يقع بين القرنين ، يصب به الماء بعد رفعه من البئر ، ثم يسير في قنوات صغيرة حتى يصل إلى الأرض الزراعية التي يراد ريها .
(٤) الغرب ، بفتح الغين وسكون الراء ، هو دلو كبير يرفع فيه الماء من البئر ، يصنع من الجلد ، وله فتحتان ، إحداهما كبيرة من الأعلى يدخل معها الماء ، والأخرى صغيرة من الأسفل يخرج منها الماء إلى المشنة . ومن أعلاه عصوان متقاطعتان على شكل (+) **تسمى (العراقي) أو (العرقاه)** ، يتم ربطهما في الفتحة الكبرى ، ثم تربط بحبل سميك مصنوع من الجلد يسمى **(الرشا) أو (المرسب)** يمتد إلى الغرب وهو في البئر ، آتيا من فوق العجلة إلى أن يربط في المضمد ، أو السرج الذي يوضع على ظهر الحيوان المستخدم لرفع الماء من البئر . ومن الطرف الصغير للغرب يمتد حبل من الجلد أقل سماكة من الأول ، يسمى **(الزمام) أو (المقاط)** حتى يأتي من فوق الدراجة ثم يربط في المضمد مع الحبل الأول . وفي منتصف الغرب من الخلف يربط به حجر يزن من الكيلوين إلى ثلاثة ، ويسمى **(الثقل)** ، لهدف سحب الغرب فيغطس ويمتلىء أثناء نزوله في الماء . وجميع الأدوات السابقة مع جهاز البئر ، والأيدي العاملة من المزارعين ، والحيوانات المستخدمة للسقي ، يتم بها رفع المياه من الآبار وارسالها في قنوات معينة إلى الحقول والمزارع التي يراد سقيها . **(انظر شكل الغرب صورة رقم ٣٤)** .

وعرف العسيريون نظام توزيع مياه الري من العيون ، أو الحبوس ، والآبار ، بالنصيب ، أو ما يسمى عند البعض منهم بـ**(الشِرب)** ، حيث تعين أوقات ومدة معلومة لكل فرد أو أسرة لها نصيب في العين أو البئر . وأصحاب الأملاك الزراعية الكبيرة يحصلون على مدة زمنية أطول من ملاك القطع الزراعية الصغيرة . ومن الأسباب التي دفعت السكان إلى استخدام مثل هذه الطريقة . قلة الماء وعدم كفايته في اسقاء المزارع كلها دفعة واحدة ، فيوزع بالحصص ، وفي أوقات تثبت وتحدد . وقد تقع الخصومات من جراء التجاوز وعدم التقيد بضبط الأوقات . ونلاحظ فيما بين أيدينا من الوثائق والاتفاقيات العديد من المنازعات وبعض أنواع الصلح الذي يتم بين بعض المتنازعين ، ثم يصلون إلى تحديد الوقت الذي يحتاج الفرد لسقي مزرعته ، وغالباً كانوا يستخدمون معيار الأيام ، فيقولون مثلاً : زيد له يومان ، أو يوم ونصف ، وأحيانا يقولون يومٌ وغدوة **(أي النصف الأول من النهار)** أو روحه **(أي النصف الثاني من النهار)** . ونفس لطريقة يسلكونها مع عمرو ، وكل من له نصيب في الشرب حتى يخلصون من كل الشركاء في البئر أو العين الواحدة ، كل على قدر مساحة مزارعه .



شكل رقم (٣٦) : منظر يوضح استخدام الحيوان في عملية رفع المياه من الآبار



شكل رقم (٣٧) : صورة توضح عملية تسوية وتنظيف الأرض

د ـ المحاصيل الزراعية :

بعض الكتّاب أشاروا إلى وجود بعض المحاصيل الزراعية في أجزاء عديدة من بلاد عسير ، فتاميزيه ذكر كثرة زراعة القمح والشعير في بلاد قبائل شهران ، وكذلك بعض الفواكه مثل الدراق ، والمشمش ، والرمان ، والعنب[١] . وتحدث البركاتي عن بلاد بارق في الأجزاء التهامية فقال : «**يزرع فيها السمسم ، والذرة ، والشعير ، والدخن .... ولأهلها اعتناء تام باستخراج زيت السمسم وإرساله للخارج بكثرة**»[٢] ، ويشير إلى كثرة النخيل في بيشة ، حيث كان يوجد بها في الثلث الأول من القرن الماضي أكثر من نصف مليون نخلة[٣] . ومن أنواع التمور التي تزرع في بيشة ، البرناوي ، والبرني ، والخضارى ، والحلوة ، والشكل ، والصفرى ، واللحق ، والمكنزى ، وغيرها أنواع عديدة[٤] . وينقل لنا **السير كيناهان كورنواليس (Cornwallis)** ، وصفاً لا بأس به عن الزراعة وبعض المحاصيل الزراعية في عسير ، فيقول : «**الفلاحة والزراعة في تهامة تعتمد جزئياً على مياه الأمطار ، وعلى مياه الأودية ، التي تتدفق على شكل سيول من أعالي التلال ، حيث تجري المياه في قنوات إلى الأرض المحيطة . وفي كثير من الأماكن يوجد هناك محصولان في الربيع والصيف ، ولكن إقليم حلي ينتج ثلاثة محاصيل . ومن المحاصيل الرئيسية الدخن والذرة ، والسمسم ، والقطن ، والخضر البلدية الشائعة ...، وفي الداخل حيث الهضاب تنمو الذرة والبرسيم في الشتاء . وأما المحاصيل الصيفية فهي القمح والشعير ، والعدس ، والبطاطا ، والبصل ....، وفي بلاد بني مالك وأبها يزرع التين والعنب والمشمش ، ونوع ضعيف من الزيتون . بينما تزرع القهوة في بلاد رجال ألمع ، وبللسمر ، وبني مغيد ، ولكنها لا تكفي للاستهلاك المحلي . ويزرع النخيل في أماكن قليلة على الساحل ... وأكثر إنتاجه في وادي بيشة الخصيب ، حيث يزرع الليمون والبرتقال ، والدخن بشكل أوسع . ومن المعلوم أن داخل عسير هو أكثر خصباً من تهامة ، كما أن سلسلة الجبال في الوسط وفي الجنوب هي على حد سواء مخصبة ومثمرة ، وأكثر الأماكن خصبا هي رجال ألمع وتمنية ، وبارق ، وأبها ، وتنومة**»[٥] .

وببلاد عسير **(تهامة وسراة)** أنواع كثيرة من محاصيل الحبوب والمزروعات المختلفة ، وبها أيضا أنواع أخرى عديدة من النباتات والأشجار والفواكه والخضروات . فالقمح أوما يعرف بالبر ، أو الحنطة من أفضل الحبوب التي يرغب الناس فيها ، وتزرع بكثرة في الاجزاء السروية الممتدة من نجران جنوبا إلى بلاد زهران شمالاً ، ولتعدد أنواع حبة القمح

---

(١) انظر مقالة تاميزية في مجلة العرب ، جـ٩ ، ١٠ ، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ص ٦٧٠ ـ ٦٧١ .
(٢) البركاتي ، المصدر السابق ، ص٧٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٣٨ .
(٤) انظر ، كتاب قبيلة شهران بين الماضي والحاضر ، لعبد الكريم عائض سعيد آل طالع ، ص١٦٦ .
(٥) Cornwallis, Asir, PP. 170.

عرفت بعدة مصطلحات لدى سكان البلاد . مثل : المابي ، أو المابيه ، أو السمراء ، وهي حبة القمح التي لونها احمر فاتح . واحيانا طويلة وسميكة . والهلباء ، وحبها طويل ورفيع . واليعبي والميساني . وحبها شبه مربع وسميك ، وأحيانا يكون لونه أحمر غامقا ، وحجمه اكبر من حجم المابي . والبوني . حبها ابيض وسريع الإنبات .

الذرة . بضم الذال المعجمة ، وتأتي في المرتبة الثانية بعد القمح ، وتزرع بكثرة في الأجزاء التهامية والسرورية على حد سواء ، ومن أشهر أنواعها : ذرة الحبش التي تتميز حبوبها بكبر الحجم ، ولكنها قليلة الزراعة . والذرة الدقيقة ، ومنها الأحمر ، والأبيض ، لكن الذرة ذات اللون الابيض أكثر الأنواع انتشار . والذرة ومحاصيل الدخن تأتي في المرتبة الأولى عند مزارعي بعض الأجزاء التهامية . والشعير ويزرع في نفس الموسم الذي يزرع فيه القمح ، ومن أنواعه ، الشعير العربي أو القرشي ، ولون حبه أبيض غامق ، ويمتاز بسنابله الكبيرة . والشعير العجلانه ، واسمه يدل على سرعته في النضج ، فلا تستغرق زراعته حتى يحصد إلا حوالي شهرين ونصفاً إلى ثلاثة أشهر . والدق ، وهي غلة شتوية ذات نوعين هما : (١) المجدولة وحبتها صغيرة جداً ، ولونها أبيض ، وموسم زراعتها بعد فصل الربيع . (٢) السيال وحبتها أصغر من حبة الذرة أو الدخن ، ولونها احمر ويميل إلى الاصفرار ، وموسم زراعتها في بداية فصل الربيع . وهناك محاصيل حبوب أخرى ، غير ما سبق ، مثل : العدس ، ويزرع بنسبة قليلة في بعض الأجزاء التهامية والسروية ، ويسميه البعض بـ(**البلسن**) . الحلب ، أو الحلبه ، وهي نبات معروف تحتوي ثماره على قرون ، في كل قرن عدد من الحبوب يستخدمها الناس في غذائهم حيث تضاف لبعض المأكولات . الدجر ، وهو عبارة عن شجيرة صغيرة تزرع بين مزارع الذرة والدخن ، وتتفرع منها عدة أغصان ، تحتوي على عدد كبير من الثمار ، وعند نضوجها تماما ، يتم جمعها ، ثم تجفف تحت ضوء الشمس ، بعد ذلك تنظف وتطبخ ، وكانت في السابق من الوجبات الرئيسية لبعض سكان البلاد . وعرف العسيريون أنواعا كثيرة من الثمار ، والفواكه والخضروات ، مثل : الرمان ، والعنب ، والتين ، والتفاح ، والسفرجل ، والليمون ، والموز ، والبصل ، والثوم ، والفجل ، والبامية ، والفلفل الأخضر ، والسمسم ، والفل والياسمين ، والبطيخ ، والدبا ، والريحان ، والبردقوش ، والبرك ، والسناء ، والشار ، والضرم ، والنعان ، وغيرها أنواع كثيرة ، يصعب حصرها ، والتفصيل عنها . وقد يأتي من الباحثين من يعمل دراسة جادة على جميع البذور والنباتات ، والأعشاب ، والشجيرات ، والثمار التي توجد بكثرة في جميع أجزاء إقليم عسير ، والتي تستحق الدراسة ، والوصف ، والتحليل .

أما المحاصل الزراعية ، فتنمو بعد بذرها ، وتختلف من محصول لآخر ، وخاصة في طول وقصر المدة الزمنية التي يحتاجها كل محصول حتى ينضج . وأصحاب المزارع يبقون ساهرين على مراقبة محاصيلهم ، وهي تمر في مراحل النمو حتى الحصاد ، ويتخذون بعض الوسائل لحمايتها من اللصوص ، أو عبث الطيور وبقية الحيوانا ، فيبقى البعض

شكل رقم (٣٨) : صورة لمزارع يحمي زرعه من الطيور



شكل رقم (٣٩) : صورة توضح كيفية حصاد محصول الذرة

عندهم عند مزارعه أثناء النهار ، وأحيانا يستمرون للبقاء عندها في الليل . ولطرد الطيور والحيوانات عن المزارع . استخدم المزارعون أشباحاً وأخيلة **(ومفردها خيال)** ينصبونها حول زروعهم . وهذه الأشباح عبارة عن أخشاب تنصب من حول المزارع ، ثم تكسى بعض الأقمشة لتكون على هيئة إنسان ، وعندما يأتي الطير أو الحيوان للاعتداء على المزارع ، فقد يرى مثل تلك الأشباح ، فلا يستطيع التقدم إلى الزروع لخوفه مما رأى من أشباح ظاناً أنها بشر .

وبعد نضج الثمار والفواكه والخضروات ، تقطف أو تجز ، ثم يطبخ ما يحتاج للطبخ ، ويخزن ما يستحق التخزين ، مثل التمور ، والزبيب ، وغيرهما ، ويؤكل ما يصلح للأكل في وقته دون طبخه . أما الحبوب كالقمح ، والذرة ، والشعير والدخن ، والعدس ، والدجر ، وغيرها فتحصد بعد نضجها ، ثم تنقل إلى مكان مخصص لدرسها ، وذلك المكان يعرف بـ**(الجرين)** او **(البيدر)**(١) . وعند جمع المحصول الواحد في البيدر ، يترك بعض الوقت لكي يجف وييبس ، ثم يدرس بأرجل الحيوانات ، كالأبقار والحمير ، وقد تجر الحيوانات خلفها حجرة منبسطة ملساء ، أو خشبة ثقيلة لكي تساعد على فرك وتقطيع سيقان وسنابل الزرع . وبعد الانتهاء من الدراسة أو **(الدياسة)** يذرى المحصول في مكان به ريح جيدة لفصل الحب عن التبن . ويتولى أصحاب المزارع دوس ، أو درس المحصول بأنفسهم . ومن عادات بعض السكان في الدرس والدياسة التناوب والتعاون ، فيجتمع أفراد الأسر المتقاربة ، أو الجيران ، مرة عند هذا ومرة عند هذا ، حتى ينتهوا من درس جميع المحاصيل ، ثم يتعاونون أيضاً في فصل الحب عن التبن . وبعد الحصول على حب المحصول ، يخرجون حقه من الزكاة ، ويتصدقون منه على بعض الفقراء والمحتاجين ، ثم ينقلونه للتخزين في غرف خاصة بالمنازل ، تكون ذات فتحات تسمح بدخول الهواء ، وأحياناً كان هناك حصون يشترك فيها أفراد القرية لخزن حبوبهم ، وما يحصلون عليه من مزارعهم . وعادة يتم وضع الحبوب في أواني مصنوعة من الجلد ، أو الطفي ، أو الخوص والحصر ، أو من الخيش ، وأحيانا من القماش .

وكما أن الزراعة تحتاج إلى عدة عوامل مساعدة ، كالتربة لبذر الزرع ، وتوفر المياه العذبة للري ، والمناخ الملائم للثمر أو الزرع الذي يراد زراعته ، وتوفر الخبرة والمال الذي يساعد على تحسن الزراعة . فهناك بعض العوامل المعرقلة التي واجهت الفلاحين في عسير خلال القرون المتأخرة الماضية ، منها الجدب والقحط وقلة الأمطار ، التي كانت تخيم على المزارعين في بعض السنوات ، فيهلك الحرث والنسل ، ويفقر الناس ، بل ويموت كثيرٌ منهم ، ومن مواشيهم . وأحيانا كانت تأتي سيول غزيرة فتهلك الزروع وتخرب محاصيلها ، وتنتشر الأوبئة والأمراض في بعض الثمار والمحاصيل ، فلا يستفيد منها أصحابها شيئا . وقد يداهم المحاصيل بعض الكائنات الحية ، كاللصوص ، أو الجراد ،

---

(١) ومن يتجول في قرى وأحياء بلاد عسير (تهامة وسراة) يرى البيادر من مرافق المنازل ، فلا يخلو كل بيت ، من (جرين) لهدف أن تجمع كل أسرة محاصيلها فيه لتدرسها وتفصل الحبوب عن التبن . (انظر عملية درس محاصيل القمح والشعير صورة رقم ٤١) .



شكل رقم (٤٠) : صورة لمزارع يقوم بري أرضه



شكل رقم (٤١) : منظر يوضح عملية درس محاصيل القمح والشعير

الفئران ، أو القرود ، أو الدود . فيخرب ويدمر ما أصلح المزارع . وبالتالي قد لا يخرج من الثمر أو الحبوب إلا القليل . وأحيانا قد لا يخرج منها شيء . علاوة على ما كان يسود إقليم عسير . قبل توحيد المملكة العربية السعودية من صراعات قبلية ، وسلب ونهب ، وفوضى ، وفقدان للأمن . وجميعها من العوامل المعرقلة للزراعة والمزارعين . والفرق كبير بين هذا وبين ما يجده المزارع في وقتنا الحالي من تشجيع معنوي ، ودعم مادي ، حتى صار هناك من يمتلك المزارع الواسعة ، بل وأصبح هناك من يصدر منتوجات مزارعه إلى الأسواق داخل وخارج بلاد عسير .

الصناعات والحرف التقليدية

الصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة ، ويقال رجل صنع ، أي حاذق في الصنعة ، وعماد الصانع يداه يستعملهما في صنع الأشياء ، كما يعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى اشياء أخرى أهم منها ، أو أي شيء آخر يريده ، أو يطلب منه ، والحرفة والصناعة التي يرتزق منها ، وهي جهة الكسب ، وكل ما اشتغل الانسان به ، أي أمر كان ، فإنه عند العرب يسمى (صنعة) أو (حرفة) ، يقولون : صنعة فلان أن يعمل كذا ، وحرفة فلان أن يفعل كذا ، ويذكر عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال : « **إني لأرى الرجل ، فيعجبني ، فأقول ، هل له حرفة ؟ فإن قالوا : لا سقط من عيني** » .

والكثير من السكان في المجتمع العسيري ، عملوا في العديد من الصناعات ، والحرف التقليدية ، والتي سوف نناقش أهمها في الصفحات التالية .

أ - المعادن وما يتعلق بها :

عرف عن شبه الجزيرة العربية ، منذ القدم ، بأنها موطن الكثير من المعادن ، كالحديد ، والذهب ، والفضة ، والرصاص ، والعقيق ، وغير ذلك ، والحسن بن أحمد الهمداني ، المتوفي عام (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) أفضل المؤلفين الأوائل الذين تحدثوا عن المعادن ومواطنها في شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة بلاد اليمن ، والأجزاء التهامية والسروية الممتدة من صنعاء وصعدة جنوباً إلى الطائف ومكة المكرمة شمالاً ، ويجد القاريء التفاصيل الكثيرة في كتب الهمداني ، وخاصة في (**كتاب صفة جزيرة العرب**) و (**كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء**) و (**كتاب الإكليل**) ، ولأن الهمداني قد أكد على كثرة المعادن في شبه الجزيرة العربية ، فقد حدد الكثير من مواقع المعادن في بلاد عسير ، كبيشة ، وبيش ، ومواقع أخرى عديدة في بلاد رجال الحجر ، وديار شهران ، وقحطان وغيرها ، ومن يتجول في أنحاء إقليم عسيرة ، يجد الكثير من الأحجار المعدنية ، بل ويجد الكثير من آثار المناجم المعدنية التي كان يستخرج

منها الاوائل بعض المعادن[١] . وأقسام الآثار في المملكة العربية السعودية تتحمل الجزء الأكبر من المسئولية في دراسة وتنقيب مثل تلك المناجم الأثرية ، حتى تبين للدارسين والباحثين بعض الحقائق العلميـــة عن تاريخ استخدام تلك المناجم ، ونوعية المعادن التي كانت تستخرج منها ، وربما استطاعوا التوصل إلى معرفة الأيدي العاملة التي كانت تعمل فيها ، وكذلك الأدوات التي كان يستخدمها العمال أثناء عملهم في تلك المناجم .

وإن كان من الثابت وجود المعادن المختلفة سواء في بلاد عسير أو في غيرها من شبه الجزيرة العربية ، ولكن هل كان هناك صناعات معدنية وحديدية قائمة على ما يستخرج من تلك المعادن ؟ والإجاة على هذا السؤال غير يسيرة لأنا لا نجد مصادر تاريخية توضح لنا ذلك ، علماً بأن الكثير من الوثائق ، والمسنين من أبناء منطقة عسير ، والمتاحف التاريخية التي تحتوي على بعض الأدوات التراثية العسيرية تصور لنا الكثير من الأدوات المعدنية والحديدية المصنوعة محلياً ، مع العلم أن موادها الأولية مستوردة من المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية ، وأحياناً يكون بعض تلك المواد مستورداً من مصر ، أو بلاد الشام ، أو العراق ، أو الهند وغيرها .

وفي أغلب أجزاء إقليم عسير ، كان هناك بعض الصاغة الذين يعملون في صياغة الذهب والفضة ، وبعض المعادن الأخرى وأعظم مهماتهم كانت في التلميع أو التشكيل ، وأحياناً في صناعة بعض الحلي ، كالقلائد ، والأقراط ، والخواتم ، والخلاخل عند النساء ، أو السيوف ، والسكاكين وغيرها عند الرجال . أيضاً كان هناك الكثير من الحدادين الذين يصنعون الكثير من الأدوات الحديدية البسيطة ، أمثال السيوف والخناجر التي يلبسها الرجال ، أو بعض الأدوات الإجتماعية المستخدمة في أثاث المنازل ، أو بعض أواني الطعام والشراب ، أو بعض الأدوات الزراعية ، أو التجارية ، أو الحرفية وغيرها .

وعلى ذكر الصناعات الحديدية ، وخاصــة الأدوات والأسلحة التي تستخـدم في الحروب ، فقد كانت السيوف والخناجر الصغيرة والكبيرة هي أهم ما كان عند السواد الأعظم من سكان عسير ، إلى جانب بعض الفؤوس ، أو الآلات الحديدية الحـادة والبسيطة ، وجميع هذه الأدوات كانت تصنع داخل بلاد عسير أو خارجها (في المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية)[٢] . ولكن عرف أهل البلاد أسلحة أخرى لم تكن مألوفة لديهم من قبل جلبت من مراكز صناعية عديدة في العالم ، فمثلاً عند مجيء قوات الدولة العثمانية إلى اليمن وعسير كانت قد جاءت معها ببعض الدروع ، والمنجنيقات ، والمدافع ،

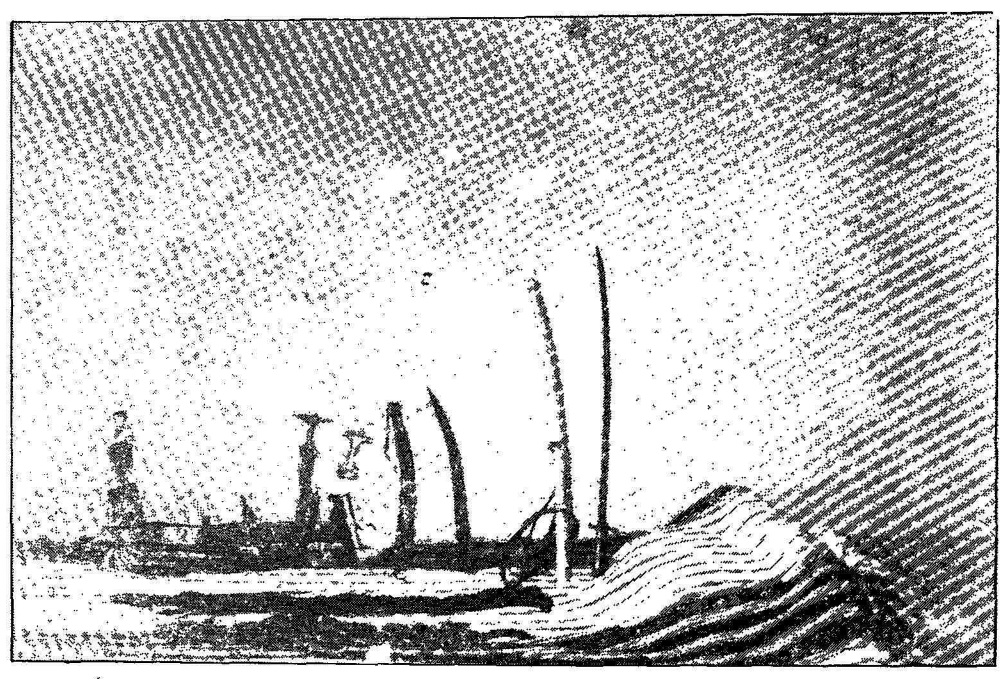
---

(١) ويذكر سليمان شفيق باشا بعض مواقع المعادن في عسير ، فيقول : « وفي جبال السودة الواقعة غرب ابها قاعدة عسير مناجم حديدة غنية ، ومناجم الرصاص الفضي والمركبات الكبريتية كثيرة في عسير ، وفي جوار بني شهر منجم نحاس ، وفي السفوح الغربية من سلسلة جبال عسير وجد معدن الملح الصخري ، وهو من نوع نفيس جدا ... » أنظر مذكرات سليمان شفيق ، ص٢٢ ، القحطاني ، موجز تاريخ عسير ، ص ٦٠ ـ ٦١ ، العارف ، ص ٥٧ ، تاميزية ، ص ٦٦٦ .

(٢) ويذكر السير كيناهان كورنواليس بعض التفصيلات عن بعض الأسلحة ، فيقول : « ومعظم السيوف والخناجر يتم صنعها مجليا ، حيث أن الحديد يستورد من عدن ويقوم بشغله وتصنيعه الحدادون المحليون ، وأما بالنسبة لقبيلة آل يزيد المتفرعة من بني مغيد فهي مشهورة بمهارتها في مثل تلك الصناعة ، فالأسلحة والذخيرة تاتي عادة من الخارج ، بينما يقال عن بني شهر بانهم ينتجون نوعاً أقل جودة من مسحوق البارود » ، أنظر .Cornwalls Asir, PP. 15-16



شكل رقم (٤٢)   صورة لبعض الادوات الحديدية المصنوعة محلياً في عسير .



شكل رقم (٤٣) : صورة لبعض السيوف والخناجر الفضية المصنوعة محلياً في عسير .

وأنواع عديدة من البنادق ، أمثال بندقية أبو مشط وسعتها خمس طلقات ، أوبو حشرة وسعتها خمس طلقات تستخدم دائماً في البرد لأنها لا تتحمل درجات الحرارة المرتفعة ، وبندقية أبو ركبة ، وكانت تسمى (**النبوت**) وسعتها أيضا خمس طلقات ، وبندقية الموزر ، وهي المانية الصنع ، وسعتها عشر طلقات ، وأسلحة أخرى عديدة مثل الرشاش ، وبنادق النيمس ، والمحدش ، والميري ، وأبو زرفال ، والهطفاء ، والمعشر ، والعصملي ، وغيرها كثير .

ب - الصناعات الحجرية والفخارية :

الصناعات الحجرية تعتمد اعتماداً كلياً على عملية تكسير الحجارة وتشكيلها على أنماط معينة ، ولأغراض محددة ، ففي عملية بناء البيوت والحصون الحجرية ، أوبناء المدرجات الزراعية ، أو الآبار وغيرها ، نلاحظ الحجارة المستخدمة في البناء قد فُصّلت على هيئة أشكال مختلفة حتى صارت صالحة للإستخدام في البناء ، وهذا التشكيل للحجارة لم يحدث من فراغ ، وإنما جلبت من الجبال والهضاب والأودية ، ثم قام بعض المهرة بتكسيرها وتفصيلها حتى صارت صالحة للبناء ، ومن يلق نظرة على الكثير من البيوت والحصون ، وبعض مرافق البناء الأخرى فى إقليم عسير ، وخاصة في الأجزاء السروية منها ، يشاهد بعض الحجارة الكبيرة التي استخدمت في البناء ، والعجيب في استخدام مثل تلك الصخور هو كبر حجمها ، ثم استخدامها في الطوابق العلويـة من البيوت والحصون ، مع العلم أن الأوائل لم يكن عندهم آلات رفع قوية ترفع مثل تلك الحجارة ، وإنما كان اعتمادهم على سواعدهم وتعاونهم فيما بينهم .

وإلى جانب الصناعات الحجريـة الصلبة ، عـرف استخدام العسيـريين لبعض الصناعات الفخارية المصنوعة من الطين ، وفيما يلي أهم بعض الصناعات الحجرية والفخارية التي عرفوها ومارسوها كصناعات محلية في بلادهم :

١ - لاحظنا في الفقرة السابقة ، وفي الفصل السابق من هذا الكتاب ، أن البيوت والقصور والحصون في عسير ، كانت تبنى من الحجارة أو الطين ، والمشاهد للمباني القديمة الواقعة في الاجزاء السروية ، والممتدة من ظهران ونجران جنوباً إلى غامد وزهران شمالاً ، يلاحظ أغلب الأبنية مشيدة إما بالحجارة أو الطين أو بهما معاً .

٢ - صناعة الرحى ، لطحن الحبوب ، وهي عبارة عن حجرين من حيث الأساس أحدهما ثابت وهو الأسفل ، والآخر متحرك وهو الحجر الأعلى ، وهو أصغر قليلاً من الحجر الأسفل ، به فتحة توضع الحبوب بها فتنزل منها إلى سطح الحجر الثاني ، فتقع بواسطة حركة الحجر الأعلى بين الحجرين وتداس فتسحق ، وبواسطة استمرار الحركة وثقل الحجر الأعلى تتحول الحبوب إلى طحين يخرج من بين الحجرين الى الخارج حيث يسقط فى حفرة أمامية عملت لتجميع الطحين بها ، وذلك فيما إذا كان الحجر الأسفل مبنياً على قاعدة ، أما إذا كان متحركاً فيسقط الطحين على أطراف الرحى على قماش أو على شيء يوضح تحت الحجر الثاني ، ثم يجمع الطحين .

وعرف بعض سكان عسير نوعاً آخر من المطاحن ، أبسط في صنعها واستخدامها من الرحى المتقدمة . وهذا النوع الأخير عبارة عن حجر مائل نوعاً ما ، أحد طرفيه مرتفع عن الطرف الآخر . يوضع الحب عليه ثم يسحق بحجر اسطواني الشكل في الغالب يمسك بالايدي من مقبض نحت منه على كل طرف من طرفيه ثم يحرك على الحبوب لسحقها . وقد يقبض بطرفي الحجر ثم يحرك نحو الأسفل فالأعلى حتى تسحق تلك الحبوب وتتحول إلى طحين ، ويسمى هذا الجزء الاسطواني ، وبخاصة عند أهل الأجزاء التهامية ، كصبياء ، وبيش ، ودرب بني شعبة ، بـ (**المقري أو المرهق**) . (انظر شكل رقم ٤٤) .

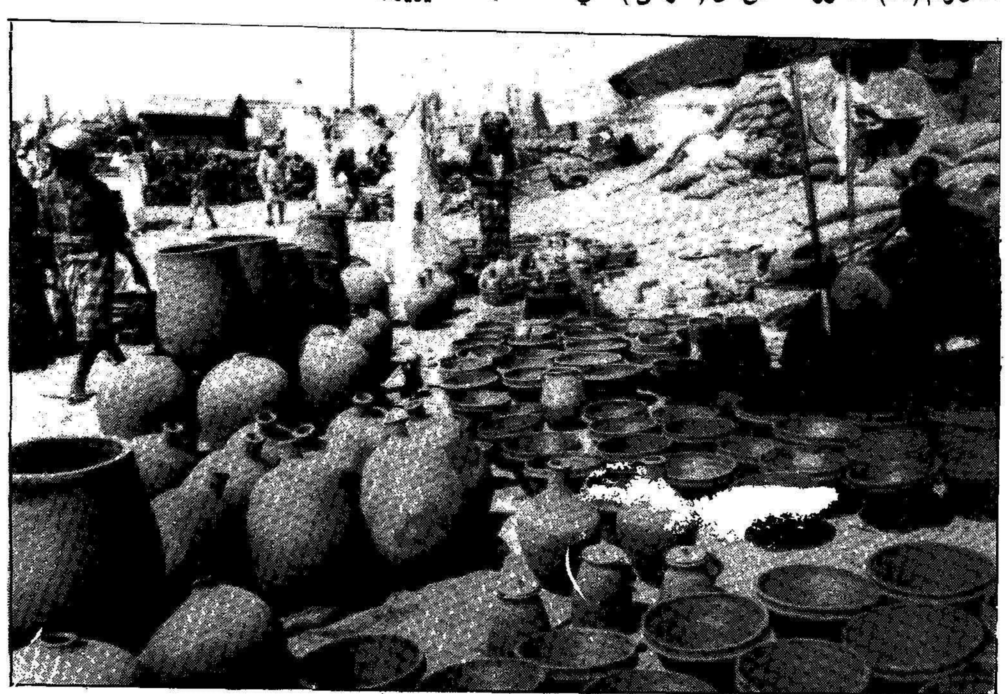
ولمكانة الرحى عند العسيريين يومئذ ، تخصص منهم أناس يقومون بإصلاح الحجر وتحويله إلى رحى صالحة لطحن الحبوب ، ولا يصلح كل حجر لأن يكون حجر رحى ، ولهذا فعلى الخبير بالرحى اختيار الحجر الصالح ، ثم عليه إصلاحه ليكتسب الإستدارة وعمل ثقب فيه ونقرة وغير ذلك مما يتعلق بهذا العمل ، وتكون حجارة الرحى مختلفة فى الحجم ، باختلاف العمل الذى يوكل اليها أداؤه ، فبعض أنواع الرحى ثقيلة ذات قطر واسع ، وتستخدم في طحن بعض المواد الصلبة مثل ثمار بعض الأشجار ، أو الحبوب المختلفة الأنواع .

٣ ـ **الجرار و التنانير** ، والجرار (**ومفردها جرة**) عبارة عن أوعية فخارية من الطين الجيري الأسود ، وأحيانا الأحمر ، تستخدم لتخزين الماء وحفظه في درجة برودة جيدة ، وإلى جانب الجرار عرفت أدوات أخرى لحفظ مياه الشرب ، مثل : (**الزير**) وأحيانا يطلق عليه بعض أهل البلاد (**الكوز**) وجمعه (**كيزان** ، **أو أكوزة**) ، وسعة الكوز أكبر من سعة الجرة ، أما التنانير ، ومفرده (**تنور**) ويطلق عليه بعض العسيريين ، اسم (**الميفاء**) ، فهو عبارة عن فرن يصنع من الطين ، يستخدم لصناعة الخبز ، وأحياناً لطهو اللحوم ، ولازال البعض من سكان عسير يفضل الخبز أو الطعام الذي يتم عمله عن طريق الميفاء أو التنور .

٤ ـ الفناجين ، والبرام والحياسي ، والجبن ، والمغاش ، والمركب وغيرها ، وجميع هذه الأدوات مصنوعة من الفخار ، وتستخدم في كل ما يتعلق بأفراد الأسرة من حيث الطعام والشراب ، فالمغاش والبرام والحياسي من الأدوات التي تستخدم في طهو أو تجهيز الطعام أثناء أكله ، أما الفناجين ، فهي عبارة عن أواني فخارية صغيرة تصب فيها القهوة أو بعض السوائل أثناء شربها ، وأحياناً يوجد على بعض الفناجين نقوش فنية تضفي عليها رونقاً وجمالاً ، والأواني الزجاجية نافست الفناجين الفخارية ، إلا أن البعض من سكان عسير ، وخاصة كبار السن ، لازالوا يفضلون الشرب في الفناجين الفخارية ، أما الجبن ، بكسر الجيم وفتح الباب وسكون النون ، فهي من الأدوات الفخارية المعروفة عند أهل تهامة ، وخاصة بلاد صبيا وما حولها ، وهي عبارة عن إناء مصنوع من الطين يستخدم لطبخ شراب القهوة ، وقد حل الآن محل هذا الإناء ، الأواني المعروفة في يومنا هذا ، والمصنوعة من بعض المعادن المختلفة ،



شكل رقم (٤٤) : صورة لنماذج من (الرحى) التي استخدمها العسيريون .



شكل رقم (٤٥) : صورة لنماذج من الأدوات الفخارية المصنوعة في عسير .

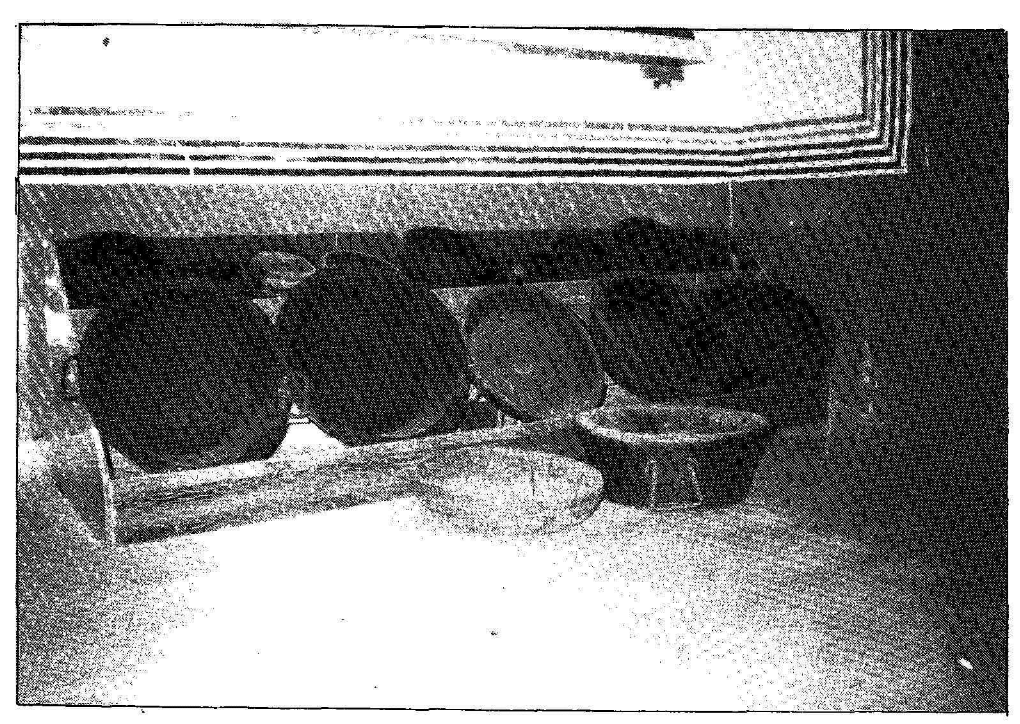
غير أن بعض كبار السن في تهامة لازالوا يحتفظون بالجبنة ، ويستخدمونها في طهو قهوتهم وشربها . والمركب ، وجمعه (**مراكب**) فهو عبارة عن موقد مصنوع من الفخار ، يستخدم لإشعال الفحم ، وإيقاد النار في البيت ، وهذا النوع يوجد بكثرة في الأجزاء التهامية ، اما الأجزاء السروية فقد يصنع من الطين أيضاً ، ولكن يعرف بأسماء أخرى عديدة مثل **الكانون** ، **أو الصلل** ، **أو الموقد** .

جـ - حرف النجارة :

الصناعات الخشبية من أعمال النجارين ، والنجار هو الذي ينجر الخشب ، ثم يقوم بنشره وحفره وإصلاحه وعمله على النحو المطلوب ، وحرفته النجارة ، ولا تخلو قرية أو قبيلة في بلاد عسير من وجود العديد من النجارين المتخصصين فى تشكيل الخشب ونجارته ، وغالبا ما تكون مهنة النجارة متوارثة في الأسرة الواحدة ، فيتعلم الأبناء والأخوان من الآباء والأجداد المتمرسين في نجارة الخشب وإصلاحه ، والمادة الأساسية لحرفة النجارة ، الخشب ، وهو نوعان : نوع كان يستورد من خارج بلاد عسير ، إما من حواضر الحجاز أو اليمن الكبرى ، ونسبته قليلة ، أما النوع الآخر ، وذو النسبة العالية ، فهو من أرض عسير وناتجها ، حيث يوجد عشرات الأشجار والشجيرات التي يستخدم عودها في الصناعات الخشبية ، ومن أفضل الأشجار التي يرغبها النجارون ، شجر الطلح ، والعتم ، والعرعر والسدر ، والسلم ، والنشم ، والاثـل ، والدوم ، والسرو ، وأنواع أخرى عديدة ، وجميعها تتوفر في الكثير من جبال ، ووهاد ، وأودية إقليم عسير .

وقد عمل النجارون ، واستخدموا الخشب في تقوية الجدر وأعمدة البيوت المصنوعة من القش والأخشاب ، كما استخدمت بعض الأخشاب في صنع السقوف والابواب ، وفي تقوية السلالم ، وفي صنع الشبابيك ، وأمثال ذلك من الأعمال التي تدخل في صلب البناء ، وتكون جزءاً منه . واستخدم الخشب في صنع أثاث البيت ، كالسرر التي تستخدم للنوم ، ويطلق عليها بعض سكان الأجزاء التهامية ، اسم (**القعادة** ، **وجمعها قعايد**) أو (**الشبارى**) . وصنعت الصناديق والحقائب وبعض الأدوات المستخدمة في حياة الإنسان داخل البيت ، وكان الكثير من النجارين يقوم بصنع بعض أواني الطعام مثل : الأقداح ، والصحاف ، والقصاع ، والجفان ، وغيرها ، وساعد النجارون بعض أصحاب المهن الأخرى بالأدوات التي تساعدهم في حرفهم ، فصنع للتجار المكاييل المختلفة ، وللمزارعين الأدوات الخشبية التي يحتاجونها أثناء الحراثة ، أو درس المحاصيل وما شابهها .

ويستعين النجار في إقليم عسير بجملة أدوات في صنعته ، بعضها من صنع الحداد ، لأنها من الحديد ، مثل الفأس على اختلاف أنواعها ، والمنشار والمحفرة والمحفار ، والمنقار والمسحل والمثقب والكلبتين والمسامير والأوتاد وغير ذلك من أدوات تستعمل في قطع الخشب وتنظيمه وصقله وهندسته لجعله صالحاً للعمل ، ويستعمل النجار المنشار في قطع الأخشاب والأشجار ، أما المنقار ، فهو حديدة كالفأس مستديرة لها خلف ينقر بها ،



شكل رقم (٤٦) : نماذج من (الصحاف) والأواني الخشبية المصنوعة محلياً في عسير .



شكل رقم (٤٧) : نماذج أخرى من الصحون والصحاف الخشبية .

، يقدنع بها الحجارة والأرض الصلبة والخشب ، ولاسيما في نقش الخشب وحفره ، أو الكتابة عليه .

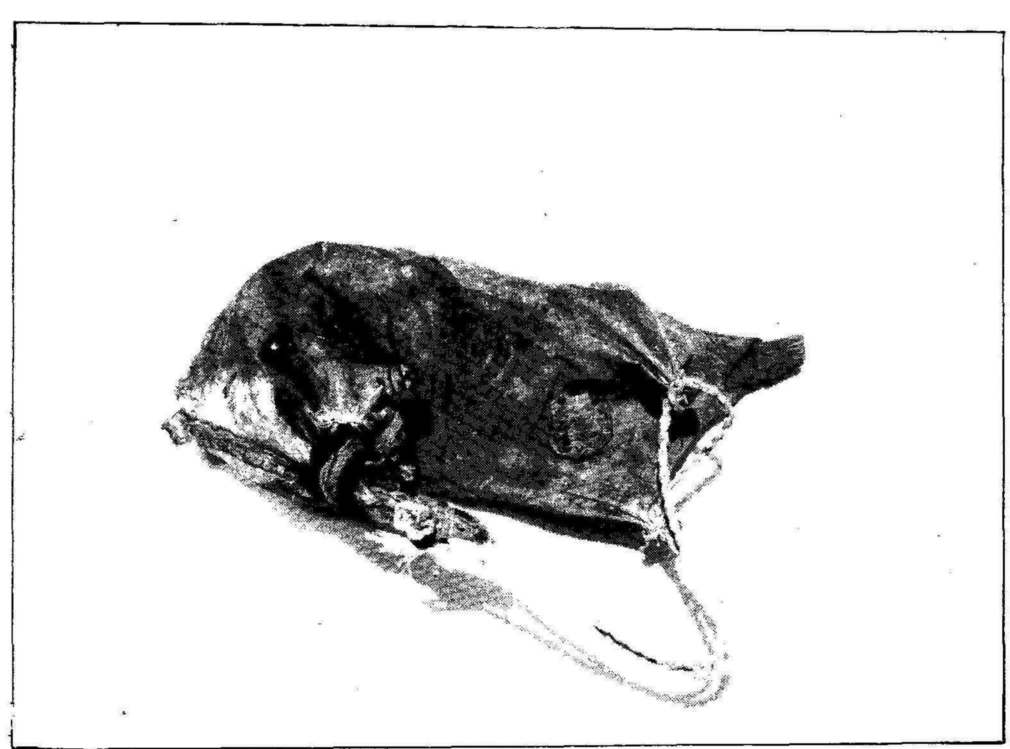
وهناك نجارون تخصصوا في صنع القوارب والسفن الصغيرة ، لاستعمالها في صيد السمك ، أو للتجارة البحرية والنقل ، ولعدم وجود أنهار وبحيرات في بلاد عسير ، انحصرت حرفة صنع واستخدام القوارب في الموانيء وسواحل البحر الأحمر الممتدة من الليث شمالا إلى جازان جنوباً .

د ـ دباغة الجلود وخرازتها :

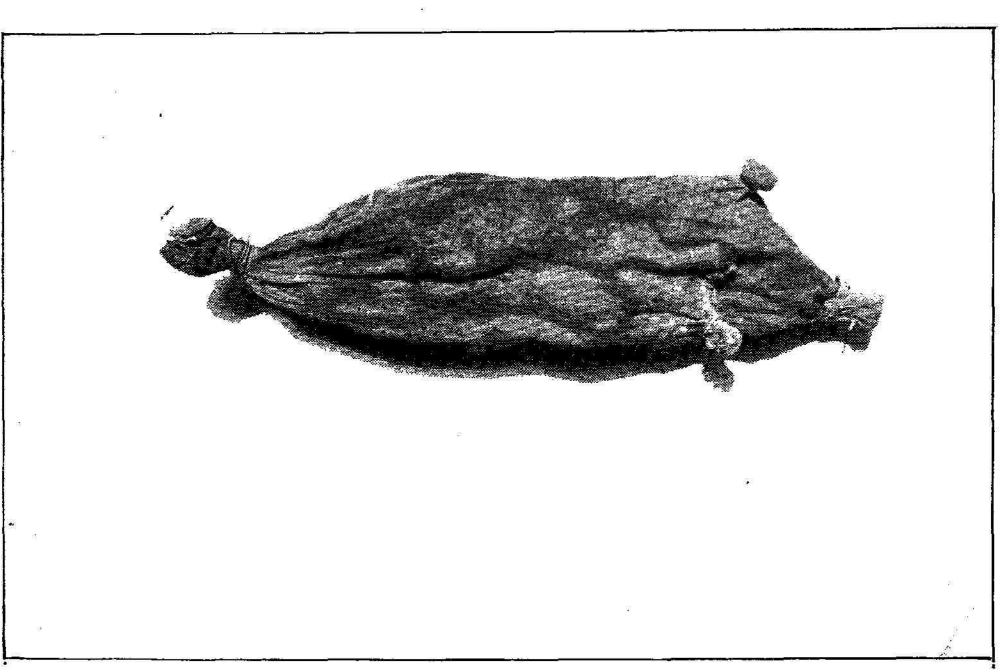
الدباغة والخرازة حرفتان مهمتان اشتهرت بهما أماكن متعددة في جزيرة العرب ، لاسيما الطائف ، وصعدة ، وصنعاء وغيرها ، وبلاد عسير من المناطق التي يتوفر بها العدد الكثير من الحيوانات التي تصلح جلودها للدباغة ، كما يوجد بها الجو المناسب وبعض الأشجار التى تستخدم أوراقها مع الجلد أثناء دباغته ، فيكون بعد ذلك صالحاً للخرازة والاستخدام . والدباغة ، صناعة تقوم على أساس إصلاح الجلد وإبعاد الصوف والشعر عنه ، للإستفادة منه في أغراض نافعة ، وكان البعض من النساء والرجال يقوم بحرفة الدباغة ، إلا أن السواد الأعظم ممن يمارس الدباغة كان للاستخدام الذاتي فقط ، وأحياناً كان هناك من يمارسها بهدف التجارة ، إلا أن البعض من الناس كان يأنف من هذه الصناعة ، وذلك لما ينشأ عنها من روائح كريهة .

وعند الحصول على الجلود التي يراد دباغتها ، توضع في ماء ، ويخلط معها الملح ، ويضاف مع ذلك بعض أوراق شجر الشث ، أو السلم ، أو القرظ ، ثم تترك الجلود على هذا الوضع عدة أيام ، بعد ذلك تخرج وتنظف من الشعر والدهون والأوساخ العالقة بها ، ثم تعرض للهواء والشمس عدة أيام ، حتى تجف وتذهب الرائحة الكريهة منها ، ثم يقام بخرازتها وتشكيلها للغرض الذي يراد استخدامها له .

وتدخل الجلود في أغراض عديدة ، منها ما يستخدمه المزارعون من قرب ودلاء وأدوات للسقي ، أو ما يستخدم الإنسان من لباس وزينة ، كصناعة بعض الفراء أو الأقبية التي يلبسها الرجال والنساء ، أو الأحذية المصنوعة من الجلد ، أو بعض الحقائب ، أو الأغمدة التي توضع فيها السيوف أو السكاكين ، أو بعض الأسلحة الأخرى ، وهناك أدوات جلدية أخرى ، كالعياب المصنوعة من الجلد ، والتي تستخدم لخزن الحبوب ، أو المحاصيل الزراعية المختلفة ، والسقاء وهو ظرف الماء إذا كان من جلد ، ويكون في الغالب من جلد رقيق ، والركوة وعاء صغير يشرب فيه ، ويستخدم للوضوء ، وأحياناً يصطحب في الأسفار ، والأدوات الجلدية كثيرة ، ومن يلق نظرة على بعض المتاحف الأثرية التي تحتوي على تراث إقليم عسير ، فسيجد الأنواع المتعددة من الصناعات الجلدية المحلية التي عرفها واستخدمها الأوائل في أغراض سياسية واجتماعية واقتصادية متعددة .



شكل رقم (٤٨) : صورة لقربة من الجلد تستخدم لحمل الماء .



شكل رقم (٤٩) : صورة أخرى لقربة من الجلد تستخدم في عملية استخلاص الزبد .

هـ - النسيج والخياطة والصباغة :

النسيج أو الغزل من الحرف التي مارسها العسيريون ، وخاصة فئة النساء في البوادي والأرياف . والصوف بأنواعه ، وشعر الماعز من أهم المواد التي كانت تستخدم للغزل والنسيج . واهم الادوات التي تستخدم في مهنة الغزل : - المغزل ، ومنه نوع بسيط يحمل باليد ، ومنه ما هوسريع بعض السرعة ، وهو على هيئة دولاب يدار بالأرض ، فيكون سريعاً بالغزل ويكون مجال الغزل فيه أوسع من مجال الغزل بالمغزل اليدوي البسيط .

اما كيفية إعداد الصوف وشعر الماعز للغزل ، فكان على من يمارس هذه الحرفة القيام بتنظيف الصوف والمواد المراد غزلها ، وذلك بنثر المادة وتنظيفها من المواد الغريبة المختلطة به ، واحياناً تضرب بعصا أو بآلة خاصة ، لتلطيف المادة المراد غزلها وجعلها سهلة للغزل ، وقد تغسل بالماء ثم تنشف وتنظف ، فإذا وجد أن المادة المراد غزلها صارت نقية صالحة للغزل ، غُزلت .

والصوف مادة مهمة ، وخاصة عند سكان البوادي الشرقية من البلاد العسيرية ، فيصنعون منه خيامهم الشهيرة ذات اللون الأسود من شعر الماعز ، وأحياناً يصنعون منه البسط والسجاجيد ، أما أصواف الأغنام فتستعمل في صناعة بعض الفراء أو الألبسة التي يستخدمها الرجال أو النساء ، وكذلك بعض الأثاث الذي يستخدم للدفء أو الجلوس في البيوت .

ومن يستقص توفر الأنسجة في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية ، يجدها لاشك متوفرة بشكل جيد ، لكن أعظمها قد تم استيراده جاهزاً من حواضر شبه الجزيرة العربية الكبرى ، وأحياناً كان هناك العديد من الأنسجة التي تصدر من بلاد الشام أومصر أو مراكز حضارية أخرى فى العالم الإسلامي وغيره . والسؤال الذي يفرض نفسه : - هل كان في منطقة عسير مراكز نسيج تقوم بغزل أو نسج أنواع مختلفة من الأنسجة ؟ والجواب ، هو أن البدو الرحل كانوا يقومون بنسج بيوتهم وأحياناً ألبستهم مما يجمعون من أصواف حيواناتهم ، وربما كان هناك أيضاً من يقوم بنسج أنواع قليلة من الأنسجة ، وخاصة من القطن أو الصوف ، وأحياناً من الكتان وغيره ، ولم يكن هناك مصانع كبيرة تقوم بنسج أنواع جيدة وكثيرة من النسيج[1] .

وأغلب الألبسة والملاحف ومواد النسيج التي كان يستخدمها الفرد العسيري في القديم ، كانت في الغالب مما يصنع أو يدبغ من جلود أو أصواف الحيوانات التي يقوم بتربيتها ، أو مما يتم استيراده من الأسواق الكبرى داخل وخارج شبه الجزيرة العربية .

ولم يقتصر عمل الحائك أو الناسج في إقليم عسير على حياكة الأقمشة ونسجها وحدها ، بل شمل عمل البعض منهم كل شيء ينسج ، مثل البسط ، والسجاجيد ، والحصر ،

---

(١) وربما في الوقت الحاضر ظهر هناك بعض المصانع المتعددة ، والتي من مهمات بعضها العمل مع نسج وصنع بعض الأثاث أو الألبسة والملاحف التي يستخدمها الإنسان في داخل المنزل وخارجه .

شكل رقم (٥٠) : صورة لجزء من أحد الأسواق التي يباع فيها الحبوب والأواني المصنوعة من سعف النخيل



شكل رقم (٥١) : نماذج أخرى لبعض الأدوات المصنوعة من سعف النخيل

والسلال اليدوية وغيرها . وهذه الصناعة لازالت من الحرف المحببة عند بعض سكان الأجزاء التهامية وكذلك عند اهالي بيشة ومن حولهم . وتعتمد في موادها الأساسية على خامات محلية من سعف النخيل أو لحاء بعض الأشجار ، كشجر الدوم والسلم وغيره ، حيث يقوم العامل في هذه المهنة بجمع سعف النخل ، وأحياناً ورق أو لحاء بعض الأشجار ، ثم يشكلها بأشكال متعددة مثل :ـ السلة ، وجمعها سلال ، ويطلق عليها بعض السكان اسم (زنبيل ، وجمعه زنابيل) . والبسط التي يستخدم بعضها لأداء الصلاة عليها ، وهناك احجام اخرى كبيرة من البسط تستخدم كفراش في غرف المنازل ، والمراوح اليدوية . أوما يسمى بـ (المصرفة أو المهفة) عند أهل جازان ومن حولهم . والمجولة التي تستخدم لتحضير وتقديم الطعام فيها ، وأغطية الرأس المعروفة باسم (المظلة) أو (الطفشة) . وقد احترف أيضاً بعض السكان ، وخاصة في المناطق التهامية ، حرفة صنع الحصر و"القل والسرر ، فصنعوها من الخوص ومن سعف النخل ، وصنعها بعضهم من القصب ، وذلك في الأماكن التي تكثر فيها المياه والرطوبة . ومن بعض ألياف الأشجار ، أو جلود الحيوانات تم فتل الحبال المختلفة في النوعية من حيث الطول والقصر ، أو السمك ، أو القوة وغيرها من الصفات . وكان هناك بعض المحترفين الذين يجيدون صناعة ونسج مثل هذا النوع من الحبال .

وهناك حرفة أخرى لها علاقة بالنساجة والحياكة ، هي الخياطة ، وتعني تحويل المنسوجات أو الأقمشة إلى كسوة ، وصنع الثياب والأردية والعمائم بتفصيل القماش وقصه ، ثم خياطته وفق القياس المطلوب ، وقد عرف العسيريون مهنة الخياطة ، لكنها عند أهل القرى والمواطن الحضارية أنشط من أهل البوادي والأرياف . ففي المدن أو القرى الكبرى كان هناك من يمارس الخياطة والتفصيل للسكان من أجل الاكتساب من وراء هذه المهنة ، وكان هناك أيضاً من يمارسها لنفسه وأهل بيته فقط ، وكان يعمل بمهنة الخياطة الرجال والنساء على حد سواء . أما في البوادي وبعض الأرياف فالمرأة كانت أكثر من يمارس مهنتي الخياطة والغزل أو النسيج ، لكن ممارسة حرفة الخياطة عند أهل البوادي كانت أقل وأبسط من ممارستها عند سكان الحواضر وربما يرجع ذلك إلى قلة ما يستخدم من ألبسة عند أهل البوادي ، كما أن تحسن الأوضاع الاقتصادية عند أهل القرى والمدن الحضارية جعلتهم أحسن حالا وأكثر لباساً من أهل الأرياف والبوادي .

كما أن صبغ اللباس ، من العادات التي عرفها العسيريون منذ عهود قديمة ، وكانوا يستعملون في ذلك أصباغاً مختلفة ، بعضها يتم استخلاصه من النباتات ، والبعض الآخر كان يستورد من الحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية ، كمادة النيلة وما شابهها ، وفئة النساء أغلب من يقوم بحرفة الصباغة ، وأحياناً كانت تصبغ الملابس قبل نسجها أو خياطتها ، وهناك من كان يقوم بعملية الصبغ بعد الانتهاء من خياطة اللباس ، وذلك كل على حسب رغبته ، ومن الألوان التي كان يفضل الصبغ بها ، الأسود ، والأزرق الغامق ، وأحياناً الأحمر ، والأخضر ، والأصفر ، وممارسة مهنة الصباغة كانت تمارس بشكل فردي لكل أسرة ، فربة لبيت في كل منزل تسعى إلى صبغ الألبسة لأفراد بيتها ، دون التفكير

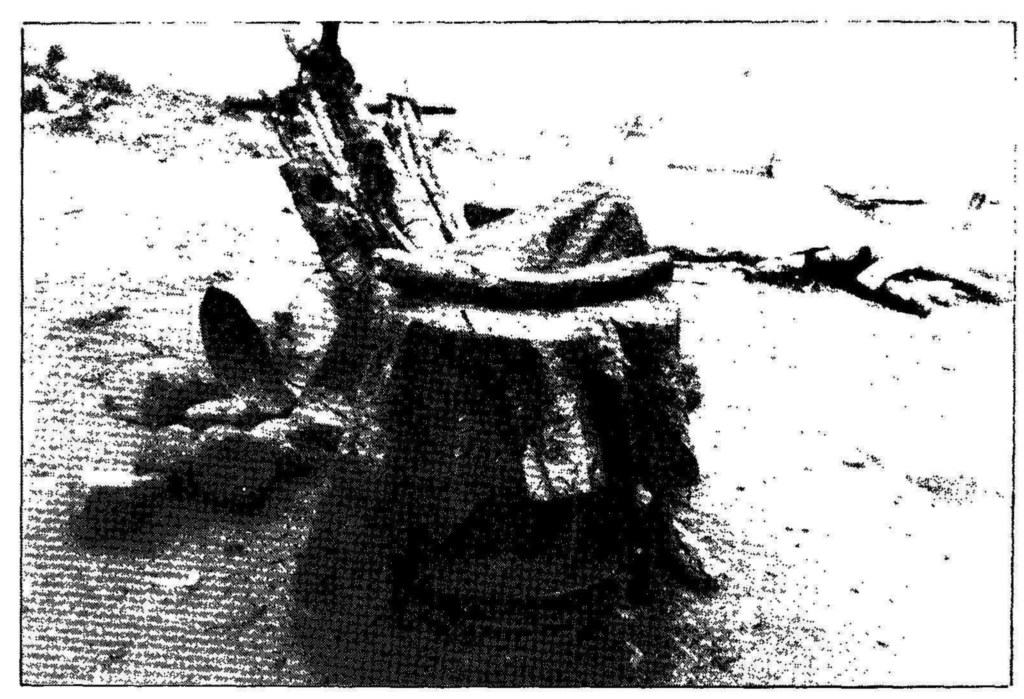
في مزاولة هذه المهنة لكسب الرزق من ورائها ، وإن كان هناك من زاول مهنة الصباغة لهدف تجاري ، فكانوا قلائل ، وغالباً كان تواجدهم في المراكز الحضارية الكبرى ، كالليث ، والقنفذة ، وجازان وصبيا ، وأبها ، وخميس مشيط ، وبيشة ، والنماص ، وغيرها .

و ـ حرف وصناعات أخرى :

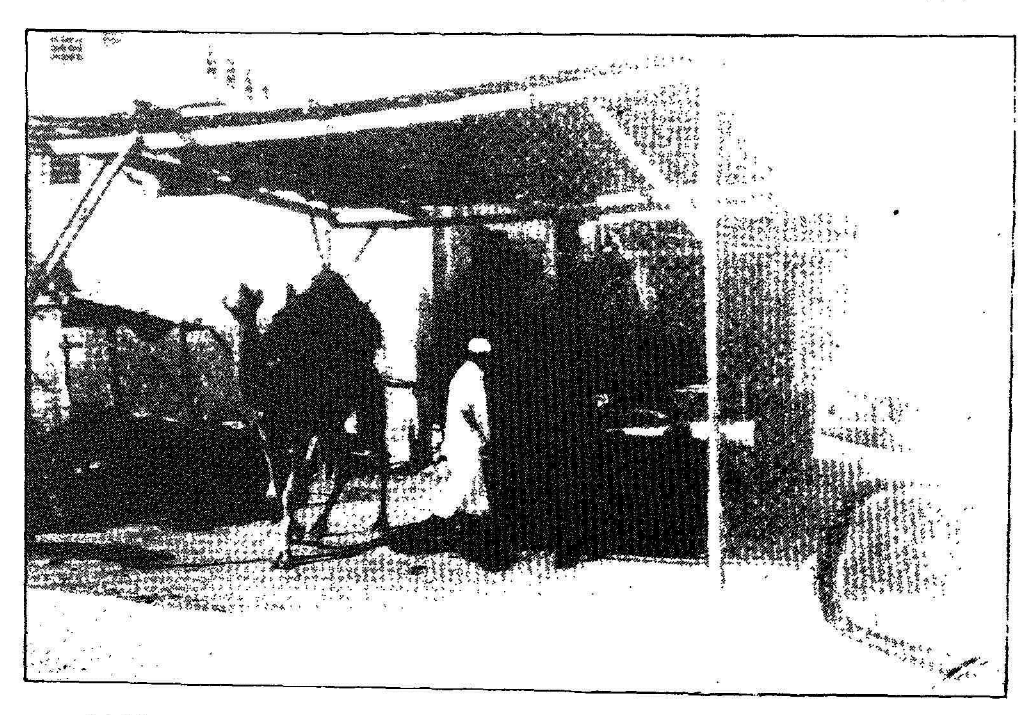
وهناك صناعات وحرف أخرى عديدة ، مثل صناعة القطران الذى يتم استخلاصه من بعض الأشجار المتوفرة في المنطقة ، مثل شجر الزيتون البرى ، وشجر العرعر ، حيث تقطع أخشاب مثل هذه الأشجار ثم تعرض للنار ، ويستخلص منها القطران ، الذي كان يستخدم فى طلاء الأبواب والنوافذ وبعض الأخشاب المستخدمة في المنازل ، كما كان يطلى به بعض الأواني الفخارية ، أو الأوعية الجلدية المستخدمة كأثاث في البيوت . وأحياناً كان يستعمل القطران في معالجة مرض الجرب الذي يصيب بعض الحيوانات ، وخاصة الأبل .

كما عرف العسيريون صناعة بعض الزيوت النباتية (كالسمسم) . ومزاولة هذه الحرفة منتشرة عند سكان الأجزاء التهامية ، وخاصة أهل المنطقة الممتدة من محائل شمالاً إلى مدينتي صبيا وجازان جنوباً . وممارسة هذه المهنة تتم بجمع السمسم ، الذى يطلق عليه أيضاً اسم (الجلجلان) ، فيوضع في إناء كبير مصنوع من الحديد ، وقديماً كان يصنع من الخشب ، ثم يحضر جهاز عصره عن طريق الجهاز الخشبي الذي يعده النجارون المحليون ، فيوضع طرف ذلك الجهاز في الإناء ، ثم يربط بجهاز الجمل الذي يقوم بتحريك ذلك الجهاز بشكل دائري حتى يتم تحويل حبوب السمسم إلى مادة سائلة تعرف عند أهل البلاد بـ (السليط) أو زيت السمسم ، وبالتالي يصبح هذا الزيت صالح للاستخدام كمادة غذائية مع الخبز وغيره من الأطعمة ، وأحياناً كان يستخدم للعلاج ، وقد يدهن به الرجال والنساء رؤوسهم وبعض الأجزاء من أجسادهم . ومن يذهب من القنفذة شمالاً إلى جازان جنوباً يلاحظ البعض من سكان هذه المناطق لازال يمارس مهنة عصر زيت السمسم ، ثم تصديره إلى الأسواق القريبة من مواطن إقامتهم . (انظر الشكل رقم ٥٢ ، ٥٣) .

ومن الحرف الأخرى ، الحلاقة والحجامة ، فكانتا تمارسان بشكل متفاوت عند سكان البلاد فالحلاقة غالباً تزاول عن طريق ولي أمر البيت ، وأحياناً بعض العارفين بمهنة الحلاقة في القرية أو الحي يقومون بمزوالة الحلاقة للصبيان والرجال في قراهم ، ولو أن في بعض الأجزاء التهامية من كان يفضل تربية شعورهم ولحاهم ، ولازالت موجودة عند البعض إلى وقتنا الحاضر . وفي المراكز الحاضرية الكبرى وجد بعض الحلاقين الذين كانوا يمتهنون مهنة الحلاقة كمصدر للرزق . وبعض الحلاقين قديماً كان يمارس مهنة الحجامة ، ولكن الحجامين ، بشكل عام ، كانوا قلة . والحجامة من طرق التداوي التي كان يستخدمها العسيريون قديماً ، ولازال البعض يستخدمها إلى الوقت الحالي ، ومهمة الحجام ، إخراج الدم من الجسم بكميات معينة وفي مواضع معينة وأوقات محدودة ، وقد أقرها الرسول (**صلى الله عليه وسلم**) فى قوله : ـ « **إن كان في شىء من أدو يتكم شفاء ففي شرطة محجم أو لذعة بنار وما أحب أن أكتوي** » . وبهذا فالحجامة لم تكن معروفة



شكل رقم (٥٢)   صورة لآلة عصر السمسم في تهامة عسير



شكل رقم (٥٣) : منظر آخر لأحد الأماكن التي يعصر بها السمسم في تهامة عسير

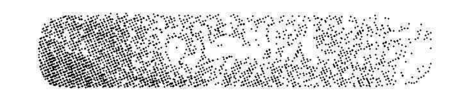
عند العسيريين منذ عهود قريبة وإنما كانت تمارس عند العرب منذ عهود قديمة ، وليس أدل على أهميتها ، وكثرة تداولها من أن البخاري وضع في صحيحه أبواباً تتعلق بالحجامة وهي : (**باب الحجامة من الداء**) و (**باب الحجامة من الشقيقة والصداع**) .

والتجميل والزينة من الحرف التي مارسها السكان ، فالرجل كان يتزين بحلق شعر الرأس ، والتقصير لشعر اللحية والشوارب ، ثم لبس السلاح والتزين به ، وأحياناً كانت توضع أغصان الريحان مع العمامة وفي أكمام الملابس ، وخاصة في أيام المناسبات ، كالأعياد ، والزواج ، والختان . أيضاً النساء كن يتزين بتصفيف شعورهن ، ولبس القلائد الفضية والذهبية ، واستخدام الريحان وبعض العطور الجيدة الرائحة . وفي العهود القريبة كان يوجد ببلاد عسير بعض العطارين الذين يتجولون في القرى والمدن ومعهم أنواع عديدة من العطور ، وأنواع البخور المختلفة ، وبعض أدوات الزينة ، كالأقراط ، والخلاخل ، والخواتم وغيرها ، وقد يجلبون معهم بعض الأعشاب ، أو مواد أخرى عديدة ، مثل (**الحناء**) و (**الكحل**) وغيرها فيبعونها إلى بعض سكان القرى أو المدن التي يزورنها ، والآن صارت هذه المهنة تزاول في الأسواق ، أوبعض المراكز التجارية النشطة ، حيث يكتفي بجمع ما يراد جمعه في مركز تجاري أومكان معين ، يفتح في ساعات معلومة من اليوم ، ليرتاده من يريد الشراء .

وهناك حرف أخرى مثل العمل بالأجر اليومي ، كحمل بعض السلع ، أو العمل في بعض الحرف ، كالبناء ، أو طلاء الجدران وتزيينها ، أو في الحرث والحصاد ، أو الحراسة ، أو في أعمال أخرى عديدة يصعب حصرها ، حيث يعمل فيها بعض سكان المنطقة بالأجر اليومي أو الأسبوعي أو الشهري ، فيكسبون منها رزقهم وما يقتاتون به .

وجميع الحرف والصناعات المشار إليها في الصفحات السابقة وغيرها ، أصبحت قليلة الممارسة ، بل البعض منها اندثر فلم يبق له وجود ، وذلك بسبب التنمية الحضارية التي تشهدها وتعيشها البلاد السعودية ، وحل محل الكثير من الصناعات التقليدية ، الأجهزة والآلات والورش المتطورة ، بل وتم استيراد ما يحتاج إليه المواطن بمبلغ يسير وبدون عناء كبير ، إلى جانب دخل الفرد فأصبح في وضع أفضل من العهود السابقة .

أما الحرفيون ، في الماضي ولازالوا إلى يومنا هذا ينظر إليهم من عامة المجتمع بنوع من التفرقة الاجتماعية ، وبخاصة لدى الطباع والأعراف القبلية ، فمن كان مثلاً يحترف مهنة الخرازة أو الحدادة أو الصباغة وغيرها ، كان ولازال ينظر إليه أنه من طبقة أقل مستوى من غيرها في المجتمع ، فإذا أراد أى فرد صاحب مهنة الزواج بأى فتاة لا تنتسب لنفس المهنة التي يعمل فيها ، فإنه سوف يقابل بالرد القاسي وأحياناً قد يُنهر من قبل بعض أفراد المجتمع ، ومثل هذا الشعور ليس وليد اليوم ، وإنما كان شعوراً سائداً لدى العرب من قبل ظهور الإسلام ، ثم توارثه أغلب سكان شبه الجزيرة العربية ، مع العلم أن مثل هذه النظرة أو المعاملة لم ينص عليها الدين الإسلامى القويم ، وإنما حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على العمل وكسب لقمة العيش بتعلم حرفة أو مهنة معينة دون أن يشير إلى الأوصاف والفوارق التي بين أصحاب المهن وغيرهم .



الحياة التجارية من اهم المجالات التي مارسها العسيريون ، ولإطلاع القارىء الكريم على مدى مزاولتهم لها ، فسوف نناقش في الصفحات التالية ، أهم العناصر مثل : ـ الطرق التجارية البرية والبحرية التي تربط بلاد عسير مع غيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية ، اوبين اجزائها الداخلية ، ثم نشير للمراكز أو الأسواق المنتشرة في أنحاء البلاد ، مع التعرض لأهم السلع المتداولة ، وسيذكر أسعار بعض السلع ، ولن ننسى الحديث عن أساليب التعامل التجاري الذي كان متبعاً عند أهل البلاد ، مع ذكر بعض العملات ، ووحدات الكيل والوزن وقياس الأطوال التي كانت تستخدم .

أ ـ الطرق التجارية :

نظراً لتوسط منطقة عسير بين بلاد الحجاز شمالاً واليمن جنوباً ، وتنوع أقسامها التضاريسية من الأجزاء التهامية إلى السروية إلى المناطق الشرقية البدوية ، كانت هناك طرق برية تربط أجزاء البلاد بعضها ببعض ، وطرق أخرى تربط المنطقة نفسها مع المناطق المجاورة لها في اليمن والحجاز وغيرهما .

والطرق البرية الداخلية في المنطقة كثيرة ، فلا توجد مدينة ، أو قرية أو جزء من أجزاء البلاد إلا ويربطه طريق تصله إلى منطقة أو مناطق متعددة ، بل لا توجد قبيلة أو عشيرة أو حتى بيت إلا ويربطه طريق ، وأحياناً ، طرق عدة تصله بقرى أو بيوت أخرى ، ومن يتجول في إقليم عسير ، ويلاحظ القرى القديمة ومواطن الرعي أو الزراعة يجد آثار العديد من الطرق القديمة التي كانت تستخدم بالأقدام وبمرور المواشي والحيوانات عليها . كما سيشاهد طرقا أخرى تربط الأجزاء السروية بالأجزاء البدوية الشرقية ، أو عقبات تصل بين الأراضي السروية ومنطقة الأصدار ، أو الأجزاء السهلية التهامية فى الغرب[1] ، كعقبات سنان وساقين وشعار وضلع ولم ييكن استخدام مثل هذه العقبات قاصراً على الأعمال التجارية ونقل البضائع ، وإنما كانت أيضاً تستخدم لمرور الجيوش والمعدات الحربية خلال مجيء القوات العثمانية إلى بلاد عسير في القرنين الماضيين[2] .

الطرق التي تربط أجزاء عسير بأجزاء خارج حدودها الجغرافية كانت متعددة ، فهناك طرق تصل بينها وبين القبائل المجاورة لها من الشمال ، كقبائل بلحارث وبني مالك وغيرهما ، وطرق أخرى إلى جهة الجنوب تربطها ببلاد نجران ويام وحواضر اليمن الكبرى ، وطرق إلى الشرق تصل الأجزاء الشرقية من البلاد العسيرية ببعض المناطق الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة العربية ، كالرياض ، والقصيم ، وبلدان الخليج

---

(١) و في وقتنا الحالي اصبحت بعض تلك العقبات طرقاً معبدة تسلكها السيارات في وقت قصير جداً ، ومن أهم هذه الطرق ، عقبة المخواة التي تصل الباحة وما حولها من القرى ببعض المناطق التهامية ، يليها من الجنوب ، عقبة الابناء من بلاد شمران ، فعقبتي سنان وساقين من بلاد بني شهر ، ثم عقبة شعار ، وعقبة ضلع من مواطن قبائل عسير الأساسية ، ثم عقبة الفرشة في بلاد قطحان .

(٢) انظر ، شفيق باشا ، مذكرات سليمان ، ص ٥٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٨٣ ، ١٩٩ ، القحطاني ، موجز ، ص ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

العربي ، وطرق أخرى تصل بين الأجزاء التهامية السهلية وبين الموانىء التي على البحر الأحمر في الغرب . وكانت هناك طريق مهمة ونشطة تربط مدن الحجاز ، مكة المكرمة ، والطائف ، والمدينة المنورة ، وجدة ، بالقنفذة ، ثم النماص ، فتنومة حتى أبها ، أشار إليها سليمان شفيق باشا في مذاكراته التي دونه خلال عمله وخبرته كوال عثماني في عسير من عام (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ـ ١٣٣١هـ / ١٩١٢م) عندما حاول صيانتها وتنشيطها أثناء ولايته في عسير ، يبدو ذلك من رسالة أرسلها إلى الشريف فيصل بك وهو في القوز يطلب فيها المساعدة على تطوير وتحسين تلك الطريق المهمة تجارياً وعسكرياً ، فكان رد الشريف فيصل على تلك الرسالة التي أرسلها سليمان باشا أن قال : ـ « **أما مسألة تأمين المواصلات بين عسير والحجاز من طرق الجبال الذي يمر بأبها وتنومة وبني شهر ... فهو طريق غير صالح لسير القوافل ، وفضلاً عن ذلك فإن القبائل التي تسكن تلك المناطق لم تكن لها علاقة قط بالحكومة منذ خمسة عشر عاماً ، وما برحت في حالة العصيان وإن حمل هذه القبائل على الرضوخ للطاعة تأميناً لذلك الطريق لا يكون إلا بعد زمن طويل واستخدام قوات عظيمة ، زد على ذلك أن جمّالة[1] الحجاز عاجزة عن نقل الأثقال في تلك الخرون[2] الصعبة المسالك وكل ما يمكن لامارة مكة وولاية الحجاز أن تفعلاه هو ايصال المئونة والمهمات إلى عقيق غامد فقط ، فتضطر حكومة عسير إلى تدبير الجمال من جهتها لنقل هذه الأشياء من عقيق غامد إلى أبها** .. »[3] ورد الشريف فيصل بك على طلب سليمان باشا ليس إلا إلتماساً للأعذار ، وذكر العقبات التي كان يواجهها المسافرون على تلك الطريق ، علماً بأنها كانت طريقاً نشطة ومهمة لدى التجار والمسافرين الذين كانوا يتنقلون من عسير إلى الحجاز أو العكس .

ومن الطرق الأخرى المهمة ، طريق يربط الطائف ببلاد زهران وغامد ، ثم بلاد رجال الحجر حتى مدينة أبها ، ويستمر جنوباً تجاه جازان ونجران [4] . وطريق آخر يمتد من الطائف شمالاً حتى بيشة جنوباً ، ثم يتفرع إلى فرعين فرع يتجه إلى مدينة خميس مشيط في بلاد شهران ، وفرع ينحرف جهة الغرب حتى يلتقي بالطريق السروي ، الآنف الذكر ، الذى يمتد من الطائف حتى أبها ونجران وجازان جنوباً . وهاتان الطريقان قد استخدمتا بواسطة جيوش محمد علي باشا أثناء ذهابه إلى بلاد عسير في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، بل واستخدمتا لعبور جيوش محلية وتركية أخرى [5] .

وهناك طرق أخرى داخلية أشار إليها السير كيناهان كورنواليس (Cornwalls) في كتاب : **عسير قبل الحرب العالمية الأولى** ، فذكر العديد من الطرق التي تربط مدينة أبها

---

(١) أي أصحاب الجمال .

(٢) أي الممرات والطرق .

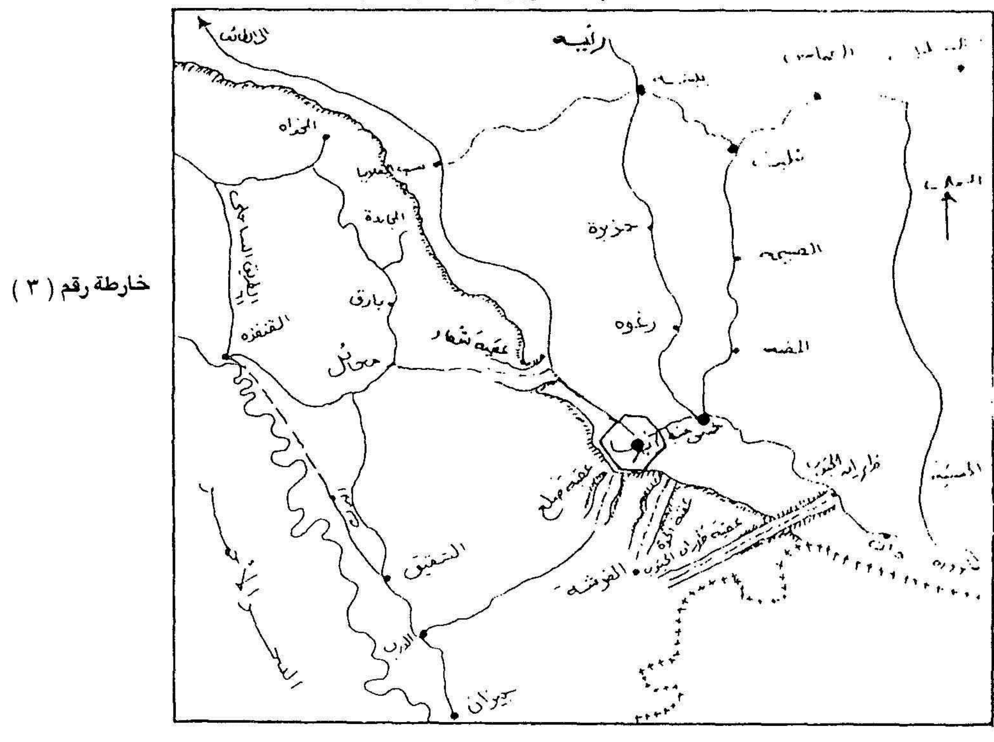
(٣) باشا ، مذكرات ، ص ١٩٠ ، انظر أيضاً ، كتاب بني شهر وبني عمرو خلال القرنين ١٣ / ١٤هـ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

(٤) هذا الطريق من الطرق الرئيسية التي تصل بين اليمن والحجاز ، وهو الآن معبداً بالأسفلت ، ولكثرة الطرق المسفلتة في عسير ، في يومنا الحاضر ، لم نتعرض لشرحها ، لأنه لم تبق هناك قرية أو مدينة داخل عسير أو خارجها إلا وشقت فيها الطرق وسفلتت ، بل وزودت بعضها بالإنارة ، والإشارات المرورية وغيرها .

(٥) باشا ، ص ٨٤ ـ ٨٥ ، ١٨٦ ـ ١٨٧ ، تاميزية ، ص ٦٥٥ وما بعدها .

عقبات عسير واهم محاور الطرق بينها وبين أبها [1]

خارطة رقم (٣)



- ابها عقبة ضلع جيزان
- ابها شعار محائل بارق المخواة طريق الساحل
- ابها محائل القنفذة عن طريق ٦١ إلى طريق الساحل
- ابها خميس مشيط رغوة الجزيرة بيشة رنية
- ابها خميس مشيط نجران السليل
- ابها خميس مشيط المضة الصبخة تثليث الخماسين السليل

(**بصفتها العاصمة السياسية والادارية لبلاد عسير**) مع أجزاء عديدة في المنطقة ، ومن أهم تلك الطرق التي ذكر : طريق أبها الدرب ، وأبها صبيا ، ثم أبها ظهران ، وسماها طريق السلطان ، وطريق أبها بيشة ، وأبها الطائف ، وأطلق عليها اسم طريق السلطان[2] ، وطريق أبها محائل ، مع الاشارة إلى تفرع هذا الطريق إلى فرعين أحدهما يخرج من أبها عبر عقبة شعار ووادى تيه ، والآخر عبر رجال ألمع والشعبين ثم يلتقيان في بلدة محائل ، ولم يكن يكتفي كورنواليس بذكر الطرق التي تربط أبها مع غيرها ، وإنما ذكر عدة طرق أخرى تصل ما بين محايل ، وتنومة ، والقنفذة ، والبرك ، والليث ، والميزة في

---

(١) المصدر : فرع وزارة المواصلات في أبها ـ عسير .

(٢) وهذا الاسم ربما لانها كانت تستخدم كثيراً بواسطة الجيوش ونقل المعدات والموظفين اثناء الحكم العثماني من (١٢٨٩ - ١٣٣٧هـ) .

المعلومات التي حفظ لنا كورنواليس عن بعض الطرق البرية الداخلية في عسير ، أنه لم يكتف بتعدادها ، وإنما ذكر أغلب المحطات الواقعة بين مكان وآخر ، مع الإشارة إلى بعض التفصيلات الاجتماعية والاقتصادية الجيدة ، كذكره لطبقات السكان فى بعض المواقع ، أو أحوال الزراعة أو التجارة ، أو السلبيات أو الايجابيات لكثير من المحطات التي ذكر على طول تلك الطرق التي أورد ذكرها (١) .

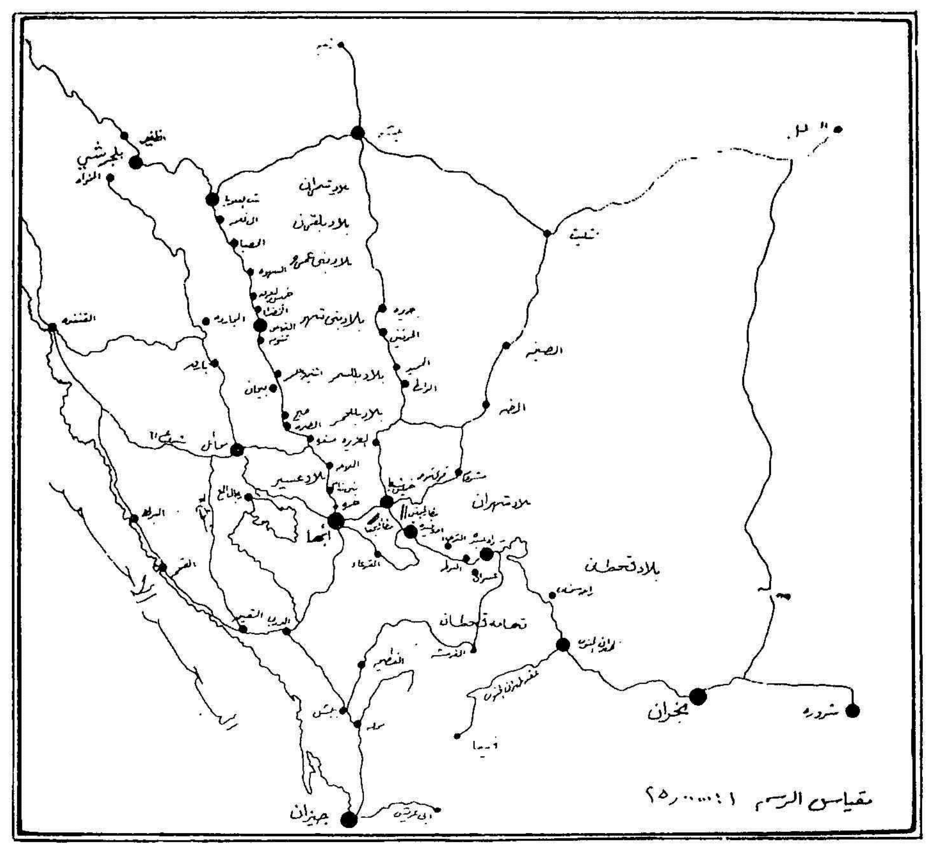
وكون بعض الأجزاء الغربية من إقليم عسير ، تطل على البحر الأحمر ، فكان هناك نشاط بحري بين سكان البلاد العسيرية وبين بعض التجار الذين يأتون من جدة أو عدن ، أو من بعض الموانيء الغربية للبحر الأحمر ، **كسواكن** ، **ومصوع** ، **وعيذاب** وغيرها ، ومن أهم الموانىء التي كانت تطل على ساحل البحر الأحمر من الجهة الشرقية ، وتقع في أجزاء البلاد العسيرية ، ميناء جازان ، والبرك ، والقنفذة ، والليث . وكان إلى الجنوب من ميناء جازان عدد من الموانىء ، مثل : ميناء المضايا ، والموسم ، وميدي ، واللحية ، وكمران ، وربما كان لها اتصالات وعلاقات تجارية بالموانىء المباشرة لمنطقة عسير . ونجد **السيركيناهان كورنوليس** (Cornwalls) يشير إلى استيراد العسيريين للبضائع من البحر فيقول : « **القنفذة ، والبرك ، والشقيق ، وجازان وميدى هي خمسة موانىء تمر منها البضائع إلى عسير ، وتقوم القنفذة بتوريد المواد التركية إلى هناك وإلى أبها ، وأكثر التجارة أهمية هي تجارة الأسلحة والذخيرة ، فالإدريسي له وكلاؤه الخاصون الذين يقومون بجلب المواد إلى جازان مباشرة من جيبوتي ، كما أن قبيلة الزبيد تمون شمال عسير بالبنادق من الرويس بالقرب من جدة ، ولكن الجزء الأكبر من التجارة ، هي في أيدي أهالي رجال ألمع حيث أنهم هم الرواد الأصليون ، ولم يسمحوا بوجود منافسين لهم في وسط وداخل البلاد . فالبنادق مستوردة من الخارج وهناك نوع الموسرز والمارتينز وهما من إيطاليا وروسيا ، حيث دخلت عن طريق جيبوتي . وفي الدرجة الثانية من الأهمية في التجارة تلك المستوردة عن طريق عدن ، فاحتياجات عسير قليلة ومستورداتها قليلة أيضاً . ومن بين المواد الهامة بالنسبة لهم ، القطن ، والحديد ، والسكر ، والأرز وأواني الطبخ** » (٢) ..

---

(١) انظر . Cornwalls, Asir, PP. 107 - 155.

(٢) انظر . Cornwalls, Asir, PP. 12 - 20.

خارطة رقم (٤)



شبكة الطرق البرية الرئيسية في عسير

ب ـ الأســـــواق :

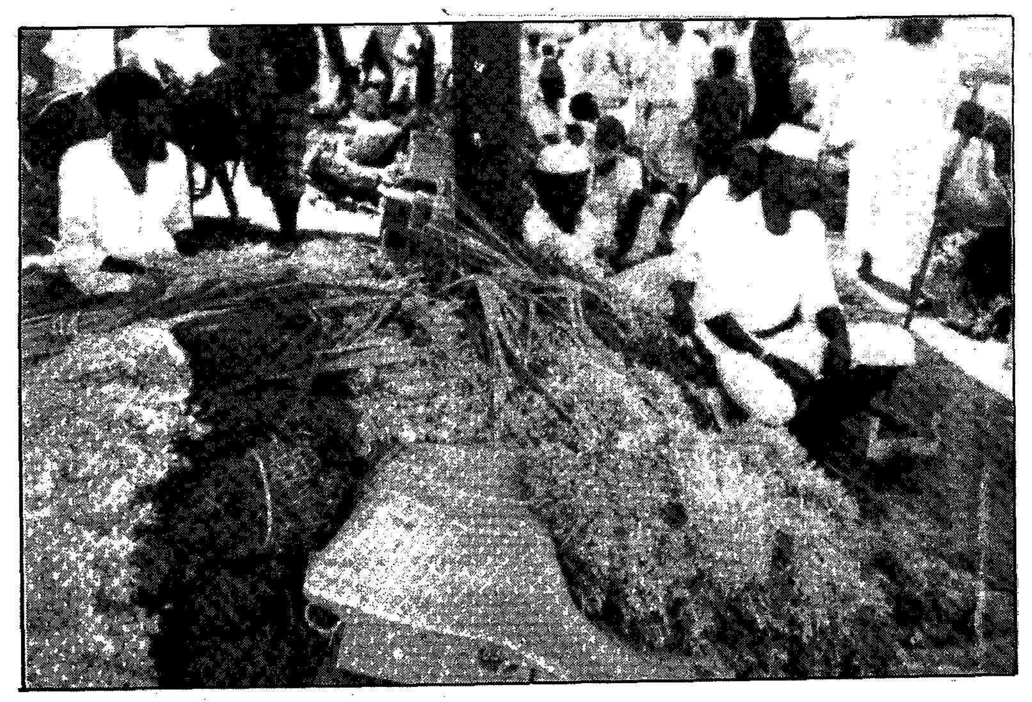
الأسواق في القرون السابقة تختلف عن الأسواق في وقتنا الحالى ، لأن الأسواق اليوم أصبحت كثيرة ، بل صارت متوفرة في كل مكان ، ومفتوحة في جميع الأوقات . أما في الماضى ، فقلة السلع المختلفة ، وعدم توفر العملة التى يتعامل بها الناس ، وانعدام الأمن في أغلب الأوقات ، جعل كل مجموعة قبلية أو عشائرية تعتمد على نفسها فيما تحتاج إليه من ضرورات الحياة ، وبهذا صارت كل قبيلة تقيم أسواقا محلية أسبوعية .

وتعتبر الأسواق الاسبوعية من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية الحية ، حيث كان لكل قبيلة يوماً خاصاً تحدده لسوقها ، وتختار كل قبيلة يوماً مغايراً ، بحيث تصبح كل أيام الاسبوع بمثابة أسواق عامة ، وقد اشتهر كل سوق باسم اليوم الذى كان يقام فيه . وعندما يقترب موعد السوق تجد سكان العشائر والقبائل المحيطة به يتجهون إليه بقوافلهم

المصدر : فرع وزارة المواصلات في ابها ـ عسير ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .



شكل رقم «٥٤» : صورة لأحد الأسواق الخاصة ببيع السرر الخشبية في صبيا



شكل رقم «٥٥» : نموذج لأحد الأسواق الخاصة ببيع النباتات العطرية

ومعروضاتهم . وتتم في السوق عملية المساومة ثم البيع والشراء ، وكانت أهم العروضات الصناعية اليدوية المحلية ، والمواشي ، وبعض المنتجات المحلية ، بالاضافة إلى ما يرد إلى السوق من حبوب ، وتمور ، وفواكه ، وخضروات ، أو بعض البضائع المستوردة من خارج بلاد عسير . والجدير بالذكر أن السوق في عسير كان مكانا لالتقاء الأصدقاء والسماع لأخبار بعضهم البعض ، وكذلك معرفة أحوال الثمار ونزول الأمطار في أماكن متفرقة ، واحياناً السؤال عن الأهل والأولاد ، ومكانا للوعظ والإرشاد والدعاء لنزول الأمطار ، أو مكاناً لاعلان الثأر والانتصارات القبلية ، أو لمدح قبيلة لموقف مشرف فعلته أو هجاء اخرى . وقد تستخدم الأسواق كمكان للمشورة ، وفض المشكلات والمنازعات بين الناس ، بالإضافة إلى تأديب المجرمين والخارجين على الشريعة .

ولكثرة الأسواق الاسبوعية في جميع أنحاء عسير ، فقد أخذت في التلاشى والاندثار ، وذلك بفضل توفر الأسواق الاسبوعية في كل مدينة وقرية وهجرة ، وتوفر متطلبات الحياة بها . ولهذا فعلى المسؤولين في الدولة ، والباحثين والدارسين من أبناء هذا البلد مسؤولية ليست سهلة ، وهى الحفاظ على طابع تلك الأسواق القديمة ، ثم دراسة ما يدور فيها من تعاون وتكاتف ، وتناقل للأخبار ، بل ومعرفة العمق التاريخى لمثل هذا النوع من الأسواق ، وخاصة إذا عرفنا تاريخ أسواق العرب منذ ما قبل الاسلام وحتى القرن الرابع عشر الهجرى . ونجد بعض الدارسين المتأخرين قد أشاروا إلى بعض الأسواق النشطة في عسير خلال القرنين السابقين ، أمثال : **تاميزية** ، **وفيلبى** فقد أشاروا إلى بعض أسواق بلاد شهران ، كخميس مشيط ، وسوق الأربعاء في قرية الروشن ، وسوق الخميس في قرية نمران وكلاهما في بيشة[1] . كذلك **السيركيناهان** نوه إلى العديد من الأسواق في جازان وصبيا ، ورجال ألمع ، وأبها ، وخميس مشيط ، وسراة عبيدة ببلاد قحطان ، وسبت ابن العريف بتنومة من بلاد بنى شهر ، وغامد وزهران[2] . وتعرض فؤاد حمزة ، وعبد الرحمن صادق الشريف لذكر عدد من الأسواق في كل من الأجزاء التهامية والسروية من إقليم عسير[3] . ويشير سليمان شفيق باشا إلى بعض الأسواق ، فيذكر عن سوق السبت في تنومة قوله : «**إنما سميت هذه البلدة - يقصد مركز تنومة - سوق السبت ، لأنه يقام فيها كل يوم سبت سوق عظيم تقصده القبائل من جميع الأطراف لتبيع فيه ما يعرض من الأقمشة والغاز والبنادق الحربية والرصاص**[4] كما أشار السيركيناهان إلى السوق نفسه فذكر بأنه كان مركزاً تجارياً هاماً وخصوصاً للبدو الشرقيين الذين كانوا يرتادونه ومعهم التمور والبلح والخيول والجمال ليبيعوها أو يقايضوا بها في سلع أخرى كالحبوب

---

(١) تاميزية : ص ٦٥٥ وما بعدها

H. Philby. Arabain Highlands, P.30, 36, 114.

(٢) Cornwalls, Asir, PP. 19-20

(٣) انظر عبد الرحمن الشريف ، جغرافية المملكة ، جـ٢ ، ص ٣٣ وما بعدها ، ابن جريس ، بلاد بنى شهر وبنى عمرو ، ص ١١٧ - ١٢١ .

(٤) مذكرات سليمان شفيق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، القحطانى ، موجز ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ . ١٨٢ - ١٨٣

وغيرها (١) . ويشير البركاتي إلى سوق القنفذة فيقول : **وبهذه المدينة سوق عظيم يوجد فيه جميع ما يحتاجه الإنسان من ملبس ومأكل وخلافه ، وتردها أنواع الخضر والليمون ، والموز ، والقطن ، والسمسم ، والعدس ، وما شاكلها من أوديتها ، أما الفواكه فترد لها من جهة ما بين تهامة والحجاز .. وبها ثلاثة حوانيت عظيمة** (٢) ..
وفي مكان آخر يشير إلى وضع السوق في عسير ، فيقول : «**وجميع أهل البلاد لهم أسواق ويجتمعون بها في أيام مخصوصة ، ومن عوائدهم أن كل سوق من أسواقهم يكون حفظه على أهل جهته لمنع اعتداء الحاضرين على بعضهم ، حتى أن القاتل إذا حضر السوق وتقابل معه خصمه لا يستطيع أن يمسه بسوء ، بل يتحادثان مع بعضهما ، وكل في مأمن من الآخر ، فإذا تفرقا ووصل كل إلى وطنه رجعا أعداء كما كانا ، ومن خالف هذه العادة وقتل خصمه ، قتل من قبائل الجهة الموجود بها السوق ، ويكون دمه هدرا ، وهذه المعاهدات المبرمة هي التي جعلت أسواقهم عامرة ، وهي قاعدة قديمة في زمن الجاهلية** (٣) . ومما يؤكد على ما ذكر البركاتي عن مكانة السوق في قلوب العسيريين ، والعمل بكل ما أوتوا من جهد في حمايته من اتخاذه ميدانا للمنازعات ، وتأمين الأمن والحماية لكل من يرد إليه بهدف البيع والشراء ، هو ما استطعنا العثور عليه من وثائق محلية ، عند العديد من القبائل والعشائر العسيرية ، حيث جميعها تنص على بعض البنود التي تعكس تكاتف وتعاون أفراد القبائل التي يوجد السوق على أرضها ، فتحارب الظلم ، والاعتداءات ، وكل ما قد يقلق راحة زبائن السوق ، وأحياناً ، تسطر بعض القواعد والبنود التي تؤكد على توفير الأمن بشكل تام للقادمين إلى السوق ، ومعاقبة من قد يحدث أي فوضى أو اضطراب في أمن السوق . ومن الوثائق التي عثرنا عليها في القرن الرابع عشر الهجري ، وثيقة ، لأحدى العشائر العسيرية ، نصت ، بعد ذكر البسملة والديباجة الأولى في الوثيقة ، على عدد من البنود من أهمها :

١ ـ من تعدى بلسانه في السوق فعليه جلب واحد (٤) .

٢ ـ من تعدى بيده فان كانت صغيرة فجلبين وان كانت كبيرة فبقرة (٥) .

٣ ـ من سرق أى شيء من السوق فعليه جلب وإذا كانت السرقة كبيرة فشورها للقبيلة وللحكومة حقها .

٤ ـ من تغيب عن سبره (٦) ـ من أفراد القبيلة ـ فعليه جلب واحد ، وإذا تغيب أو مرض فيقوم مكانه الذى بعده (٧) .

---

(١) Cornwalls, Asir, PP. 49-50.

(٢) شرف عبدالمحسن البركاتي . الرحلة اليمانية ، ص٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

(٤) أى يقوم بذبح ذبيحة واحدة .

(٥) أى من اعتداء على أحد في السوق بالضرب وما شابهه .

(٦) المقصود بالسبر هنا أي من يقوم بحراسة ومراقبة كل ما يحدث في السوق .

(٧) اى أن ابناء القبيلة يتناوبون في حماية ومراقبة السوق ، فلو أصاب من عليه الدور «للحراسة» شيء عطله عن القيام بواجبه ، فان من يليه في الخفارة يحل محله .

٥ ـ اذا عزم المشتركون في السوق زيادة دكاكين فعلى الجميع بناؤها جميعاً ، ومن تخلف عن العمل فعليه خمسون ريالا يومياً تسلم للقبيلة .

٦ ـ عدم فتح أى دكان بواجهة السوق من مجاوريه مهما كان نوعه» . ثم ختم الوثيقة بالعبارات التالية ـ «وتم الاتفاق على هذه القوانين والمواد الموضحة بعاليه ، وتم التوقيع عليها وتصديقها من قبل شيوخ شملنا ، وبالله التوفيق [١] . ووقع على أسفل الوثيقة حوالى عشرة شيوخ ونواب من العشائر والقرى التي تحيط بمكان السوق . وفي وثيقة أخرى أصدرتها بعض عشائر قبيلة العوامر الشهرية حول سوقهم الأسبوعي الذي يعقد يوم الاثنين ، نصت على الآتى «نقر نحن أعيان بالحصين والنهى [٢] الموقعين أدناه بأن عادة السوق الاثنين أن مقره عند أهل النهى ، وأن بني عبد ملزمون [٣] بما يحدث فيه طول نهار يوم الاثنين ، ولو كان الحادث على المتوجه إلى السوق بعيداً عنه ، والكفلاء على ذلك آل معمع من أهل النهي ، وأهل البردة من بالحصين ، وآل صوفان من ال بهيش ، وهذه عاداتنا [٤] قبل ولاية آل سعود أيدهم الله ، ومن عادتنا أن لا يبني في السوق أحد إلا انسان له ملك معروف خاص مجاور للسوق فلا مانع أن يبنى في ملكه ما يشاء ...[٥] ثم وقع على هذه الوثيقة عدد من أعيان عشيرتي آل النهى وآل بالحصين دلالة على موافقتهم على كل ما ذكر بها .

جـ ـ الصادرات والواردات :

الصادرات والواردات نوعان : نوع بين سكان عسير بعضهم مع بعض ، ونوع بين العسيريين ومن جاورهم ، كما أن هناك صادرات وواردات عبر الطرق البرية ، وأخرى عبر البحر والموانىء البحرية . فأما التجارة الداخلية فأفراد كل عشيرة وقبيلة كانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على انتاجهم المحلي ، فالمزارعون ، مثلا ، كانوا يعملون بجد واخلاص في سقي مزارعهم لكي يسدوا حاجاتهم الذاتية ، وعندما يفيض شيء من انتاجهم يقومون بتصديره إلى الأسواق المحلية في بلادهم ، أو إلى الأسواق الخارجة عن حدودهم الجغرافية ، ثم يحصلون على سلع أخرى مهمة لاستخداماتهم ، ويحذوحذو المزارعين كل أفراد المجتمع أو العشيرة الواحدة ، كل على حسب حرفته التي يزاولها سواء كانت زراعية أو صناعية أو تجارية أو غيرها .

والسلع المتداولة بين سكان عسير كثيرة ، وقد تعرض بعض المؤلفين الأوائل لنشاط بعض الأسواق وما يرد إليها من سلع متنوعة . فذكر تاميزية أهمية بيشة في تصدير التمور إلى جميع أجزاء عسير[٦]. وأشار البركاتي ، والسيركورنواليس (Cornwalls) إلى

---

(١) صورة من هذه الوثيقة ضمن أوراق الباحث تحت رقم (٦١٦) .

(٢) أسماء عشائر من قبيلة العوامر ببلاد بني شهر .

(٣) في الأصل ملزمين .

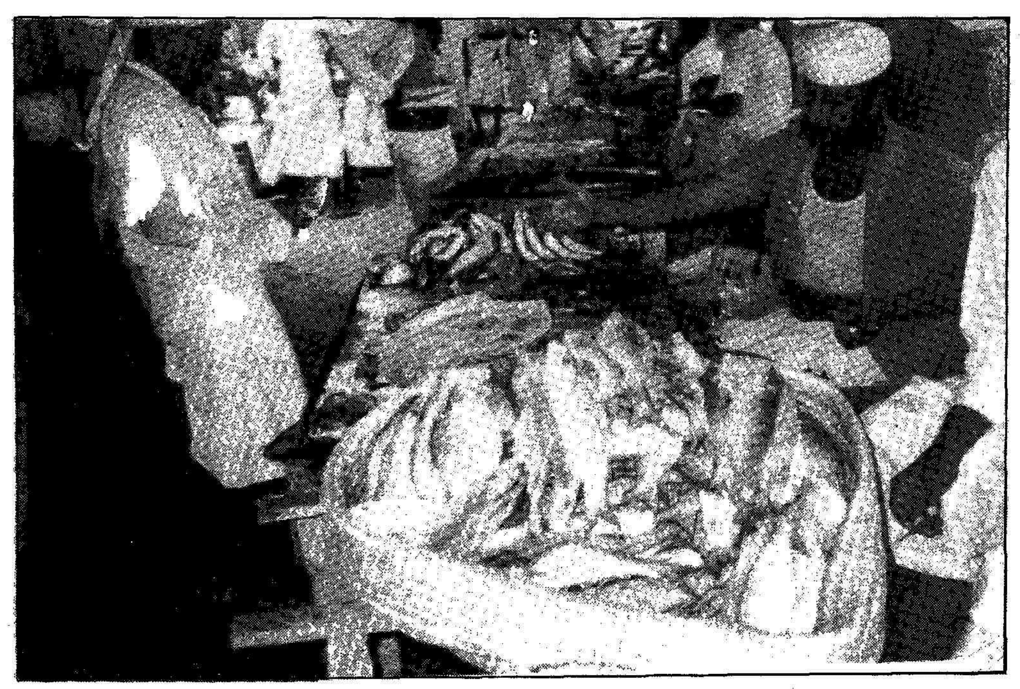
(٤) في الأصل عادتنا .

(٥) صورة من الوثيقة ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٨٨) ، انظر أيضاً ، كتاب بلاد بنى شهر وبني عمرو ، ص ١٢٠ .

(٦) تاميزية ، ص ٦٦٠ ، ٦٦٦ .



شكل رقم «٥٦» : صورة لأحد أسواق الغنم فى إقليم عسير



شكل رقم «٥٧» : صورة لأحد أسواق السمك فى مدينة صبيا

تبادل السلع بين بعض الأسواق . فذكروا أن البدو الشرقيين من بيشة وما حولها ، كانوا يصدرون إلى أسواق بني شهر السروية بعض السلع مثل التمور ، والبلح ، والخيول ، والجمال . وأحيانا كانوا يقايضون بتلك السلع في سلع أخرى مثل الحبوب وغيرها [١]. وقد نوه فيلبي إلى كثرة التمور ، وحبوب الشعير والبن في سوقي نمران والروشن ببيشة [٢]. ويذكر سليمان باشا توفر الحبوب بأنواعها في سوق السبت بتنومة من بلاد بني شهر ، والبنادق ، والرصاص ، والخناجر ، والسيوف ، وبعض الحيوانات كالأغنام والأبقار والحمير [٣]. ويورد كورنواليس معلومات جيدة عن نشاط بعض التجار في المتاجرة ببعض السلع . فيقول : **ومعظم البلح والتمر الوارد من بيشة يجلبه تجار إلى خميس مشيط حيث يذهبون إلى بيشة في أوائل الموسم وهم مزودون ببضائع عامة مثل البنادق والذخيرة والقهوة والأقمشة وغيرها . كما أن تجار صبيا يحصلون على الخيول من قحطان . أما وادعه فهي تنتج الزبيب وترسله إلى خميس عبيدة . وبعد رجال ألمع ، فان أكثر التجار تمرسا في الداخل هم من قحطان وبالأخص رفيدة التي هي جزء من القبيلة** [٤].

أما التجارة الخارجية ، فكان هناك بعض السلع التي يصدرها سكان عسير ، ومن أهمها : سلعة الحبوب حيث كانت متوفرة عند أهل السراة والأجزاء السهلية التهامية من البلاد ، وغالباً تصديرها كان إلى حواضر الحجاز الكبرى ، وبعض أجزاء اليمن ، وأحياناً كانت تصدر إلى الموانىء البحرية ، ثم تنقل إلى بعض الأجزاء الافريقية والآسيوية في العالم . وغنى بلاد عسير بالحبوب لم يكن وليد القرون المتأخرة الماضية ، وانما كان قديما حيث نجد بعض مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة تشير إلى كثرة تصدير الحبوب بأنواعها ، وبخاصة من عسير إلى الأماكن المقدسة في الحجاز [٥]. أيضاً كان يصدر إلى الخارج الجلود المدبوغة وغير المدبوغة ، والتمور ، والسمك المجفف . وخاصة في أيام الحج ، حيث تنشط التجارة والتجار لكثرة الطلب على بعض السلع ، كالمواد الغذائية ، وحيوانات النقل وما شابهها . ويشير كورنواليس إلى تصدير بعض السلع من عسير إلى أجزاء عديدة داخل وخارج شبه الجزيرة العربية ، فيذكر أن السمن والجلود والصوف كانت تصدر إلى عدن ومصوع ، « **والأبقار تصدر إلى المّصوع أثناء عدم إصابتها بالأوبئة** » ، ثم يشير إلى أن تجار حضرموت يتحكمون في معظم التجارة العامة سواء باستيرادها أو تصديرها إلى العالم الخارجي ، وذكر أن الجزء الأكبر من تجارة الأسلحة كانت بيد رجال ألمع ، حيث كانوا من الرواد الأصليين في الأعمال التجارية ، وغالبا كانوا لا

---

(١) البركاتي ، الرحلة ، ص ٢٨١ .Cornwalls, Asir, pp. 49-50

(٢) Philby, Arabain, pp. 29, 30, 36, 114.

(٣) مذكرات سليمان ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) Cornwalls, Asir, pp. 19-20.

(٥) انظر تفصيلات اكثر في ، كتاب اخبار مكة ، للأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٤ .
C.S. Hurgonje. Mekka in the Later Part of the 19th Century. tr. From the Dutch by.J. Monohan (Lieden, 1970) p.50.

يسمحون لأحد بمنافستهم في المناطق الداخلية في هذا المجال (١). وفي القرنين الماضيين لمعت بعض البيوت في مجال التجارة الداخلية في عسير، وامتد نشاطها إلى الخارج أيضا، ومن تلك البيوت بيت **أبو سارحه في القحمة (مرفأ الوسم)** حيث كان أفراده ذوي نشاط تجاري واسع. واشتهر بيت **باصهي** كأكبر بيت تجاري بمدينة صبيا، حيث كان له وكلاء في كافة أنحاء تهامة عسير، وكذلك في عدن. واشتهرت بيوت أخرى عديدة في بلاد قحطان، وشهران، وغامد وزهران، وغيرها. كما اشتهرت العديد من الأسواق الأسبوعية الكبرى التي كان يفد إليها التجار من داخل وخارج عسير لجلب بعض السلع، وقد سرد كورنواليس أغلب تلك الأسواق النشطة، كأسواق بلاد وادعة، وسراة عبيدة، وخميس مشيط، وبيشة، والباحة، والنماص، وتنومة، وأبها، وصبيا، وجازان، والبرك، ورجال ألمع، والقنفذة(٢). وجميع هذه المراكز كانت نشطة بتجار محليين، وكذلك تجار متجولين في أنحاء بلاد عسير وغيرها من البلدان المجاورة.

أما الواردات التي كانت تجلب إلى إقليم عسير، فكانت كثيرة، منها: بعض الأواني المنزلية، كالصحون والقدور النحاسية، وكذلك الفناجين المعدنية أو الزجاجية، والبراريد، ودلال القهوة وغيرها، حيث كان يتم استيرادها من عدن في اليمن، أو مكة المكرمة وجدة في الحجاز(٣). وعن طريق الموانىء البحرية كالقنفذة، والبرك، وجازان، كان العسيريون يستوردون الأسلحة المختلفة، كالبنادق المتنوعة، والرصاص، والسيوف، وبعض الآلات الحربية الأخرى(٤). هذا بالإضافة إلى تجارة الرقيق التي احتلت مكانة بارزة في القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري، والتي كان يتعامل بها كبار التجار حيث يستجلبون الرقيق من سواكن، ومصو، وجيبوتي، وكان ثمن العبد الصغير يقارب من (١٥٠) ريالا فرانسيا، وثمن الكبير حوالي (٥٠٠) ريال(٥). ومن بعض مدن اليمن الكبرى، كان يصدر إلى بلاد عسير، الجلود المدبوغة وغير المدبوغة، والسمن، والصمغ، والخيول، وبعض أدوات الزينة كالخرز، والظفار، وما شابهه، والبن، والقطن، والحديد(٦).

وفي القرن الرابع عشر، وخاصة في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، حدث تطور على التجارة الخارجية من إقليم عسير، وذلك عندما أصدر الملك أمرا في مطلع عام ١٣٥١هـ ينص فيه على ترشيد الأداء المالي في ميناء جازان. وبالتالي تناولت يد الإصلاح الموانىء القائمة في كل من جازان وفرسان، والقحمة، والموسم، وكانت مدينة

---

(١) Cornwalls, Asir, pp. 19–20.
انظر ايضا. مبارك محمد مبارك المعبدي. النظم الادارية والمالية في تهامة خلال الاشراف السعودي (١٣٤٥-١٣٥١هـ/ ١٩٢٦م-١٩٣٢م). (جدة، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ) ص ٨٧-٩٢، ١٨٢-١٨٩.

(٢) انظر تفصيلات اكثر في كتاب كورنواليس، Cornwalls, pp. 19–20.

(٣) انظر تفصيلات اكثر، Cornwalls, Asir, pp. 19–20.
فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م، ص ٣٦٠.

(٤) انظر ايضا، المعبدي، النظم الادارية والمالية، ص ٨٧-٨٨، البركاتي، الرحلة، ص ٧٠.

(٥) المعبدي، ص ٨٨.

(٦) انظر، Cornwalls, Asir, pp. 19–20.

ميدى اليمنية من اهم الموانىء البحرية التي وصل عن طريقها كثير من البضائع الى بلاد عسير[1]. ومن اهم السلع التي كانت ترد إلى موانىء تهامة عسير ، الأقمشة والمنسوجات بمختلف انواعها الحريرية والصوفية والكتانية ، وأدوات الزينة كالكحل والعطور واللبان . والمصوغات الفضية والذهبية ، والتوابل بمختلف أنواعها ، والحلبة والدقيق ، والصابون ، والأرز ، والسكر ، والشاي ، وبعض الحبوب والبقول . ومعظم هذه السلع كانت ترد من موانىء الحجاز أو اليمن ، وأحيانا من موانىء الهند أو مصر والسودان ، أو بعض الموانىء الأخرى والواقعة على الساحل الأفريقي المجاور[2].

د ـ الأسعار والأجور :

دراسة الأسعار في أي زمان ومكان تحتاج إلى جهد كبير من أجل البحث فيها ، أو من اجل دراسة العوامل المؤثرة في ارتفاع وانخفاض سعر السلعة الواحدة ، حيث تقل المادة العلمية المتعلقة بهذه الدراسة في المصادر الأصلية . وبلاد عسير من البلاد التي لازالت بحاجة ماسة إلى مثل هذه النوعية من الدراسات . لذا رأينا لاستكمال الحديث في هذا الفصل ، أن نورد ما استطعنا الحصول عليه من أسعار لبعض السلع في أسواق عسير خلال مدة دراستنا . وما سنورد في السطور التالية قد يفتح الباب لمن يرغب البحث في موضوع الحياة الاقتصادية بحثا مستفيضا ، وحتما سيفيد المكتبة الإسلامية بموضوع شيق وجديد في مبحثه .

أسعار الأراضي والبيوت تختلف من مكان لآخر ، ومن شخص لشخص ، فالأراضي الزراعية التي تسقى بماء الآبار والعيون تكون في الغالب أغلى في أسعارها من الأراضي التي تسقى بمياه الأمطار ، كما أن أسعار أراضي السكن في المراكز الحضارية الكبرى في عسير (كأبها ، وخميس مشيط ، وجازان ، وصبيا ، وبيشة والباحة والنماص ، والقنفذة وغيرها) أغلى من أسعار الأراضي في الأرياف والقرى والبوادي الأخرى ، كما أن أسعار الأراضي بشكل عام كانت رخيصة ، فكان الفرد يشتري بعض الأراضي الزراعية أو السكنية عن طريق المقايضة فيها ببعض الحبوب أو البهائم ، كالأغنام والأبل أو البقر ، وأحياناً ببعض الألبسة كالفراء أو الجباب والعباءات أو أنواع من الألبسة الأخرى ، بينما زادت هذه الأسعار الآن بشكل ضخم وما بين أيدينا من المصادر لا يسعفنا بصورة متكاملة عن حركة أسعار الأراضي والبيوت خلال القرون السابقة ولكن مما تم الاطلاع عليه في بعض الوثائق اتضح لنا أن بعض القطع الزراعية في جازان وبلاد قحطان وشهران ورجال الحجر كانت تباع بأسعار تتراوح من الريال والريالين إلى المئة ريال ، وذلك في الفترة الزمنية

---

(١) محمد بن احمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) جـ ٢ ، ص ٩٦٣ .

(٢) خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز (بيروت : دار العلم للملايين ، د.ت) جـ ٢ ، ص ٥٤٣ - ٥٥٦ . وللمزيد من التفصيلات عن بعض الواردات والصادرات من إقليم عسير ، انظر ، علي أحمد عسيري . عسير ، ص ٣٩٩ - ٤٠٣ .

الممتدة من القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري[١]. وبعد النصف الأول من القرن الرابع عشر لوحظ ارتفاع أسعارها حتى صار البعض منها يباع بالألف والألفين وربما وصلت إلى العشرين والثلاثين ألفا آواخر العقدين السابع والثامن من القرن نفسه[٢].

وقد لوحظ في بعض الوثائق المحلية ، أن هناك من يبيع أرضه الزراعية ويستبقي في حوزته ما بها من أشجار حتى يستفيد منها في بعض أدوات الزراعة ، أو بناء المنازل ، أو مزاولة بعض الحرف اليدوية ، ومن أفضل الأشجار التي كانت تستبقى ، شجر العرعر ، والطلح ، والزيتون ، وما شابه ، وذلك لما لها من أهمية في استخدامه في بعض الأعمال الأخرى . وقد عثرنا على بعض الاتفاقيات التي تعكس بيع وشراء مثل تلك الأشجار وهي خضراء في منابتها ، حيث كان يتم بيع الشجرة الواحدة أو عدة أشجار بشاه واحد ، وربما دفع في الشجرة الريال والريالان والخمسة ريالات ، وأحياناً كانت ترتفع أسعار بعض الأشجار في القرن الرابع عشر إلى المئة والمائتين من الريالات[٣]، وربما تجاوزت ذلك ، وخاصة إذا كانت الشجرة كبيرة ولها ساق وفروع يمكن استخدامها كأبواب ونوافذ على بعض القصور والحصون الكبيرة ، كأعمدة لحمل سقف المنزل أو ما شابه ذلك .

وأسعار المنازل تختلف باختلاف أحجامها وأماكنها ، ونوعية مواد بنائها ، فكلما كانت كبيرة ، وتتميز بموقع جيد ، واستخدم فيها مواد بناء جيدة ، كانت عالية السعر . ولوحظ في بعض الوثائق أن أسعار بعض المنازل في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، والعقود الأولى من النصف الأول من القرن الرابع عشر كانت تتراوح من العشرة والعشرين إلى الخمسمائة ريال[٤]. وقد لا تقتصر هذه الزيادة في أسعار البيوت على ما أشارت إليه هذه الوثائق ، لأن هناك بعض المنازل الجيدة والكبيرة التي كانت أسعارها أكثر بكثير ، وهو ما يؤكده **فيلبي (Philby)** الذي كان شاهد عيان لشراء وبيع بعض البيوت في بيشة في منتصف القرن الرابع عشر ، حيث ذكر أنه عاصر شراء وبيع بيوت تراوحت أسعارها من خمسة الى عشرة آلاف ريال[٥]. وبعد منتصف القرن السابق وحتى الآن تزايدت أسعار المنازل حتى أصبح بعضها في أوائل القرن الحالي يباع بملايين الريالات وذلك لأسباب الطفرة والنمو الحضاري الذي تمر به البلاد .

---

(١) لدى الباحث العديد من الوثائق التي تؤكد صحة ماذكر ، وهي تحت الأرقام التالية (١٣٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨) .

(٢) وثائق في حوزة الباحث تثبت صحة ما أشرنا اليه . وأرقامها هي (٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠) . ومن يستقصي الحقائق بعد العقد الثامن من القرن السابق وحتى الآن يجد أسعار الأراضي قفزت بأشكال عجيبة حتى صارت بعض الأراضي التي كانت تباع بريال في أوائل القرن الرابع عشر ، ربما بيعت مؤخراً بمئات الآلاف او بعدة ملايين ، وهذا الارتفاع في الأسعار يعود إلى توفر الأموال في أيدي الناس وإلى الطفرة الحضارية التي تعيشها جميع اجزاء المملكة العربية السعودية .

(٣) لدى الباحث بعض الوثائق التي تعكس أسعار بعض الأشجار ، وصورها ضمن أوراقه تحت الأرقام التالية (٦٧ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ٣٣٤) .

(٤) بعض الوثائق لدى الباحث تؤكد صحة ما ذكرنا ، وأرقامها لديه (١٧٢ ، ٨٦٢ ، ٨٦٥)

(٥) Philby, Arabain, pp. 115, 137.

اما اسعار الاطعمة فكانت تتأثر بالأمن والرخاء وهطول الأمطار ، فعندما تتوفر مثل هذه العوامل ترخص اسعار الأطعمة ، وإذا حدثت أمور مناقضة لذلك كالحروب والجفاف وغيرها ، ترتفع الأسعار ، وربما تنعدم الأطعمة من الأسواق ، ولا يستطيع أن يجد الناس ما يأكلون . فيذكر لنا **ابن بشر** في حديث عن الأسعار في بلاد عسير عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠هـ ، فيشير إلى أن الأسعار رخصت فبلغ البر ثلاثة عشر صاعا بريال ، والتمر سبع وثلاثون وزنة بريال ، مع العلم أن هذه السلع وغيرها كانت ذات أسعار عالية عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م[1]. ويشير مصدر آخر إلى أن رابعة اللوبيا بيعت بقرش في العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري ، ثم انخفض سعر هذه السلعة في عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م فبيع المدان بريال ثم ثلاثة أمداد بريال وبقيت هذه الأسعار لمدة سنتين[2]. ويصف **عبد المحسن البركاتي** المعيشة وأسعار بعض السلع في بلاد عسير أثناء ذهابه مع جيش الشريف حسين بن علي (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) الذي سار من الحجاز إلى أبها لفك الحصار الذي ضربه الادريسي على الوالي العثماني هناك . فذكر أن سعر الدجاجة الواحدة بأسواق القنفذة كان قرشان مصريان[3]. ويضيف تفصيلات أكثر عن حركة الأسعار في بعض الأجزاء التهامية ، كالقنفذة ، وتهامة بني شهر ، ومحائل ، فيقول : « ... **ومن كثرة الحبوب بها تباع بثمن زهيد فكل خمسة عشر مدا من الحب تساوي من الثمن بمعاملاتهم ريالا (أبو طيرة) ، وقيمته عشرة قروش مصرية ، والمد اليمني يبلغ وزنه ثلاث أقيات على الأقل ، فيصير كل خمسة و أربعين أقة من الحب بعشرة قروش مصرية** »[4]. ويورد أيضا أسعار بعض الحبوب في أسواق تنومة ببلاد بني شهر ، فيقول : « ... **وثمنها عندهم رخيص جدا فكل تسعة أمداد من البر بريال ، وكل ثلاثة عشر من الشعير بريال ، وكل ثمانية أمداد من العدس بريال** ... »[5]. وهذه الأسعار لهذه السلع كانت عالية لأنه كان أردب واحد من البر بثلاثة ريالات ، وأردبٌ من الشعير والعدس بريالين[6] . وفي مكان آخر يذكر البركاتي عنوانا جانبيا سماه « **أسعار المواد الغذائية في أبها** » فتحدث عن الفترة التي حاصر فيها الأدريسي أبها ، وكيف ارتفعت الأسعار بها ، ثم انخفضت بعد فك الحصار عنها ، فيقول : « **وفي وقت دخولنا ـ يقصد أبها ـ هطل المطر من السماء بكثرة ... وفي اليوم التالي من دخولنا حصل الرخاء في الأسعار ، وأتت وفود العربان من جميع الجهات ، ومعهم الأرزاق بكثرة ، وكان المد من البر وهو أقتان قد بلغ ثمنه قبل دخولنا بيوم جنيهاً عثمانياً ، وريالا فرنسيا ، وكان قمع السكر**

---

(١) عثمان بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد (القاهرة ، ١٩٧٣م) جـ ١ ، ص ١٣٥ ، ١٥١ . انظر ، جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٢٣ .

(٢) انظر ابو داهش ، الحياة الفكرية الأدبية ، ص ٣١ ، جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٢٣ .

(٣) البركاتي ، الرحلة ، ص ٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٨١ ، إبن جريس ، بلاد بني شهر ، ص ١٢٣ .

ثمنه جنيهان ، وثمن الشاه أربعون ريالا ، والتنكة من السمن بجنيه ، وأقة الدخان بريالين ... [1] ويشير إلى رخص الليمون في بيشة ، فيذكر أن ثمن المائة حبة قرش واحد [2]. وعن البلح يشير إلى رخصه ، حتى أن القنطار ، الذي يزن أربعين آقة ، كان يباع بخمسة عشر قرشا [3]. وفي بعض أجزاء بلاد عسير السروية ، وفي أوقات نزول الأمطار كان يباع الاثنا عشر فرقا بريال [4]. وفي بعض فترات القرن الثالث عشر ، تذكر بعض الوثائق بيع كميات من الطعام بأسعار معينة ، كان يقال (**أخذ الرجل دقيقا وسمنا وعليقا للحيوانات بخمسة ريالات**) [5]، وبهذا المصطلح لا ندري عن مقدار الكمية لكنها ربما تكون كثيرة بمقدار الخمسة ريالات ، وخاصة إذا كانت البلاد تمر برخاء وحياة آمنة . وفي بعض سنوات الثلث الأول من القرن الرابع عشر ، اشتد الجفاف وقلة الأمطار على البلاد ، فبيع مد الحب الواحد بريال [6]. وفي العقد الرابع وبداية العقد الخامس من القرن نفسه نجد **فيلبي (Philby)** يدون بعض الأسعار في منطقتي خميش مشيط وبيشة ، فيذكر أن سعر اربعة الأكياس من التمر كان يتراوح من الريالين ونصف الريال فرانسه إلى ثلاث ريالات ، والستة والسبعة أصوعة من القمح بريال واحد ، واثنا عشر صاعا من الشعير ، أو صاع من القهوة بريالين ، والثلاثة أصوعة من القشر (**قشور البن**) بريال واحد ، أما السمن فكانت الصفيحة ذات الأربعة جالونات بسبعة ريالات [7]. وفي موقع آخر من كتابه **(Arabain highlands)** يشير إلى بعض الأسعار في أسواق بيشة عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) فيذكر أن سعر كيس الأرز كان يزن (٢٢) صاعاً يساوي (٢١) ريالاً ، وكيس السكر الذي يزن (٩١) رطلاً يساوي (٩) ريالات وصفيحة السمن التي تزن (٣٧,٥) رطلاً تساوي (٢٥) ريالا [8].

وما ينطبق على الأطعمة كان أيضاً ينطبق على الألبسة ، فالكثير من الأقمشة ، والألبسة المختلفة يتم جلبها من أسواق الحجاز واليمن ، وذلك بمقايضتها مع بعض السلع الأخرى ، كالحبوب الكثيرة التي كانت تصدر من بلاد تهامة والسراة إلى الأسواق الكبرى من شبه الجزيرة ، أو بعض الحيوانات ، كالأغنام والأبقار والجمال التي كان يصدرها العسيريون إلى مكة المكرمة وما حولها أثناء أداء فريضة الحج . كما كان هناك بعض الألبسة التي تباع وتشترى بقرش أو قرشين ، وربما عشرة قروش ، وخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، وأنواع من الألبسة الفاخرة ، كالجباب ، والأردية ، والعباءة ، والشملة وغيرها كانت تباع بمبالغ أعلى فربما تصل أسعار بعضها في تلك الفترة

---

(١) البركاتي ، المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .
(٤) انظر جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٢٣ .
(٥) انظر عبدالمنعم الجميعي ، عسير خلال قرنين ، ص ٣٨٠.
(٦) وثيقة ضمن أوراق الباحث تحت رقم (٧٥١).
(٧) Philby, Arabain, p.137.
(٨) المصدر نفسه p.38

إلى العشرة والعشرين ريالا ، وربما تكون أكثر من ذلك ، لكن لا يستطيع الحصول عليها إلا المقتدرون ماديا كالأمراء ، والتجار وغيرهم من الأغنياء .

ومهور الزواج لا تدخل تحت مظلة الأسعار ، لكن الزواج في حد ذاته يكلف بعض المال ، ويحتاج إلى بعض النفقات ، ومما أشرنا اليه في فصل الحياة الاجتماعية من هذا الكتاب ، وفي مؤلفينا (**بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين ١٣هـ/١٤هـ**) و (**صفحات من تاريخ عسير**) **الجزء الأول** ، لاحظنا تباين مقدار المهور من عشيرة أو قبيلة لأخرى ولاحظنا في العصور السابقة من كان يغالي في نسبة المهور أثناء تزويج بناتهم أو أخواتهم .

كما لوحظ أن الكثير من العشائر في الديار العسيرية سعت إلى محاربة غلاء المهور ، وذلك بايجاد قواعد واتفاقيات فيما بينهم يسعون من ورائها إلى ابقاء المهور يسيرة وفي متناول محدودي القدرة المالية ، إذا ما قدموا على الزواج . وباستقصاء واقع الحياة عند أهالي

عسير خلال القرون السابقة ، وجدنا أن المهر في القرون السابقة على النصف الأول من القرن الرابع عشر كانت قليلة ، فأحياناً كان راغب الزواج يدفع مقداراً قليلاً من الحبوب ، أو قطعا بسيطة من الألبسة ، أو القيام ببعض الخدمات لولي أمر البنت التي يراد الزواج منها ، أو أن يدفع الرجل مقداراً بسيطاً من المال ، عشرة القروش ، والريال والريالين ، وربما وصلت إلى العشرة والعشرين والثلاثين ريالاً ، ومع مرور الزمن وتقدم السنين ، ارتفعت مقادير المهور حتى وصلت في النصف الثاني من القرن الرابع عشر إلى عشرات بل مئات الآلاف ، ناهيك عما يصاحب مناسبات الأعراس من مظاهر الترف والبذخ في الأطعمة والأشربة والألبسة ، وما شابه ذلك ، وإمارة عسير ، وعلى رأسها صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** ، سعت إلى تقييد مقدار المهور ، فأصبحت منذ أوائل القرن الحالي أربعين ألف ريال سعودي يدفعها الزوج لمخطوبته أو ولي أمرها ، وهي تكفي تكاليف للزواج وهذا قرار حسن ، لكن البعض من سكان إقليم عسير لا يتقيدون بما أصدرت الامارة في البلاد ، وإنما الجشع يذهب بهم إلى أن يطلبوا مبالغ كثيرة يثقلون بها كاهل الزوج الجديد في حياته الزوجية .

والجواري والعبيد كانوا من السلع التي تباع في أسواق عسير ، وكان يتم استيرادهم من اليمن أو الحجاز ، أو بعض الأجزاء الأفريقية . ولا نملك صورة واضحة عن أسعار الجارية الواحدة أو العبد الواحد عبر القرون الماضية ، مع العلم أن كل جارية أو عبد له مواصفات ومزايا معينة ، فكلما كان العبد يتمتع ببنية قوية ، أو بمميزات تعود بالنفع على سيده ، فمن المؤكد أن سعره يكون أعلى من عبد ضعيف البنية . وكذلك الجواري من النساء لهن مواصفات ومزايا متعددة فكلما كانت الجارية ذات جمال أو تكون لها خبرات في مهن معينة تفيد بها سيدها ، فمن المعلوم أيضا أن سعرها أعلى من أخرى أقل جمالا أو خبرة في الحياة . وتورد بعض المصادر معلومات عن متوسط أسعار العبيد الصغار في الثلث الأول من القرن الرابع عشر ، حيث كان حوالي المئة والخمسين ريالا فرنسيا ، وثمن العبد

الكبير حوالي الخمسمائة ريال[١]. ويذكر **فيلبي** أن أسعار بعض العبيد والجواري كانت حوالي خمسمائة ريال ، وأحيانا كانت تصل إلى الألف ريال[٢].

وعن أسعار بعض الحيوانات تشير بعض الوثائق في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر ، كالأحصنة فتذكر أن أسعارها كانت تتراوح من الألفين إلى الثلاثة آلاف قرش عثماني ذهب[٣]. ويذكر البركاتي إلى أن سعر الشاه الواحدة أوقات الغلاء في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري وصلت إلى الأربعين ريالا[٤]. ومصدر آخر ينوه إلى أسعار بعض البهائم في منتصف القرن السابق ، وخاصة في الأجزاء السروية من بلاد عسير ، فيذكر أن الواحدة من الغنم كانت تباع بثلاثة ريالات ، والبقرة أو الثور بعشرين ريالا ، والجمل بأربعين ريالا [٥] ويشير **فيلبي (Philby)** إلى أسعار بعض الحيوانات في بيشة فيذكر أن الجمال كانت تباع هناك بالمزاد ، وتتراوح أسعارها من العشرين إلى الثمانين ريالا ، والغنم من ريالين إلى ثلاثة ريالات ، ويورد أيضا مشاهدته لبيع ثور كبير بأربعة عشر ريالا فقط[٦]. وفي القديم كانت الوسيلة لنقل السلع والأغراض من مكان لآخر تعتمد بالدرجة الأولى على الحمير والجمال ، وهناك من كان يؤجر دوابه لنقل المسافرين أو البضائع من مكان لآخر مقابل قدر من المال يعطى ، وأحياناً كان أصحاب الدواب أنفسهم يذهبون مع دوابهم أثناء النقل ، وبالتالي يكون المبلغ الذي يجنى أكثر من لو أجرت الدابة فقط ، ويقيد النقل والاجارة المسافة التي يجب قطعها ، وحمولة الأغراض التي يجب حملها ، فيذكر إن **الشريف حسين بن علي** استأجر ألفاً وخمسمائة جمل لمدة أربعة أشهر ، أثناء ذهابه إلى أبها لفك الحصار عنها من الادريسي ، وكان أجرة كل جمل خمسة عشر جنيهاً عثمانياً ، غير أننا لا ندري هل هذه الأجرة تقتصر على تأجير الجمال من قبل أصحابها ، أم أنها تشمل الجمل وصاحبه معه [٧]. ويشير **فيلبي** إلى أن أجرة الجمل الواحد من رنية أو الخرمة إلى بيشة كانت تتراوح من ريالين إلى ثلاثة [٨].

وكما لاحظنا في الفصل السابق ، فقد كان التعاون والتآزر من العادات السائدة بين أفراد المجتمع ، إلا أن هناك من يقوم بمساعدة الآخرين مقابل أجر يدفعه له صاحب العمل ، مثل المساعدة في بناء المنازل ، وزراعة وري المزارع ، ومهن أخرى عديدة ، وأحياناً يكون الأجر مواد عينية ، كالحبوب وبعض الأطعمة أو الألبسة ، أو أدوات أخرى يحتاجها

---

(١) مبارك الحرشني المعبدي . النظم المالية والادارية في تهامة عسير ، (جدة ، ١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ) ص ٨٨.

(٢) Philby, Arabain, p.37.

(٣) وثائق ضمن أوراق الباحث تحت الأرقام التالية (١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤) انظر أيضا ، مجموعة وثائق منشورة في كتابنا (صفحات من تاريخ عسير) الجزء الأول ، وبخاصة في المقالة الرابعة من الكتاب نفسه .

(٤) البركاتي ، الرحلة ، ص ١٢٣.

(٥) Philby, Arabain, p.137

(٦) المصدر نفسه ، p.116

(٧) مذكرات سليمان شفيق باشا ، ص ٧٤. ونميل الى الرأي الأخير ، وهو استئجار الجمال وأصحابها ، وذلك لعدم معرفة الشريف حسين ورجاله بالدروب والمسالك التي تتخلل إقليم عسير ، وبالتالي سيكسب من أولئك الجمالين بعض المعارف كالاهتداء بهم في عبور الطرق ، وكذلك نقل معداته وأمتعته من الحجاز إلى عسير .

(٨) Philby, Arabain, p.116

بات الأجير . وأحيانا أخرى يدفع له صاحب العمل باليوم ، أو الأسبوع أو الشهر . أو بعد الانتهاء من العمل الذي يتم الاتفاق عليه بين العامل وصاحب العمل . والأجرة اليومية التي تعطى لبعض العمال في القرن الثالث عشر ، وأوائل القرن الرابع عشر كانت قليلة فلا تتجاوز قرشا أو قرشين . وأحيانا ترتفع إلى الخمسة والعشرة قروش ، مع العلم أن الأعمال المقابلة لهذه الأجرة تأتي في مصاف الأشغال الصعبة ، كرفع الأحجار أو الطين في بناء المنازل ، أو زراعة وحصاد الثمار ، وما شابه ذلك من الأعمال التي تحتاج إلى جهد كبير ، وفي العقود الوسطى والأخيرة من القرن الرابع عشر ، ارتفعت الأجرة اليومية ، حتى أصبحت تتراوح من العشرة والعشرين إلى الثمانين والمائة ريال .

وعن رواتب موظفي الامارة أو الدولة ، والمشائخ والعلماء وغيرهم ، وخاصة خلال القرون السابقة من الثلث الأول للقرن الرابع عشر الهجري[1] ، فليس لدينا معلومات وافية لرسم صورة كاملة عنها ، علما بأن هناك بعض الوثائق التي تشير لبعض رواتب العاملين في عسير اثناء الحكم العثماني (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م - ١٣٣٧هـ/١٩١٨م) . ففي وثيقة مؤرخة في شهر شعبان عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) ، ومرسلة من والي عسير إلى شيخ مشائخ بني شهر ، يقول فيها ، « **ونظراً لحسن خدمتكم وصداقتكم للدولة العلية فقد عيناكم ضابطاً للجيش الاسلامي بمعاش خمسمائة قرش شهرياً ... ويدفع لكم المعاش شهرياً اعتبارا من ابتداء شهر أغسطس ، ١٣٢٨هـ**»[2] . «**أما رواتب بعض العلماء خلال العقدين الأولين من القرن الرابع عشر فكانت حوالي مائتي قرش عثماني**»[3] . **أما القضاه فربما كانت** رواتب بعضهم عالية ، ويذكر لنا سليمان شفيق باشا أن راتب قاضي عسير في فترة ولايته على امارة عسير (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م - ١٣٣١هـ/١٩١٢م) كانت خمسين جنيها عثمانيا[4] . ويشير **فيلبي (Philby)** إلى رواتب بعض الأمراء في المراكز الحضارية الكبرى ، كجازان ، وأبها ، ونجران ، فكانت حوالي ألف وستمائة ريال ، وأحيانا كانت حوالي ثمانين جنيها[5] .

هـ - العملات :

عملية المقايضة كانت الأداة الرئيسية في البيع والشراء بالأسواق المحلية في إقليم عسير ، فمرتادوا الأسواق يأتون ببعض السلع التي يستبدلون بها سلعا أخرى يحتاجونها في حياتهم المعيشية . أما العملات فلم تعرف بلاد عسير عملة خاصة سكت فيها أثناء

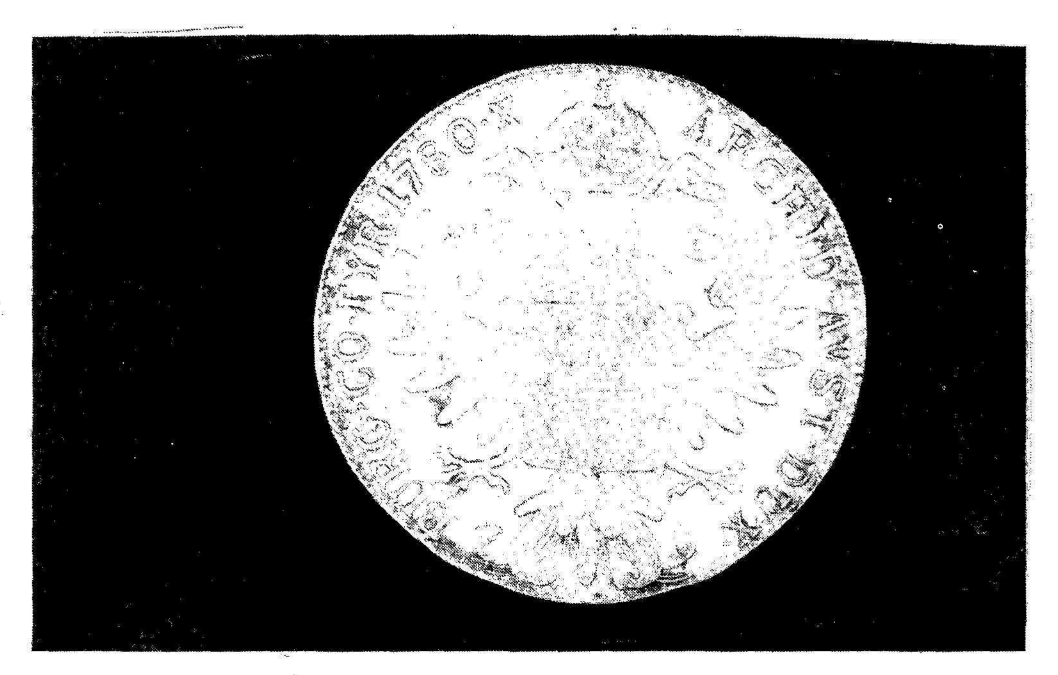
(١) بعد أن انضمت بلاد عسير إلى حكومة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، ثم تدفق البترول في البلاد السعودية ، عم الرخاء جميع انحاء البلاد . وبالتالي تحسنت الأوضاع الاقتصادية وانخرط الكثير من السكان في الوظائف الحكومية ، سواء كانت عسكرية أو مدنية . وبالتالي صار الكثير من السكان يستلم رواتب شهرية وليس في استطاعتنا أن نناقش في هذا الكتاب الرواتب أو الاجور . أو الاسعار في عهد الحكومة السعودية الحالية حيث أن الحديث في مثل هذه المواضيع يحتاج إلى عدة مجلدات ، وقد تدرس من قبل بعض الباحثين في المستقبل بإذن الله .

(٢) صورة من هذه الوثيقة ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٩٠) ، انظر ايضا كتابنا . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٢٤ .

(٣) مذكرات سليمان شفيق . ص ٤٩ .

(٤) المصدر نفسه . ص ٤٥ .

(٥) Philby, Arabain, p.479.



شكل رقم (٥٨) : صورة لعملة معدنية تمثل ريال (ماریاتریزا) النمساوي



شكل رقم (٥٩) : صورة للوجه الآخر من الريال (الماریاتریزا) النمساوي

الامارات والحكومات التي قامت فيها قبل عهد الدولة السعودية الحالية[1]، وانما كانت هناك بعض العملات المتداولة ، والمسكوكة في مصر ، أو بعض المراكز الكبرى في الدولة العثمانية ، او في اوربا وغيرها من اجزاء العالم . ومن تلك العملات ، ريال (**مارياتريزا**) الذي عرف محلياً باسم الريال الفرانسة ، وقيمته ، في بعض الأحيان ، اثنا عشر قرشاً عثمانياً . وهو عبارة عن قطعة نقدية من الفضة ، ضربت في النمسا عام (١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م)[2]. وعرف من هذا العملة فئة أبو طاقة وقيمته عشرون قرشاً[3]، وكان هناك بعض الريالات الفرانسة المسماه بـ (**أبي طيره**) وهو يعادل عشرة قروش مصرية[4]. والى جانب ريال الفرانسة عرفت بعض العملات الأخرى ، وخاصة خلال القرن الثالث عشر ، وبداية القرن الرابع عشر الهجريين مثل ثلث أبو حوته ، المصنوع من النيكل وقيمته قرش واحياناً نصف قرش تركي[5]. وبعض العملات التركية الأخرى **كالبارة** ، والقرش التركي الواحد والقرشان ، والربع المجيدية[6] (**وتساوي خمسة قروش**) ونصف المجيدية (**وتساوي عشرة قروش**) ، والريال المجيدي (**ويساوي عشرين قرشا**) والليرة الذهبية (**وتساوي مائة وعشرة قروش تركية**)[7]. ومن العملات التي عرفها العسيريون قبل ظهور الدولة السعودية الحالية الروبية الهندية حيث كانت من أهم العملات التي عرفها سكان الأجزاء التهامية في عسير ، وجميع العملات المعدنية عرفت عند بعض سكان السواحل باسم (**البقش**) [8].

كذلك انتشر عند العسيريين الجنيه الانجليزي ، وكان يعرف محليا باسم (**أبو خيال**) ، ويرغبه السكان أكثر من العملات الأخرى ، وقيمته تساوي مائة وعشرين قرشاً تركياً . وعرفت قطع أخرى ، وتم تداولها وتسمى (**الآنا** ، **Anna**) سواء أكانت ذات وحدة واحدة أو وحدتين ، وعرفت بـ **(One Anna)** أو **(Two Anna)** ، ويطلق عليها أيضا اسم (**أبو صرة**) وقيمتها قرش تركي وقرشان على التوالي[9].

وفي عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله) ، رغب أن تصبح للبلاد عملة خاصة بها ، ففي البداية بقيت العملات السابقة تستخدم إلى جانب المقايضة

---

(١) انظر تفصيلات اكثر عن الامارات والحكومات التي حكمت بلاد عسير خلال القرون السابقة للثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري . عسيري ، عسير ، ص ١٢٣ ومابعدها ، محمود شاكر ، عسير ، ص ١١٣ ومابعدها ، الجميعي ، عسير خلال قرنين ، ص ٢٠ ومابعدها ، ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ٤٣ - ٧١.

(٢) انظر عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم . الدولة السعودية الأولى (القاهرة ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ص ٢٥٠ . Cornwalls, Asir, p.21

(٣) عسيري ، عسير ، ص ٤٠٧، وللمزيد من التفصيل عن تلك العملة ، انظر ، محمد علي مغربي (ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز خلال القرن الرابع عشر الهجري) ، ص ١٦١ - ١٦٣.

(٤) البركاتي ، الرحلة ، ص ٨١.

(٥) عسيري ، المصدر السابق ، ص ٤٠٩ ، Cornwalls, Asir, p.21

(٦) نسبة الى السلطان عبدالمجيد الأول ابن محمود الثاني الذي تولى دولة بني عثمان من (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م - ١٢٧٨هـ/١٨٦١م).

(٧) Cornwalls, Asir, p.21-22.

(٨) المعبدي ، النظم الادارية والمالية ، ص ٩٣.

(٩) المصدر نفسه ، عسيري ، المصدر السابق ، ص ٤١٠ Cornwalls, Asir, p.21-22.

بين الناس ، وكان الجنيه المصري الذهبي أعلى العملات قيمة في ذلك الوقت حيث كان يساوي مائة قرش ، في حين كانت قيمة الجنيه الانجليزي (٩٧,٥) قرش مصري[١]. ثم أمر بحفر كلمة (**الحجاز**) أو (**نجد**) على ريال (**ماريا تريزا**) ، كما دون نفس الكلمات على بعض النقود الفضية العثمانية من فئة أربعين أو عشرين بارة المضروبة بالقسطنطينية سنة (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) ، والروبيات الهندية . ثم ضرب نوعان من النقود في عهد الملك عبدالعزيز هما : **النقود المعدنية ، والنقود الورقية** .

أما ضرب النقود الذهبية والفضية والنحاسية والنيكل في عهد الملك عبدالعزيز ، فكانت ، اصداراتها في السنوات التالية : ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ، و ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ، و ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م ، و ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م ، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م ، و ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م ، و ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م ، و ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م .

ففي سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ، سكت العملة النحاسية فئة نصف ، وربع القرش بأم القرى ، وكان يسجل على الوجه الأول اسم الملك عبدالعزيز ، مع ذكر سنة السك ، وفي الوجه الثاني اسم مكان السك ، وهو أم القرى يليه قيمة القطعة النقدية سواء كانت نصف قرش أو ربع قرش . وبعد أن صار الملك عبدالعزيز ملكاً على الحجاز سكت عملة النيكل في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ، مكونة من فئة القرش وأجزائه ، النصف والربع . وعلى أحد الوجوه كتب اسم الملك وألقابه (**عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد**) ، وفي الوجه الآخر مقدار القطعة مدونة بالأرقام والحروف معاً ، ثم سنة السك حسب التقويم الهجري[٢]. كما ضرب الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م ، النقود الفضية في مكة المكرمة من فئة الريال وأجزائه ، النصف والربع ، وتحمل جميعها في الوجه اسم (**عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**) وفي الهامش من نفس الوجه عبارة (**ملك الحجاز ونجد وملحقاتها**) بالإضافة إلى شعار المملكة وهو السيفان المتقاطعان المقلوبان داخل شبه مستطيل حوله في كل جهة من الجهتين نخلة ، وفي الظهر اسم مكة المكرمة كمكان للسك ثم عام (١٣٤٦هـ) تاريخ الاصدار ، بالإضافة إلى القيمة النقدية للقطعة بالحروف والأرقام سواء كانت ريالا أو نصفه أو ربعه ، والعبارات التي تكتب هي : (**ريال عربي سعودي واحد**) أو (**نصف ريال عربي سعودي**) أو (**ربع ريال عربي سعودي**) . وفي نفس عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) ضربت نفس نقود النيكل التي ضربت عام (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) مع أجراء بعض التعديل على ألقاب الملك ، فصار يكتب على الوجه (**عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها**) . وهكذا يتضح أن تسجيل عبارة (**ملك الحجاز وسلطان نجد**) وعبارة (**ملك الحجاز ونجد وملحقاتها**) على النقود قبل وأثناء عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) يعكس الناحية السياسية ، وذلك بعد اتساع رقعة البلاد في عهد

---

(١) المعبدي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٢) للمزيد من التفصيل انظر ، محمد علي مغربي ، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥، المعبدي ، النظم الادارية والمالية ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

الملك عبد العزيز . وتوطيد حكمه فيها [1]. وعبارة (**ملك الحجاز ونجد وملحقاتها**) ، هي نفسها التي وردت على النقود التي سكت سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م المدون عليها اسم مكة المكرمة . ثم جميع المعلومات (**ماعدا تاريخ السك**) التي ضربت على ريال الفضة الذي سك عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م . وفي نفس عام (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) ضربت أيضا نقود النيكل من فئة القرش ، ونصف القرش ، وربع القرش ، مشابهة تماماً لمثيلاتها التى ضربت في عامي (١٣٤٤هـ و ١٣٤٦هـ) ماعدا تاريخ السك فقط [2]

وبعد ان وحد الملك عبد العزيز جميع أجزاء المملكة ضربت النقود منذ سنة (**١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م**) وسجل عليها المعلومات اللازمة للتعريف بالعملة من حيث فئة النقد ، ومكان وتاريخ السك ، مع ذكر اسم حاكم البلاد ، ثم ايراد الاسم الحالي للمملكة ، فكتب في الوجه اسم (**عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**) ، وعلى هامش الوجه (**ملك المملكة العربية السعودية**) . ومابين عامي (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م و ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م) سكت بعض العملات الفضية ، كالريال وأجزائه ، ونقود النيكل من فئة القرش وأجزائه ، وفي عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) ضرب جنيه الذهب العربي السعودي ، وفي نفس السنة ، أعيد ضرب ريال الفضة الذي كان مستخدماً مابين عامي (١٣٥٤هـ و ١٣٦٧هـ) .

أما النقود الورقية فضربت في عهد الملك عبدالعزيز في طبعتين ، الطبعة الأولى سنة (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) وكانت من فئة عشرة ريالات ، والطبعة الثانية كانت سنة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م) وهي من فئة عشرة ريالات وخمسة ريالات . والهدف في البداية من اصدار هذه النقود الورقية ، هو تسهيل أمور الحجيج ، فتكون عبارة عن ايصالات يتعاملون بها في بيعهم وشرائهم أثناء قدومهم إلى الحرمين الشريفين لأداء مناسك الحج .

ويشتمل وجه الورقة النقدية فئة عشرة ريالات المطبوعة سنة (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) ، على القيمة ، وشعار المملكة ، والكتابة التالية (**صدر هذا الايصال من قبل المؤسسة لتيسير أداء فريضة الحج على حامله ، وذلك بجعل حصوله على الريالات العربية في متناول يده بسهولة وسرعة أثناء إقامته في المملكة العربية السعودية ، وبدون تكبده نفقة الصرافة**) . كما يشتمل الوجه على الكتابات التالية (**نشهد بأن المؤسسة تقتني في خزانتها بجدة مبلغ عشرة ريالات عربية تحت طلب حامل هذا الايصال ، وهو قابل للصرف الكامل وتدفع قيمته فور تقديمه من قبل حامله إلى أي مركز من مراكز المؤسسة**) **وأسفل ذلك رقم الإصدار وتاريخه وهو سنة (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م)** كما يتضمن الوجه قيمة الإيصال بعدة لغات هي : التركية ، والاردية ، والعربية ، والفارسية ، والملايويه ، والانجليزية . أما الظهر فعبارة عن مستطيل يوجد به تعهد بقيمة الإيصال باللغات الآنفة الذكر . أما الإيصال فئة العشرة ريالات المطبوع سنة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)

---

(١) مغربي ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، عبدالعزيز محمد الأحيدب . حياة الملك عبدالعزيز (الرياض : مطابع الاشعاع ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢٤٢ ومابعدها. انظر ايضا مقالة في جريدة الشرق الأوسط عدد (٥١٨٢) الخميس ٤/٢/١٩٩٣ ص ١٩، بعنوان (النقود سجل التاريخ ومؤشر الاقتصاد وموثق الأحداث) .

(٢) نفس المصادر التي في الملاحظة السابقة .

فيشتمل وجهه على مستطيل في أركانه قيمة الإيصال بالأرقام العربية والهندية ، وبداخل المستطيل من أعلى عبارات « **مؤسسة النقد العربي السعودي** » ، مع كتابة قيمة الإيصال بالعربية ولغات أخرى عدة ، ثم تاريخ الإصدار ، عام (١٣٧٣هـ) ، وتوقيع المحافظ ونائبه ورئيس مجلس الادارة . وعلى الظهر يوجد شعار المملكة العربية السعودية بقيمة الإيصال بعدة لغات ، ثم اسم مؤسسة النقد وخيط الأمان . وكذلك الورقة النقدية فئة الخمسة ريالات المطبوعة سنة (١٣٧٣هـ) ينطبق عليها نفس الصفات التي تنطبق على فئة العشرة الآنفة الذكر . وبعد حكم الملك عبدالعزيز ، سك العديد من العملات المعدنية كالقرش ، والقرشان ، والربع ، والنصف ريال ، والريال . كما وجدت فئات ورقية تتكون من الريال ، والخمسة ، والعشرة ، والخمسين ، والمائة ، وحالياً الخمسمائة ريال .

أما وضع العملات السابقة للنقود العربية السعودية ، فقد بقي البعض منها في متناول أيدي الناس ، وخاصة في التعامل الخارجي مع التجار خارج البلاد ، ثم حددت ، أسعار تلك العملات بالقرش السعودي في عام (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) فكانت كالآتي :

*** الريال العربي السعودي = ٢٢ قرشاً دارجاً**
*** الجنيه الانجليزي = ٢٢٠ قرشاً دارجاً**
*** الليرة العثمانية = ١٩٠ قرشاً دارجاً**
*** الريال الفرانسه (نمساوي) = ٢١ قرشاً دارجاً**
*** الروبية الهندية = ١٥ قرشاً دارجاً**[١]

ونتيجة لتوسع النظام الاقتصادي للمملكة العربية السعودية ، واتصالها ببعض الحكومات تجارياً واقتصادياً ، وكذلك نتيجة لتزايد التعامل التجاري بين رجال الأعمال بغيرهم ممن يفدون على البلاد عن طريق المنافذ البرية والبحرية ، فيتم التعامل بعملات عديدة خلاف ما أوردنا سابقا ، سواء في البيع والشراء ، أو في رسوم الجمارك على الموانىء ، أو المنافذ البرية ، كل هذا أدى إلى أخذ الاحتياطات اللازمة من ناحية العملة وصرفها ، وبهذا أصدرت وثيقة في شهر جمادي الأول من عام (١٣٦٥هـ) وضح فيها العديد من العملات ، مع التأكيد على مقدار كل عملة بالريال والقروش العربية السعودية ، واستكمالا للفائدة رأينا ايراد تلك الوثيقة كما قررت واعتمدت ، ثم عممت كبلاغ عام إلى جميع الجهات المعنية والمسؤولة في الدولة ، ونص الوثيقة هو[٢]: « ... **بناء على أمر مقام الوزارة البرقي رقم ١٧٣٧٧/٤ في ١٣٦٥/٥/٦هـ ، اعتمدوا اعتبار أسعار العمل الأجنبية** ... كما يلي :

*** الجنيه الانكليزي جورج (٨٠) ريالا عربيا و (٨) قروش**
*** الجنيه الانكليزي ادوارد (٧٨) ريالا عربيا و (٨) قروش**
*** الجنيه أبو شرشف (٧٦) ريالا عربيا و (٨) قروش**
*** الجنيه أبو بنت (٧٦) ريالا عربيا و (٨) قروش**

(١) انظر عبدالعزيز الأحيدب ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢.
(٢) صورة من الوثيقة ضمن أوراق الباحث تحت رقم (٩٤٣).

* الجنيه الاسترليني	(١٣) ريالا عربيا
* الجنيه العثماني	(٦٠) ريالا عربيا
* الجنيه المصري	(١٤) ريالا عربيا و (٤) قروش
* الجنيه الفلسطيني	(١٣) ريالا عربيا و (١١) قرش
* الجنيه السوري	(١) ريالا عربيا و (٨) قروش
* الجنيه البنتو	(٥٥) ريالا عربيا
* الدينار العراقي	(١٣) ريالا عربيا و (١١) قرش
* الدولار الأمريكي	(٥) ريالا عربيا و (٥,) قرش
* الريال الفرانسه	(٢) ريالا عربيا و (٨) قروش
* الجنيه الانكليزي السوداني	(١) ريالا عربيا و (٢) قروش
* الريال السينكو	(٢) ريالا عربيا و (٦) قروش
* الريال المجيدي	(٢) ريالا عربيا
* الربية الجاوي الفضه	(٢٠) قروش
* الربية الهندي الورق	(١) ريالا عربيا و (١) قروش
* الربية الهندي الفضه	(٢١) قروش

وبهذه الوثيقة اتضح لنا التباين في صرف العملات المختلفة بالريال والقرش العربيين السعوديين ، وربما أن هذه الصرافة كانت غير ثابتة ، وإنما كان يرتفع بعضها أو ينخفض من شهر لشهر أو من فترة لأخرى[١].

و - الأوزان والمكائيل والمقاييس :

المصادر التي توضح لنا صورة متكاملة عن عملية الأوزان والمكائيل والمقاييس عند العسيريين غير متوفرة ، ولكن بما أنه كان لديهم حركة اقتصادية جيدة ، فلابد أنهم كانوا يتعاملون بوسائل تعارفوا عليها في كل جانب من الجوانب الاقتصادية .

أما الوزن أو الكيل ، فلم يعرف لديهم ما يسمى بـ (**الكيلو جرام**) إلا في العقود الماضية القريبة ، ولكن قبل استخدام أداة الكيلو جرام ، كانوا يستخدمون نظام الأقة ، والرطل ، والأوقية ، والدرهم . والأقة قطعة مصنوعة من الحديد ، عرف منها الأقة الواحدة ، ونصف الأقة ، وربع الأقة ، وربما كانت تصنع خارج بلاد عسير ، وخاصة في المدن الكبرى بشبه الجزيرة العربية ، أو الشام ومصر وغيرها . وهذه الأداة تساوي أربعمائة درهم ، أو رطلين ونصف ، أو اثنين وثلاثين أوقية ، وتزيد عن وزن الكيلو جرام

---

(١) دراسة الناحية الاقتصادية ، وخاصة التجارة ، تحتاج إلى العديد من المجلدات وذلك يعود إلى تعدد جوانبها وكثرة مصادرها وبخاصة في عصرنا الحالي .

الواحد في وقتنا الحاضر[١]. والرطل وهو اثنتا عشرة أوقية ، أو ما يقارب اثنى عشر ريالاً فرانسياً ، ومن أجزائه نصف الرطل ، والربع والثمن . أما الأوقية الواحدة فتساوي اثنى عشر درهما . وهذه الأدوات السابقة الذكر تستخدم في وزن السوائل ، مثل (**السمن والعطورات وغيرها**) ، والبخور والتوابل ، وبعض المواد الغذائية الخفيفة ، كالهيل والبن والزعفران وغير ذلك من المعادن الثمينة والأطياب الغالية . ويستخدم في هذا ما يسمى بـ (**الميزان**) الذي له كفتان معلقتان بخيوط أو سلاسل حديدية صغيرة إلى قطعة من الحديد في وسطها قب الميزان . وكان الزبون يراقب دقة الوزن لأن العملية تتم أمامه ، بل كان الميزان يوضع في مكان واضح بحيث تراه العيون[٢].

أما وحدة الكيل ، فتستخدم بالدرجة الأولى في كيل الحبوب وما شابهها ، ومنها المد ، والصاع ، والفرق ، والأردب ، والكيلة ، والقدح والوسق وغيرها . فالمد يساوي ثلاث أقق ، وعرف منه المد الكامل ، ونصف المد وربعه ، وثمنه ، وكانت تعتمد بمقاييس موحدةً في أنحاء المنطقة ، وتصنع في الأساس من الخشب ، وتطوق فوهة المد بطوق حديدي يساعد على دقة توافقه مع المقاييس المعتمدة رسمياً ، وفي النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، صارت وحدة المد وما شابهها توثق بختم رسمي من البلدية ، حتى تخضع للمتابعة من عامل السوق[٣]، وبالتالي لا يكون هناك مجالٌ للتجاوز[٤] والصاع أكبر من المد ويساوي أربعة أمداد ، وعرف في بعض أجزاء من تهامة ، والصاع التهامي ، وهو يعادل أربعة أصواع نبوية ، ويشتمل على عدة أجزاء منها الزنة وتساوي نصف صاع تهامي ، والثرنة وتساوي ربع الصاع ، والثماني ويساوي ثمن الصاع . والفرق ويساوي ثلاثة أصوعة أو اثنتي عشر مدا . والأردب وهو عبارة عن وحدة من وحدات المكائيل ، ويساوي اثنى عشر كيلة . والكيلة تساوي أربع أقق ، وهو ماعون اسطواني أو مستطيل الشكل ، مصنوع من الخشب ومخرم من الخارج بأطر من الحديد ، ومنه نصف الكيلة وربعها وثمنها ، وهي تساوي ثمانية أقدام[٥]. والقدح وحده من وحدات المكائيل يساوي ١/٨ الكيلة .

وأدوات الوزن والكيل كانت غير متوفرة في كل مكان من بلاد عسير ، وإنما أغلب تواجدها في الأسواق الكبيرة ، وأحياناً توجد عند التجار الكبار ، ولربما توفر بعضها ، كالمد والصاع

---

(١) انظر ، المغربي ، ملامح الحياة الاجتماعية ، ١٦٠، المعبدي ، النظم الادارية ، ٩٤، ٢٠٤، جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٢٥، ونبذة مختصرة قدمها إليَّ الأستاذ أحمد مطاعن بأبها ، حول الناحية الاقتصادية ، في ١٤١٤/١/١هـ وهذه النبذة ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٠٩٧).

(٢) ولازال نوع الميزان الذي نتحدث عنه يستخدم عند بعض التجار في الأرياف وبعض الأسواق الأسبوعية في بلاد عسير ، مع العلم أنه قل استخدامها لاستبدالها بموازين حديثة في الصنع والشكل .

(٣) عامل السوق أو (المحتسب) من الوظائف الادارية التي مارستها دولة الاسلام منذ عهد الرسالة، وكانت مهمة هذا العامل البقاء في السوق لمراقبة الأوزان والمكائيل ، والسعي إلى فض المنازعات التي تحدث في السوق ، وكذلك يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وأحيانا كان لا يعمل بمفرده وإنما يوجد إلى جانبه المساعدون من الشرطة وماشابههم.

(٤) من النبذة التي زودنا بها الاستاذ أحمد مطاعن ، وهي ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٠٩٧) .

(٥) المغربي ، ملامح الحياة الاجتماعية ، ص ١٦٠ .

وغيرهما . عند بعض أفراد المجتمع ، وبخاصة الذين يمارسون مهنة الزراعة أو التجارة .

وعرف البيع بالجملة ، ففي بعض الأحيان لا تكال ولا توزن السلع التي يراد بيعها ، وإنما توضع على هيئة اكوام ، او في أكياس كبيرة ، ثم تقدر أسعارها تقديراً نظرياً ، ويتم بيعها .

لم يكن هناك ادوات تستخدم في القياس ، كالمتر والكيلومتر ، إلا بعد ظهور الحكم السعودي الحالي ، وخصوصاً في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر ، لكن الأراضي الزراعية والمواقع التي تقام عليها المساكن كانت تقاس بالخطوة أو القدم عند الرجال ، كما كان هناك بعض الأسماء التي تطلق على الأراضي الزراعية ، الفلق وهو جزء صغير من القطع الزراعية الكبيرة ، والركيب أو الشقة ، وهي القطعة الزراعية المحدودة بحدود واضحة من جميع أطرافها بصرف النظر عن مساحتها ، والزهب وهو مايكون محدودا بحدود معلومة أيضاً وملاصقا لقطع زراعية أخرى تكون أكبر منه في المساحة وأحسن منه في نوعية التربة .

ومن المقاييس ، قبل استخدام المتر ، عرف الذراع ، وهو ذراع اليد ، خاصة في بعض الأرياف وأسواق البادية . والهنداسة ، وهي قطعة حديدية رفيعة يبلغ طولها حوالي سبعين سنتيمتراً . والذراع والهنداسة يستعملان في قياس الألبسة والأقمشة وماشابههما .

٥ - العقبات المواجهة للحياتين الاجتماعية والاقتصادية :

إن العقبات والمصاعب التي كانت تقابل الأوائل في إقليم عسير وغيره من الأقاليم في شبه الجزيرة العربية ، لا تحصى ، وتحتاج إلى دراسة وافية وموثقة في جميع جوانب الحياة . وما سندرج في السطور التالية ، ليس إلا جزءاً من كل لنبين للقارىء الكريم ماكان يعاني الأوائل - رحمهم الله - من رزايا في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، وسنلاحظ أن العديد من العقبات لا تؤثر على حياة دون أخرى ، وإنما تؤثر على الحياتين معاً ، وأحياناً قد تؤثر على جوانب حياتية أخرى ، كالحياة السياسية ، أو الحياة العلمية والفكرية وغيرهما .

ومن تلك العقبات غلاء الأسعار في الأسواق والبوادي والأرياف ، فابن بشر يتحدث عن غلاء عم شبه الجزيرة العربية عام (١٠٤٦) و (١٠٤٧هـ) ، ثم تكرر ذلك الغلاء في عام (١٠٨١هـ) فانتشر الجوع وساد القحط جميع البلاد ، وقلت الأمطار وجفت العيون والآبار[1] . ويذكر أيوب صبري باشا ، وابن بشر عن قلة الطعام واشتداد القحط على أهالي

---

(١) انظر ، ابن بشر ، عنوان المجد ، جـ ١ ، ص ٤٦ ، ٥٢ .



إقليم عسير وغيرهم من سكان الجزيرة العربية ، وذلك في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، حتى ليقال أن كثيرا من الناس ماتوا وهلكت مواشيهم وإبلهم ، بل واندفع بعضهم إلى أكل لحوم الكلاب ، وبعض الحيوانات الوحشية من شدة ما أصابهم من الجوع (١). وفي روايات أخرى أكدت على غلاء الأسعار ، وانتشار الجوع والقحط في كل من السنوات التالية : ١٢٢٠هـ ، ١٢٤٢هـ ، ١٣٢٩هـ ، ١٣٣٣هـ ، ١٣٣٤(٢).

وغلاء الأسعار ، وانتشار المجاعات ، لا تحدث إلا بحدوث عوامل أخرى ، كالجفاف وقلة الأمطار ، أو كالحروب وعدم استقرار الأمن ، وكثرة اللصوص وقطاع الطرق ، أوصعوبة المواصلات ، أو انتشار بعض الأمراض والأوبئة التي تصيب الانسان أو الحيوان ، أو المحاصيل الزراعية . وجميع هذه الأسباب وغيرها ، عاصرها العسيريون خلال القرون المتأخرة الماضية ، فيذكر سليمان شفيق باشا ما كان يعاني الناس من عقبات في نقل تجارتهم من مكان لآخر ، وذلك لصعوبة مسالك الطرق الواصلة بين أجزاء البلاد العسيرية ، ثم انعدام الأمن في تلك الطرق لما يوجد بها من لصوص وقطاع طرق ، أو لانعدام الأمن بين القبائل ، فلم يكن ديدن بعضهم إلا السلب والنهب والاغارة على التجار أو من يسلك الطرق التجارية المارة ببلادهم (٣). وفي روايات عدة تذكر انتشار بعض الأمراض ، كالجدري والطاعون وغيرهما ، في بلاد عسير ، خلال السنوات التالية : ١٢٤٦هـ ، ١٢٤٨هـ ، ١٢٥٢هـ ، ١٢٦٦ ـ ١٢٧٣هـ(٤)، ١٢٨٨هـ(٥). أما الأوبئة التي قد تحل بالمزارع فهي عديدة من أهمها الجراد والآفات الزراعية كالديدان وغيرها . والجراد يشكل ، حين يأتي ، حرباً قوية على المزارع ، فتدب صغاره (**الدبا**) لتأكل ما على الأرض وتطير كباره لتقع فوق رؤوس النخيل والأشجار المثمرة فلا تبقي منها ولا تذر(٦)، لكن الجراد له فائدة أخرى فهو غذاء يدخر فما أن يتسامع الناس بوجوده في مكان ما حتى يسيروا إليه في الظلماء ركباناً ومشاه حتى يُصبّحونه في منامه ليملأوا أوعيتهم وثيابهم فترخص الأسعار لعامة الناس ، ويدخرون منه ما يكفي لعام أو أكثر .

وتذكر بعض الروايات العديد من الأعوام التي اجتاح الجراد فيها بلاد عسير فألحق

---

(١) أيوب صبري باشا . مراة جزيرة العرب ، ترجمة من اللغة التركية أحمد فؤاد متولي والصفصاف أحمد مرسي (الرياض : دار الرياض للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) جـ ١ ، ص ١٤٣ ، ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٢٦ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر . مقالة تاميزية في مجلة العرب ، جـ ٩ ، ١٠ (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص ٦٥٦ ، الجميعي ، عسير خلال قرنين ، ص ٥٠ ، ٩٠ ، نقلا عن كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ... لابراهيم بن صالح بن عيسى ، ص ١٣١ ، البركاتي ، رحلة ، ص ٣١ ، وثيقة بحوزة الباحث تحت رقم (٧٥١)

(٣) مذكرات سليمان شفيق باشا ، ص ١٩٠ ، القحطاني ، موجز ، ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، Cornwalls. Asir, pp. 134-5, مقالة تاميزية في مجلة العرب ، ص ٦٦٠ ، ٦٦١ .

(٤) استمر مرض الطاعون خلال تلك السنوات السبع ، عسيري ، عسير ، ص ٣٩١ .

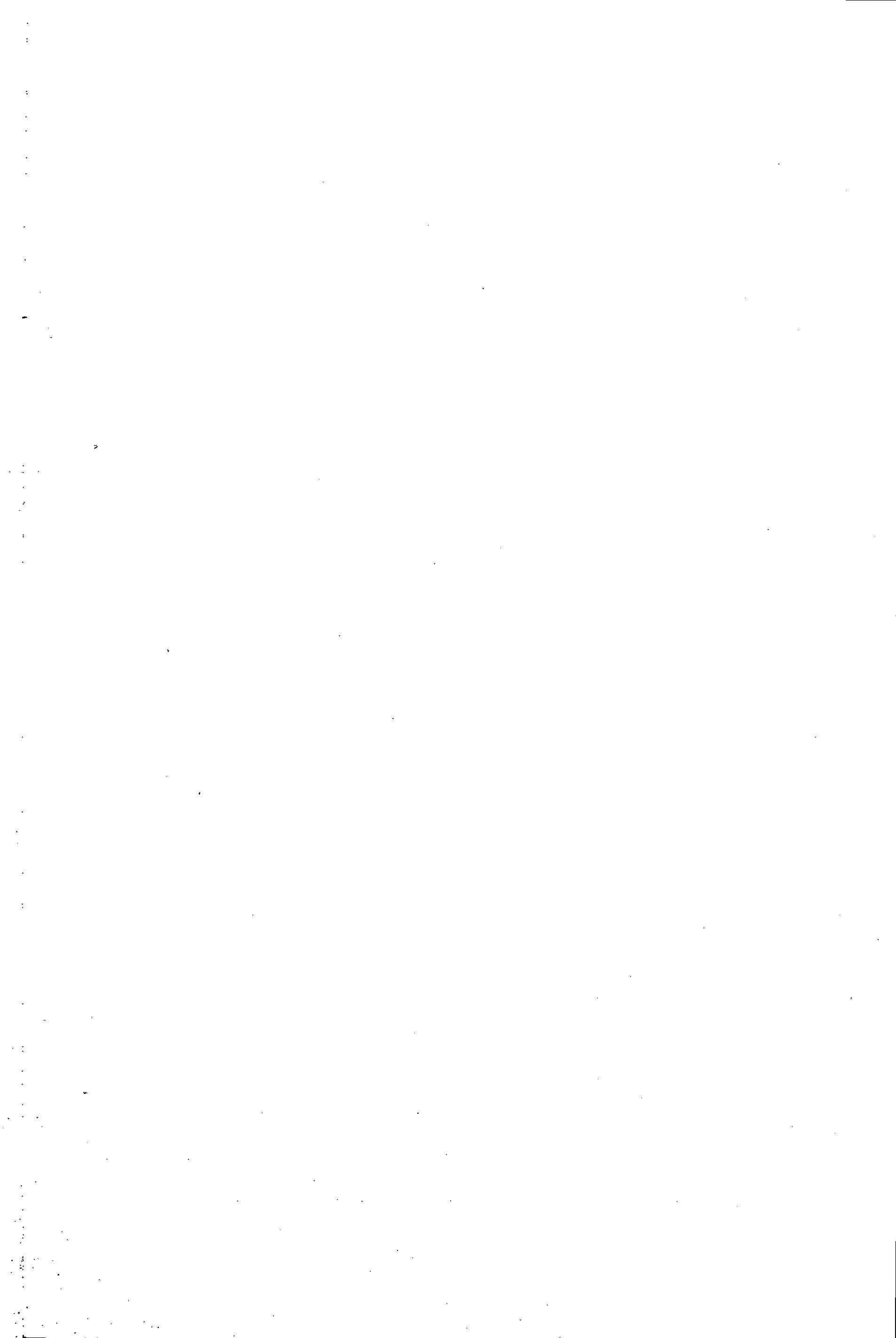
(٥) عسيري ، عسير ، ص ٣٩٣ ، ٣٨٩ ، أبو داهش ، الحياة الفكرية ، ص ٣١ ، الجميعي ، عسير خلال قرنين ، ص ٩٥ ، باشا ، مذكرات ، ٤٩ ، ٦٣ ، ١٦٨ .

(٦) راجع كتاب ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٠٤ ، ١٢٥ .

أضراراً بالغة بمحاصيل المزارعين ، أو ببعض الأشجار المثمرة ، ومن تلك الأعوام : عام ١٢٤٨هـ ، ١٢٦٠هـ ، ١٢٦٩هـ[١] . ولم تكن مهنة اللصوص مقتصرة على مهاجمة التجار وسرق ما بأيديهم ، ولكنهم كانوا يقتحمون المزارع والبساتين في فترات الليل ، وكان البعض منهم يهاجمون البيوت فيسرقون بعض أمتعتها ، كالحبوب وماشابهها ، وأحياناً يسرقون بعض المواشي أو ما قد يجدون في المنازل التي يداهمون . والحاجة وانتشار الجوع بين الناس ربما يكون هو السبب الرئيسي إلى دفع اللصوص للقيام بالسرقة وماشابهها[٢].

---

(١) مقالة تاميزية ، مجلة العرب ، ص ٦٥٦ ، عسيري ، عسير ، ص ٣٩١ .
(٢) كل المقومات التي أشرنا إليها كانت موجودة وبشكل نشط قبل الحكم السعودي الحالي ، لكن بعد ظهور الإمام عبدالعزيز آل سعود ، بدأت تختفي تدريجيا حتى قضى عليها ، فأصبح الناس آمنين على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وجميع ممتلكاتهم .



الخاتمة

الخاتمة

لا شك أن إقليم عسير من الأجزاء الهامة في شبه الجزيرة العربية ، وذلك لعدة أسباب منها :

(١) موقعه الهام الذي يصل بين حواضر اليمن والحجاز ، ثم اطلالة بعض أجزائه الغربية على البحر الأحمر .

(٢) الكثافة البشرية العالية للسكان القاطنين في جميع نواحيه مع وجود تنوع كبير في عاداتهم وتقاليدهم ، وكذلك في مهنهم ومصادر رزقهم ، وذلك ناتج من التنوع في طبيعة الأرض وأحوال الحياة الجوية المناخية .

وكما أشرنا في أكثر من مكان من هذا الكتاب ، وذكرنا أن إقليم عسير ، أو جميع أجزاء البلاد الممتدة من اليمن إلى الحجاز (**تهامة وسراة**) لازالت في أمس الحاجة لاهتمامات الباحثين بها في جميع جوانب المعرفة ، فهي إن صح التعبير لازالت بكراً ، في جوانب علمية كثيرة ، وإذا ما حاولنا معرفة أحوال هذه البلاد الفكرية والتاريخية والحضارية ، وخاصة منذ العهود الجاهلية وحتى القرن العاشر الهجري ، فالأمر يكاد يكون صعباً وغامضاً لما تعانيه تلك الفترات من شح في المادة العلمية المدونة عنها في المصادر المبكرة .

ومن خلال دراساتي في إقليم عسير ، أو (**بلاد تهامة والسراة**) لاحظت أن هناك العديد من المواضيع الجديرة بالدراسة ، وأوصي الباحثين ، وخاصة المهتمين بدراسة هذا الجزء ، أن يكون لهذه الجوانب نصيب في دراستهم . ومن أمثلة تلك المواضيع ، على سبيل المثال لا الحصر ، التاريخ اللغوي واللهجات المتنوعة عند سكان هذه البلاد المعنية ، والتاريخ الفكري والعلمي لأهل تهامة والسراة منذ العصر الجاهلي وحتى عصرنا الحالي ، أيضا الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والأثرية من المواضيع الهامة والجديرة بالدراسة في جميع الحقب منذ القدم وحتى الآن . وتاريخ البلاد في العهد الجاهلي شبه معدوم ، ولا نعرف عنه شيئا ، وأي موضوع يطرق عن تاريخ هذه الأجزاء ، وخاصة في العهود السابقة لعصر الاسلام ، فسيكون ذلك ذا فائدة عظيمة مهما كان حجمه ، أو قلة معلوماته .

أما الفترات التالية للقرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، فهي أحسن حالا من العهود السابقة لها ، حيث هناك بعض الدراسات القليلة ، وخاصة للبلاد الممتدة من الباحة والقنفذة شمالا إلى نجران وجازان جنوبا . ومع قلة هذه الدراسات ، فالبعض منها

إن لم يكن أكثرها عبارة عن أعمال مكررة ، ولو حاولنا تقييم كل دراسة على حدة ، لوجدنا أن الأعمال العلمية الموثقة الجيدة قليلة جدا ، وهذا لا يعني التنقيص من الأعمال القليلة التوثيق ، أو المكررة والمشابهة لأعمال علمية أخرى ، ولكن رغبتنا أن نرى ونقرأ دراسات علمية جادة تعكس لنا تاريخ هذه البلاد ، وبشكل علمي جاد موثق .

ومع ما خرج من بحوث عن إقليم عسير في العهود المتأخرة الماضية ، فلازال هناك جوانب كثيرة وهامة تحتاج إلى من يدرسها دراسة علمية جيدة ، ومن أمثلة تلك الجوانب ، إقليم عسير ، أو بلاد تهامة والسراة تحت نفوذ الحكم العثماني ، سواء كان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، أو في السبع والأربعين سنة التي حكموا فيها عسير قبل خروجهم من شبه الجزيرة العربية (**من ١٢٨٩هـ-١٣٣٧هـ-١٨٧٢م-١٩١٨م**) . فهذه الفترات لازالت بحاجة إلى من يدرسها دراسة جادة ، تشمل جميع الأحوال ، السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية ، والاقتصادية ، مع محاولة استقاء مادة هذه العهود من المصادر الأساسية ، سواء كانت وثائق ، أو مخطوطات ، أو ماشابهها . أيضا فترات القرن الرابع عشر ، منذ تأسيس المملكة العربية السعودية . وحتى الآن ، تحتاج إلى دراسة جادة وموثقة في جوانب علمية وحضارية وفكرية متعددة الجوانب . وهذه الفترة المتأخرة لا يشوبها الغموض الذي تتصف به الحقب السابقة ، وذلك لتوفر الامكانات وغزارة المعلومات التي تساعد الباحثين على اخراج بحوث علمية قيمة .

وكتابنا هذا « **عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ-١٦٨٨ - ١٩٨٠م)** ليس إلا محاولة متواضعة في تصوير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبلاد عسير خلال ثلاثة القرون الماضية . والسبب الذي جعلني أفرد كتابا بهذا العنوان ، هو كما ذكرت سابقا ، الإحساس بأنه لا يوجد هناك دراسة شاملة تصور هذه المباحث التي تعرضنا لها ، وإن كان هناك بعض الدراسات ، فهي تركز على الأحوال السياسية أكثر من أي جانب آخر ، وهذا أمر كان سائدا ومألوفا عند المؤرخين منذ القدم .

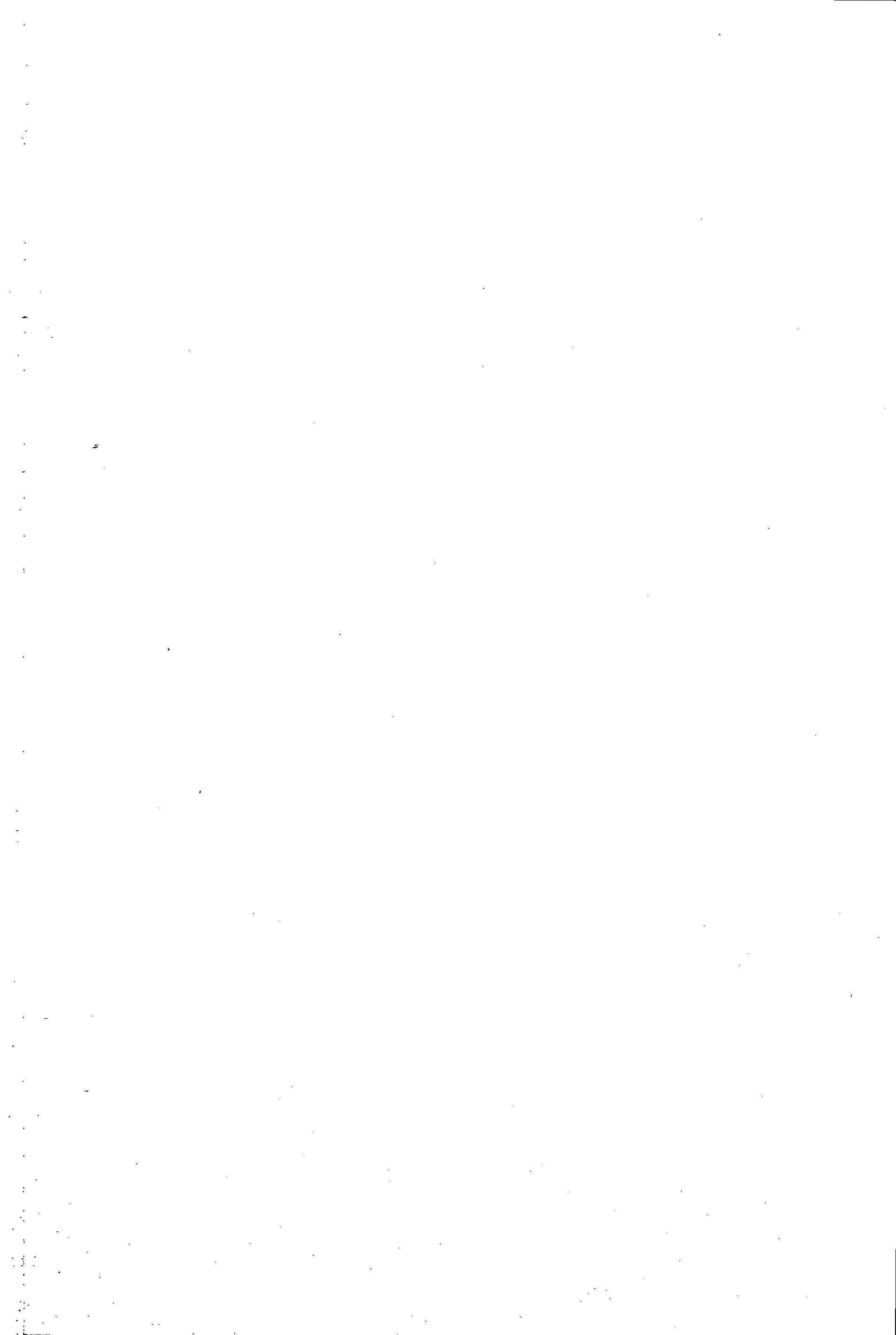
ولم نغفل في مقدمة هذه الدراسة الأحوال الجغرافية ، وإنما أشرنا إلى حدود البلاد التي هي مجال الدراسة ، مع التنويه إلى التركيبة السكانية لأهل الإقليم ، والطبيعة

الجغرافية ، والأحوال المناخية التي تتصف بها عسير . كما تعرضنا للأحوال السياسية ، وبشكل موجز منذ فجر الاسلام وحتى عصرنا الحديث . أما بقية الكتاب فتم تقسيمه إلى قسمين ، القسم الأول : تحدثنا فيه عن الأحوال الاجتماعية بنوع من التفصيل من حيث تركيبة المجتمع والقرية والأسرة ، ثم الاشارة لأمور أخرى عديدة تدور في الفلك الاجتماعي عند العسيريين .

ومع أننا حددنا الدراسة بفترة زمنية معينة ، لكن نجزم أن كثيرا من الأحوال التي تعرضنا لها ، وخاصة في الجوانب الاجتماعية وكذلك الاقتصادية ، كانت تمارس عند سكان تهامة والسراة ، أو عند بعض سكان شبه الجزيرة العربية منذ عصور قديمة . ومن يلق نظرة على بعض القيم والعادات والتقاليد عند عرب شبه الجزيرة منذ فجر الاسلام وحتى الآن يجد أن البعض منها لازال يمارس ، ومألوف عند كثير منهم حتى اليوم ، والسبب في ذلك أن التغير الحضاري ، كالنواحي الاجتماعية والاقتصادية تحتاج إلى عشرات وأحياناً إلى مئات السنوات حتى يطرأ عليها التبدل والتغير . أما الاختفاء والاندثار فربما احتاج إلى وقت أطول ، بعكس الأحوال السياسية التي تتبدل بسرعة ، فكم من دولة سقطت وأخرى ظهرت ، أو حاكم سقط وآخر ظهر في أيام معدودة . وهذه طبيعة التغير السياسي ، لكن ما يتولد من الأحوال السياسية ، وخاصة الجوانب الحضارية الأخرى ، فلا تختفي أو تتغير بسهولة أو في وقت سريع .

أما القسم الثاني والأخير من هذا الكتاب ، فهو ما يتعلق بالأحوال الاقتصادية ، كالرعي ، والصيد ، والجمع والالتقاط ، والزراعة وأحوالها ، والصناعات والحرف التقليدية ، وكذلك التجارة وفنونها . وأخيراً فهذا جهدي وهو جهد المقل فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الملاحق



فهرس الملاحق :

* **ملحق رقم (١)** : رسالة من أمير النماص إلى أحد الشيوخ بمناسبة مرور خمسين عاما على دخول الملك عبد العزيز الرياض .

* **ملحق رقم (٢)** : وثيقتان حول العادات والتقاليد الاجتماعية القبلية في بعض أجزاء من عسير (الربيعان ، ١٣٤٥هـ) .

* **ملحق رقم (٣)** : رسالة من أمير عسير إلى بعض أمراء بللحمر في (٤ رمضان ، ١٣٥٤هـ) .

* **ملحق رقم (٤)** : رسالة تدور حول العزاء عن طريق الرسائل في (١٤٠٩/٥/١٥هـ) .

* **ملحق رقم (٥)** : خطاب من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها في (١٣٥٨/٨/١٧هـ) .

* **ملحق رقم (٦)** : وثيقة من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها ، بخصوص نظام الدلالة في الأسواق في (١٣٥٩/١٠/٢٤هـ) .

* **ملحق رقم (٧)** : وثيقة صادرة من مالية أبها بشأن تحديد أسعار بعض الحبوب في عام (١٣٥٧هـ) .

* **ملحق رقم (٨)** : وثيقة تحدد إيجار الجمال والدواب المستخدمة في النقل من أبها إلى عدة أجزاء من إقليم عسير (عام ، ١٣٦٥هـ) .

* **ملحق رقم (٩)** : وثيقة تتحدث عن إجراءات اسعاف أمير بلدة الحقو بجازان ، في (١٣٦٣/٢/٨هـ) .

* **ملحق رقم (١٠)** : رسالة من نائب جلالة الملك إلى وزارة المالية ، بتاريخ ١٣٦٧/٢/٦هـ ، بشأن إعادة تعمير مسجد المفتاحة بأبها .

* **ملحق رقم (١١)** : قصيدة شعرية في يوم فلسطين ألقيت في أبها ، في (١٣٦٠/٧/٢٣هـ) .

تم اختيارنا لاحدى عشر وثيقة ، جميعها خلال القرن الرابع عشر الهجري ، وهذه الوثائق تعكس بعض الصور الاجتماعية والاقتصادية في إقليم عسير . وقبل ادراجها رأينا أنه من الأجدر إعطاء نبذة بسيطة عن كل وثيقة ، مع الإشارة إلى بعض ما تحتوي عليه من جوانب علمية حضارية لها صلة بموضوع هذا الكتاب .

الملحق رقم (١) : عبارة عن رسالة من أمير النماص إلى أحد شيوخ القبائل العسيرية ، يبلغه فيها أمر إمارة عسير ، الذي أصدرته على ضوء الأمر السامي رقم (٥٤٤٠) في ٩/٩/١٣٦٩هـ ، الذي ينص على الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاماً من دخول الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود إلى الرياض ، وتأسيس المملكة العربية السعودية . وتم تحديد تاريخ ذلك الاحتفال في اليوم الرابع من شهر شوال ، عام (١٣٦٩هـ) . وأدرج في تلك الرسالة عدة بنود منها : إقامة الاحتفالات بتلك المناسبة ، وتوزيع الهدايا وبعض الأطعمة والأشربة على الفقراء والمساكين ، والأيتام ، والمحتاجين ، وتوقف جميع المدارس والدوائر الحكومية عن العمل من أجل المشاركة والفرحة بتلك المناسبة .

الملحق رقم (٢) : عبارة عن وثيقتين تتعلقان بالعادات والتقاليد الاجتماعية في بعض أجزاء من بلاد عسير ، فالوثيقة الأولى في صيغة فتوى لقاضي محكمة أبها عام (١٣٤٥هـ) يذكر فيها بأن العادات السابقة لتوحيد المملكة العربية السعودية ، عادات جيدة ومقبولة على شرط أن تتماشى مع الشرع الحنيف ، أما في حالة تعارضها مع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) فلا صحة لها . أما الوثيقة الأخرى فهي رسالة من أمير عسير ، **الأمير عبدالله بن عسكر** ، إلى بعض أمراء قبائل بللحمر ، يوضح لهم فيها أن يتمسكوا ويبقوا على عاداتهم السليمة التي اتفقوا وتعارفوا عليها من قبل .

الملحق رقم (٣) : رسالة من أمير عسير ، الأمير تركي السديري ، إلى بعض أمراء بللحمر ، يوصيهم ويؤكد لهم على مبدأ مهم ، وهو محاربة عادة الختان التي تتم عن طريقة السلخ . ولم تكن تلك العادة (**كما أشرنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب**) منتشرة عند سكان بلاد بللحمر فقط ، وإنما كانت منتشرة عند كثير من سكان عسير ، والملك عبدالعزيز سعى إلى محاربة هذه العادة والقضاء عليها . وهذه الرسالة التي أرسلها الأمير السديري ، ليست إلا نموذجاً على أن الحكومة السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز كثفت جهودها على محاربة هذه العادة ، لما يترتب عليها من مساوىء يذهب ضحيتها العديد من الفتيان الذين تمارس عليهم تلك العملية .

الملحق رقم (٤) : عبارة عن رسالة من أمير عسير ، سمو الأمير خالد الفيصل إلى شيخ أسرة آل شبيلي في تنومة ، بلاد بني شهر ، يعزيه فيها بوفاة شقيقه . وهذه الرسالة تعكس عدة جوانب ، فتوضح التلاحم والمحبة بين الحاكم والمحكوم ـ والتواصل في السراء والضراء . كما تبين أحد طرق العزاء ، وهي استخدام الرسائل ، وهذه من أفضل الطرق التي يواسي فيها أهل الميت ، دون أن يُكَلَّفوا بما يرهقهم ، أو يرهق من أرسل التعزية .

الملحق رقم (٥) : عبارة عن رسالة من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها ، عام (١٣٥٨هـ) يبين له فيها الحرص على ضبط التعريفة التي يتعامل بها التجار ، وجميع السكان في الأسواق . وهذه العملية تؤكد على عمل المحتسب (عامل السوق) ومراقبته لحركة البيع والشراء ، حتى لا يحدث أي نوع من الغش أو التدليس ، أو ما يرهق كواهل التجار ، أو من يرتاد الأسواق للبيع والشراء .

الملحق رقم (٦) : رسالة من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها ، عام (١٣٥٩هـ) ، بخصوص الأنظمة والشروط التي يجب أن يتقيد بها الدلالون (**السماسرة**) في الأسواق ، والميزة في هذه الرسالة أنها ملحقة بأربع صفحات أخرى تحتوي على اثنين وثلاثين بندا ، تشمل كل مايجب على الدلال ، ومايجب أن يتوفر فيه من شروط ، حتى يستطيع ممارسة مهنته بطريقة نظامية ، وحتى لا يشكل خطورة أو مشكلة على حركة البيع والشراء في الأسواق .

الملحق رقم (٧) : وثيقة صادرة من مالية أبها ، وموجهة إلى امارة عسير برجاء الموافقة على أسعار الحبوب ، التي أقرتها إدارة المالية في عسير ، عام (١٣٥٧هـ) . وهذه الأسعار المبينة في الوثيقة تعكس عدم غلاء الحبوب ، فثلاثة أمداد من الحنطة بريال واحد ، وسبعة أمداد من الشعير بريال وبقية الحبوب أسعارها رخيصة كما نشاهدها في الوثيقة .

الملحق رقم (٨) : عبارة عن وثيقة تبين مقدار أجرة الجمال والحمير التي تستخدم للنقل من أبها إلى أغلب أجزاء إقليم عسير ، وهذه الوثيقة المؤرخة في (١٣٦٥/٧/٩هـ) ، وتتراوح الأجرة المدونة بها من الثمانية إلى الخمسة والعشرين ريالا للجمل الواحد ، وذلك حسب طول وقصر المسافة التي تقطعها الدابة في نقل الأثقال والمسافرين .

الملحق رقم (٩) : وثيقة من مدير مالية جازان إلى رئيس مالية أبها ، عام (١٣٦٣هـ) ، يوضح له فيها تزويد أمير الحقو في جازان بسيارة إسعاف تنقله إلى المستشفى للعلاج ، ويبين له أنواع المصروفات التي احتاجوها لإسعاف المريض . ومن هذه الوثيقة نستفيد عدة أمور منها : الرعاية الصحية التي وجدت في المنطقة في تلك الفترة المبكرة ، وهذا يدل على حرص الدولة في توفير العناية والرعاية الطبية للمواطن . كما نلمس من محتوى الوثيقة أن خطوط المواصلات امتدت حتى أصبحت تصل إلى بعض الأجزاء النائية في إقليم عسير . أيضا المواد اللازمة لاستخدام السيارات أصبحت متوفرة نوعا ما ، كالوقود وما شابه ذلك .

الملحق رقم (١٠) : وثيقة مرسلة من نائب جلالة الملك إلى وزارة المالية عام (١٣٦٧هـ) ، يوافق فيها على صرف مبلغ من المال لتعمير مسجد المفتاحة بأبها . وهذه الوثيقة تبين لنا اهتمام وحرص الدولة على تعمير بيوت الله في عسير . وهو ما يؤكد أن انتشار المساجد في أنحاء المملكة العربية السعودية (**في يومنا الحاضر**) لم يكن وليد البارحة ، وإنما بدأ منذ بداية عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

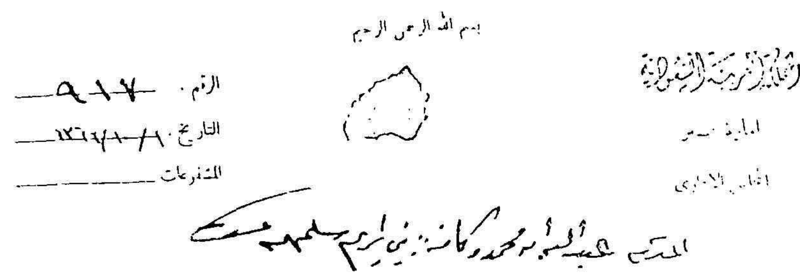
الملحق رقم (١١) : قصيدة شعرية ألقاها الأستاذ موسى بن ناصر بمناسبة يوم فلسطين ، الذي أقيم في مدينة أبها ، عام (١٣٦٠هـ) . ويستنتج من هذه الوثيق أمور عدة :

(١) موسى بن ناصر أحد الأساتذة الذين عملوا في قطاع التعليم منذ بدايته في عسير ، وكان له جهود طيبة في حركة العلم والتعليم ، إلى جانب أنه كان ممن يقرض الشعر ، وهذه القصيدة التي نعرضها ، أحد نماذج شعره .

(٢) حركة التعليم في عسير كانت حسنة ، ولا بأس بها ، فلم تكن تفتح المدارس فقط ، وإنما كان هناك بعض الشخصيات المتعلمة التي تساهم في حركة الأدب والفكر . كذلك تعكس هذه القصيدة اهتمام شعب عسير بشكل خاص وشعب وحكومة المملكة بشكل عام ، بقضية قومية ، هي قضية شعب عربي شقيق ، ينال الاهتمام والمساندة في مختلف المجالات والمحافل من أجل استعادة حقه المشروع في الحياة .

ملحق رقم (١)

رسالة من امير النماص إلى أحد الشيوخ بمناسبة مرور خمسين عاماً على دخول الملك عبدالعزيز الرياض



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

امارة [illegible]

الرقم: ٩١٧

التاريخ: [illegible]

المشفوعات: ————

المكرم عبدالله بن محمد [illegible] سلمه الله

بناء على ما تلقيناه من سعادة [illegible] برقم ٦٠١١ وتاريخ ١٢/٦/١٣٦٧ [illegible] من [illegible] برقم ٥٩٤٤ وتاريخ ٩/٩/١٣٦٧ [illegible] ان ذكرى مرور خمسين عاماً من دخول جلالة سيدي الملك عبدالعزيز الرياض وتأسيس المملكة العربية السعودية يصادف اليوم الرابع من شهر شوال ١٣٦٩ ولقرب هذه المناسبة السعيدة فقد وضع برنامج للاحتفال بالذكرى السعيدة وابلاغ الجهات لاختصاص وحيث ان ما يخص [illegible] هو ما يلي:

١- تعطيل البلاد طوال هذا اليوم السعيد [illegible] في سائر انحاء المملكة [illegible] جلالة الملك

٢- يوزع في ذلك اليوم على سائر الايتام والفقراء غذاء خاص ممتاز وكسوة خاصة [illegible] من جلالة الملك المعظم

٣- تفتح مآدب خاصة في كل بلدة من المملكة [illegible] الشعب [illegible] في ذلك اليوم

٤- تعطيل المدارس

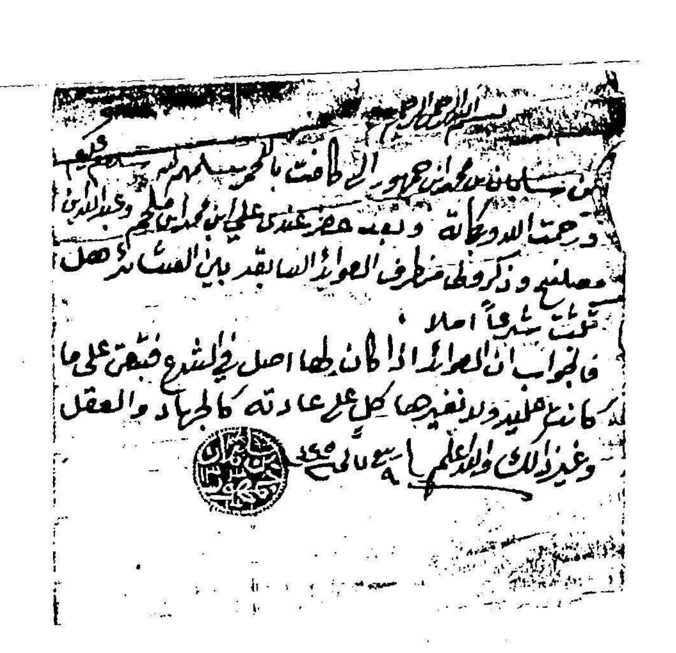
[illegible] ما يخصكم من البرنامج [illegible] انتهى

[illegible] من هذه [illegible] الايتام [illegible] بالحضور لتسليم [illegible]

امير النماص

ملحق رقم (٢)

وثيقتان حول العـادات والتقاليـد الاجتماعيـة القبلية في بعض أجـزاء عسير (الربيعان ، ١٣٤٥هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن محمد بن جمهور إلى كافة [illegible]

ورحمة الله وبركاته وبعد حضر عندي علي بن محمد [illegible] وعبد الله بن [illegible]

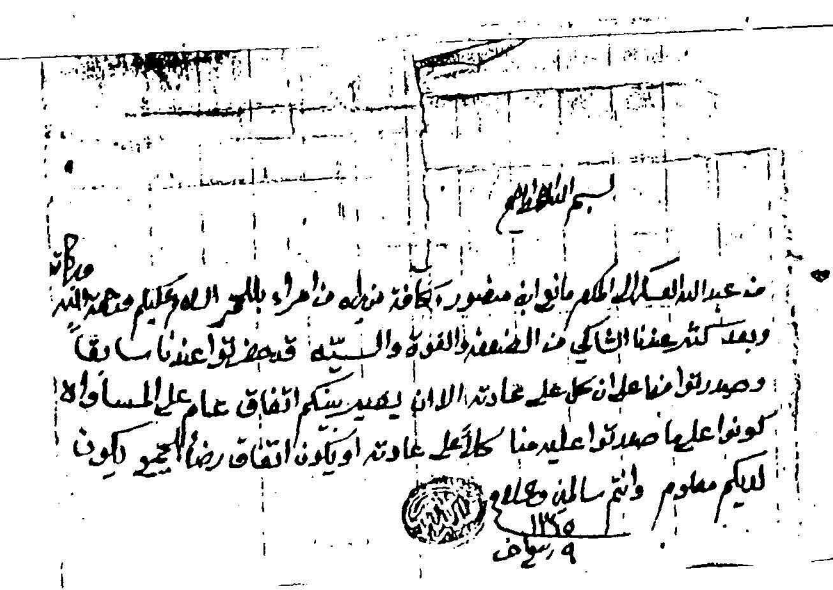
مصلح وذكروا لي [illegible] العوائد السابقة بين القبائل هل

تثبت شرعاً أم لا

فالجواب أن العوائد إذا كان لها أصل في الشرع فيبقى على ما

كانوا عليه ولا تغيير كل على عادته كالجهاد والعقل

وغير ذلك والله أعلم [illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله [illegible] إلى [illegible] كافة [illegible] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد كثر عندنا الشاكي من الضعفة والقوة والسنة قد حضروا عندنا سابقاً

وصدرتوا منا على أن كل على عادته الآن يصير بينكم اتفاق عام على المساواة

كونوا على ما صدرتوا عليه منا كل على عادته أو يكون اتفاق رضا الجميع لكون

لديكم معلوم وأنتم سالمين والسلام

١٣٤٥

٩ شوال

ملحق رقم (٣)

رسالة من أمير عسير إلى بعض أمراء بللحمر ، في (٤ رمضان ، ١٣٥٤هـ)

ملحق رقم (٤)

رسالة تدور حول العزاء عن طريق الرسائل في (١٤٠٩/٥/١٥هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة عسير
المكتب الخاص



الرقم ١ / س ط / ١٠٨٢
التاريخ ١٥ / ٥ / ١٤٠٩هـ
التوابع

المكرم سعد بن شبيلي / تنومه

بلغنا نبأ وفاة الشيخ محمد بن شبيلي .. واننا اذ نبعث لكم من احر التعازي

سائلين المولى القدير للفقيد واسع رحمته ولكم جميل الصبر والسلوان .

انا لله وانا اليه راجعون ...

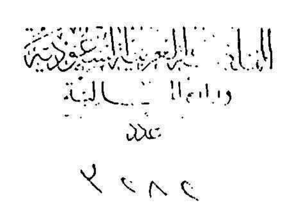
امير منطقة عسير

خالد الفيصل بن عبد العزيز



ملحق رقم (٥)

خطاب من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها ، في (١٣٥٨/٨/١٧هـ)



الموضوع – تعريفة الاسواق القديمة والحديثه

الى رئيس مالية ابها

اجابة على خطابكم رقم ٢٥٤٤ فى ١٣٥٨/٧/٢٦ حول مالوحظ من تخالف بين تعريفة الاسواق الجارى بها العمل من بدء تاسيس البلديه لديكم وبين الصورة القديمة لتعريفة الاسواق التى جرى بها العمل قبل ذلك زيادة ونقصا – نفيدكم باعتماد التعريفة الحديثه اذا كانت تستند الى اوامر رسميه . والا فاعملوا بالتعريفة القديمه ولا حاجة الى تبديل وتغيير فى الحالة الحاضرة الى بدء العام القابل . ولذا تحرر ،، ١٧ /١٣٥٨/٨ وكيل وزارة الماليه

ملحق رقم (٦)

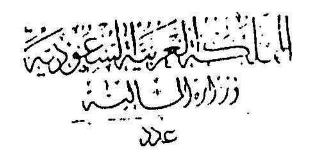
وثيقة من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها ، بخصوص نظام الدلالين في الأسواق ، في (٢٤/١٠/١٣٥٩هـ)

المملكة العربية السعودية
وزارة المالية واردات
عدد

نظام الدلالين

الي رئيس مال ابها وتوابعها

نشير الي تحريركم رقم ٤٩٨٦/ ١٨١١/ ٤٧٧٠ في ٢٠/ ٧/ ٣٥٩ ونبعث اليكم صورة من نظام الدلالين للاطلاع عليه والاحاطة بما جاء فيه ثم ابلاغه لبلديات الجهات المرتبطة بكم لاعتماده لديها ولذا تحرر ٢٤/ ١٠/ ٣٥٩ وكيل وزارة الماليه



١ـ الدلال هو الشخص الذى يعرض سلعة بطرق المزاد العلني ويتوسط بين البايع والمشترى عند انتهاء الرغبات في بيع ماعهد اليه .

٢ـ شيخ الدلالين هو الشخص الذى يعين رئيسا للطائفة هذه الحرفه طبق الاصول المتبعة في ذلك .

٣ـ هيئة طائفة الدلالين هم الاشخاص المعبر عنهم بامناء الطائفه ينتخبون من قبل الطائفه ويجرى تعيينهم طبق الاصول المتبعة في ذلك .

٤ـ كل دلال لابد ان يكون متصفا بالصفات الآتيه .

ا ـ ان لاينقص سنه عن ثمانية عشر سنه

ب ـ ان يكون مكفلا بكفالة معتبرة لدى شيخ الدلالين

ج ـ ان لايكون معروفا بسوء الامانة وفساد الاخلاق

٥ـ كل شخص يكون حائز لهذه الصفات يصلح ان يكون دلالا .

٦ـ كل دلال اراد عرض شيء بالمزاد لابد ان يعرضه قبل كل شيء علي شيخ الدلالين ليطلع عليه ويأذن بعرضه وان كان خاليا من موجبات الفحص والتدقيق في شانها كالمسروقات والممنوعات .

٧ـ الاشياء التي هي من نوع الجوهر والاحجار الكريمه والذهب تعرض اولا من قبل الدلال علي الجهات المختصه بها (للكشف عليها) ثم تعرض بالمزاد بواسطة دلالها بعد عرضها علي شيخ الدلالين .



((٢))

٨ – الاشياء التى تعرض فى الحراج بواسطة الدلال سواء كانت لاصحاب الحاجات اوالمتسببين . تعتبر معروضة فى المزاد ولافرق بينهما ويجرى فيها حكم المادة الرابعة والخامسة

٩ – على كل دلال ان يسارع فى تقييد ماجرى بيعه بواسطته فى دفتر شيخ الدلالين يوميا

١٠ – متى كان صاحب السلعة مجهولا – يؤخذ عليه كفيل معتبر يقوم باحضاره عند اى دعوى عليه فى السلعة المباعة .

١١ – على كل دلال حال بيعه اى سلعة من السلع التى سلمت له ان يذهب الى كاتب الحراج لاجل كتابة السلعة التى باعها ومقدار ثمنها واسم الشخص المشترى لها .

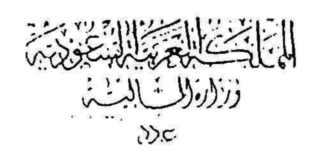
١٢ – متى خالف الدلال شيئا من هذه التعليمات يمنع لاول مرة ثلاثة ايام ويضاعف عليه الجزاء بتكرار المخالفة لثانى مرة ومتى عاد لثالث مرة يمنع شهرا وان عاد بعد ذلك يمنع بتاتا من تعاطى هذه المهنة .

١٣ – متى كفل الدلال صاحب السلعة المجهول فانه يكون مكلفا فى كل حال باحضاره ودفع ثمن السلعة عند عجز البائع عن اداء الثمن للمشترى .

١٤ – متى عرضت سلعة فى المزاد العلنى لايحق لاحد من الدلالين او المتسببين ان يعقد مع صاحبها عقد الشراء قبل انتهاء الرغبات فيها اوفى غيبة دلالها كما لايجوز ان يكون الضرر الغبن على صاحبها .

١٥ – ليس لاى دلال ان يشترى لنفسه السلعة المعروضة بواسطته كما انه ليس له ان يوسط غيره فى شرائها له ومن يفعل ذلك يجازى بمنطوق المادة العاشرة من هذا النظام .

./ يتبع



١٦ــ متى اشترى دلال او متسبب سلعة من اى دلال اخر لا يحق له عرضها بنفسه كما انه ليس له عرضها بواسطة دلال اخر للمزايدة قبل مضى ثلاثة ايام من شرائها دفعا لتهمة التزكية ــ المراضاة ــ وعلى الشيخ مراقبة ذلك ومن خالف هذه وتبين بيع السلعة فى خلال الثلاثة الايام ولو بعد مدة طويلة يكلف الدلال بدفع الزيادة للبائع الاول .

١٧ــ السلعة التى لم تنته الزيادة فيها وغاب المزاود وتعجل صاحبها وكلف الدلال ببيعها يجب على الدلال ان يعرض الامر على شيخ الطائفة بحضور رب السلعة ثم يجرى بيعها على مزاود آخر تسهيلا لمصلحة صاحبها وقضاء حاجته وفى هذه الحال لا تسمع دعوى من صاحب الزيادة الغائب لان رب المال اسقط حقه فى ذلك .

١٨ــ المزاود من حيث هو له حق الاطلاع على السلعة المعروضة حين عرضها وقبل زيادته فيها ومتى زاد وانتهت عليه الرغبات يكون ملزوما بدفع الثمن متى سمح صاحب السلعة ببيعها ولا يلتفت الى قوله انه لم يطلع على عيبها .

١٩ــ يجب على المزاود ان يطلع على السلعة المعروضة حين عرضها حتى اذا زاد شيئا فيها وانتهت عليه الرغبات يكون ملزوما بدفع الثمن متى سمح صاحب السلعة ببيعها ولا يلتفت الى قوله انه لم يطلع على عيبها .

٢٠ــ اى دلال يباشر المزاودة لنفسه بشىء ويذكر اثمانا من عندياته وغير منسوبة الى اشخاص معلومين وتحقق ذلك على الدلال فانه يكلف بدفع القيمة التى نسبها لآخر مزاود ويمنع من الدلالة ثلاثة أيام لاول مرة ويضاعف عليه الجزاء بتكرار المخالفة ومتى تكرر منه ذلك يمنع بتاتا من مزاولة هذه المهنة

يتبع

٢١ ـ متى باع الدلال سلعة بثمن ودفع لصاحبها اقل مما باع به يعد خائنا و يمنع من مزاولة هذه المهنة بتاتا و يكلف بدفع ما انتقص لصاحب السلعة .

٢٢ ـ اذا لم يحتفظ الدلال بحقوق ارباب السلع عند اجراء الزيادة او اهمل مراجعة البعض منهم واشتكى صاحب السلعة هذا الاهمال وتحقق ذلك فانه يجري عرض السلعة للمزاد ثانيا بواسطة احد النقباء و يجازى بحكم المادة العاشرة .

٢٣ ـ اذا زاد الدلال او المتسبب بالحراج في سلعة فتلزمه الزيادة و يكون مكلفا بدفع القيمة التي رسى بها المطاء عليه متى رغب صاحب السلعة في بيعها بالقيمة التي رست بها المزايدة .

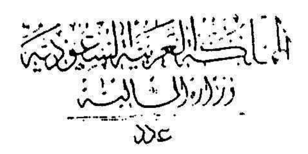
٢٤ ـ متى زاد اى شخص في اى سلعة وانتهت الزيادة عليه يكون ملزوما بدفع الثمن ولا يقبل منه اى عذر ما .

٢٥ ـ متى انكر احد المزايدين زيادة في السلعة وتوقفت عليه هذه الزيادة وثبتت بالادلة والبراهين يكون مكلفا بدفع الثمن الذي رسى به المطاء عليه .

٢٦ ـ كل دلال تصل اليه سلعة من ارملة مجهولة وولد قاصر او عبد مملوك ان لا يبت في بيع تلك السلعة الا من بعد شيخ الطائفة للتثبت بالطرق المناسبة عن عائديات تلك السلعة وجواز بيعها .

٢٧ ـ الغرابط المؤدية الى بخس الاشياء ممنوع البتة بين الدلالين والمتسببين متى ظهر وتحقق ذلك يجازى مرتكبه بمنعه من مزاولة هذه المهنة لسبعة ايام لاول مرة مع تضمينه النقص الذي وقع في ثمن تلك السلعة و يضاعف عليه المنع مع التضمين في المرة الثانية و في المرة الثالثة يسجن ثلاثة ايام و يمنع منها باتا .

(يتبع)



٣٨- متي استهلك الدلال شيئا من اموال الناس والتركات يكون مكلفا بثمن ما هلكه ومتي عجز يضمن كفيله ذلك ٠

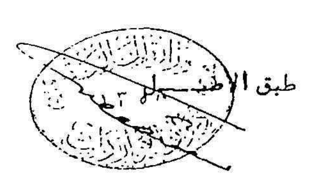
٢٩- كل من تطاول علي شيخ الدلالين بكلام لا يليق يتخذ محضرا بذلك ويعرضه علي هيئة امناء طائفته لتقرير ما يلزم من الجزاء علي التطاول ويرفعه للحكومه لاجراء المقتضي نحوه

٣٠- لا يسوغ لاي دلال ان يتعرض رب السلعة في اخذ سلعته للتدليل عليها الا اذا اختاره ومن فعل ذلك يجازى لاول مرة بالتوبيخ امام عموم الدلالين وان عاد يمنع ثلاثة ايام ويضاعف عليه الجزاء بتكرار المخالفه ٠

٣١- لا يسوغ لاي احد من الدلالين او المتسببين ان يزاود في سلعة ومتي فعل ذلك يجازى لاول مرة بمنعه ثلاثة ايام وللثاني مرة بالمنع بتاتا ٠

٣٢- لا يسوغ للدلال ان يباشر عمل السلعة التي باعها عن يده مرة اخرى لانها ربما تزيد قيمتها فيشك رب السلعة في امانته ومتي قام بتلك يجازى بالتوبيخ لاول مرة وبالمنع من مزاولة هذه المهنة ثلاثة ايام للثاني مره ويضاعف عليه الجزاء بتكرار المخالفه ٠٠

طبق الاصل



ى""

ملحق رقم (٧)

وثيقة صادرة عن مالية أبها لتحديد أسعار بعض الحبوب ، عام (١٣٥٧هـ)

عدد ٥٨٤

بيان أسعار الحبوب [illegible]

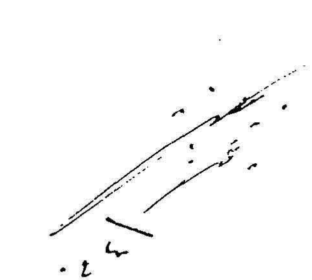
عدد	بسعر ريال الواحد	نوع الحبوب
٢	١	حنطة
٧	١	شعير
٥	١	ذرة
٤	١	عدس
٤	١	دخن

حضرة صاحب السعادة [illegible] المحترم

[illegible]

[illegible] نرجو موافقتكم على هذه الأسعار المذكورة

[illegible] ١٣٥٧



ملحق رقم (٨)

وثيقة تحدد إيجار الجمال والدواب المستخدمة في النقل من أبها إلى عدة أجزاء من إقليم عسير ، عام (١٣٦٥هـ)

موضح كشف كراوي الجمال والدواب

من أبها الى المطوفي للابانة

بالسمرا القريبة والبعيد	=	=	٨/١٠
بني شهر النماص	=	=	١٤
تنومة بني شهر	=	=	١٢
بني عمر	=	=	١٨
رجال ألمع	=	=	٨
قنا والبحر	=	=	٢٢
محايل	=	=	٨
بارق	=	=	١٢
المجارده	=	=	١٤
الدرب	=	=	١٢
بيش	=	=	١٥
صبيا	=	=	٢١
جيزان	=	=	٢٤
القنفذه	=	=	٢٢
نجران	=	=	٢٥
بيشه	=	=	١٧
القحمه بحرا	=	=	[illegible]
[illegible]	=	=	[illegible]

[illegible] ٩ / ٧ / ٦٥

ملحق رقم (٩)

وثيقة تتحدث عن اجراءات إسعاف أمير بلدة الحقو بجازان ، في (١٣٦٣/٢/٨هـ)

المملكة العربية السعودية

مالية جيزان

عدد

٦٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم — محاسبات

سعادة رئيس مالية ابها وتوابعها — المحترم

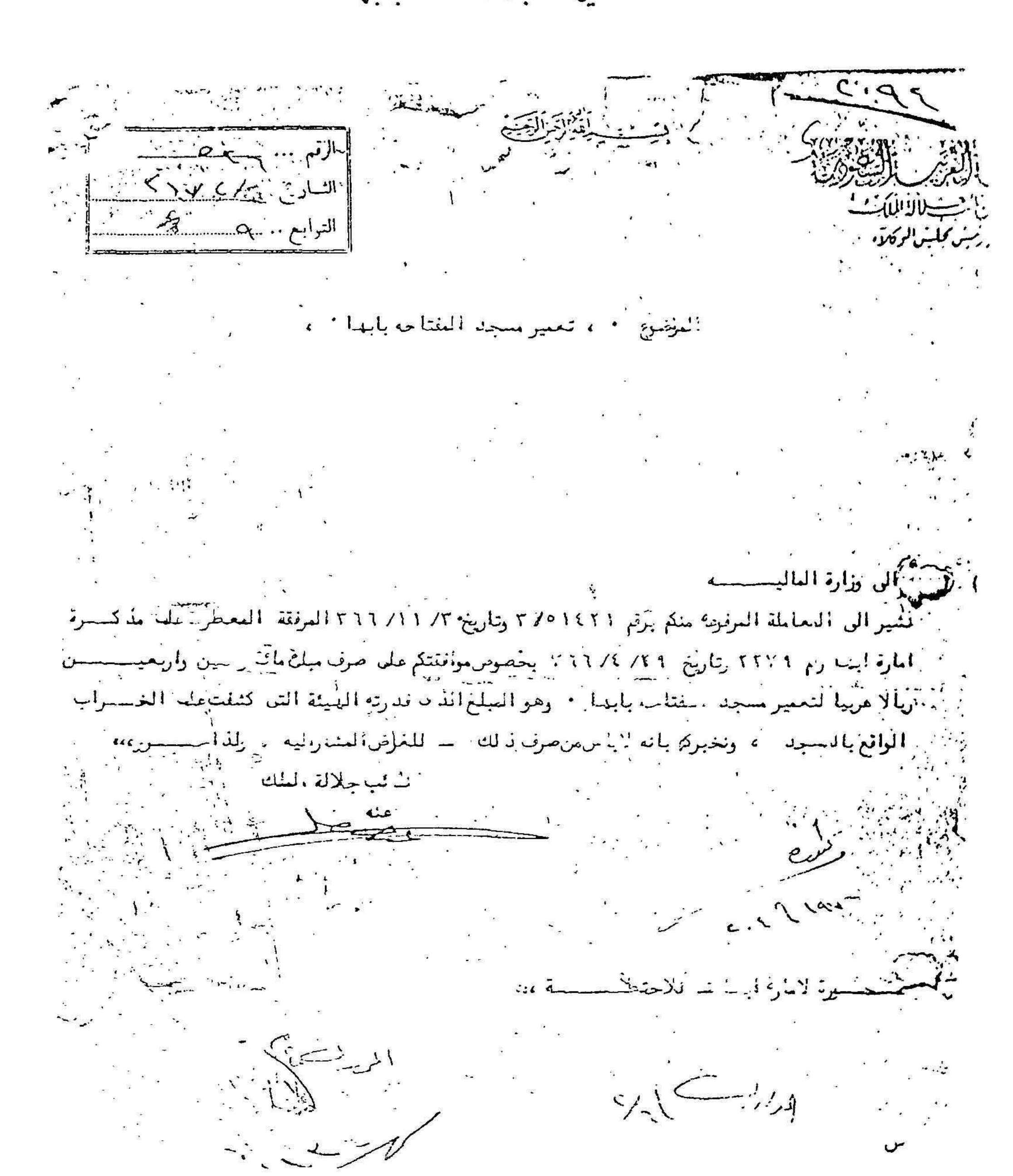
بعد التحية — كتبت لنا الوزارة برقم ٦٤١ / ١ / ٢ / ١٣٦٣ طالبة صرف ما تحتاجه سيارة نقل الماء المتوجهه الى الحقو لاسعاف اميرها المريض وقد صرفنا لها ثلاثه براميل بنزين وجالون زيت وقيدناها سلفه ارجوا صدور امركم بالموافقه والله تعالى يحفظكم حرر في ٨ / ٢ / ١٣٦٣هـ

مدير ماليه جيزان وتوابعها

كتب للوزاره برقم ٨٩٢ في ٢٨/٢/١٣٦٣

ملحق رقم (١٠)

رسالة من نائب جلالة الملك إلى وزارة المالية ، بتاريخ (١٣٦٧/٢/٦هـ) بشأن اعادة تعمير مسجد المفتاحة بأبها



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
نائب جلالة الملك
رئيس مجلس الوكلاء

الرقم ...
التاريخ ١٣٦٧/٢/٦
التوابع ... ٩

الموضوع : تعمير مسجد المفتاحه بابها .

الى وزارة الماليـــــه

نشير الى المعاملة المرفوعة منكم برقم ٣/٥١٤٢١ وتاريخ ١٣٦٦/١١/٣ المرفقة المعطوف على مذكـــرة امارة ابها رقم ٢٢٧٩ وتاريخ ١٣٦٦/٤/٢٩ بخصوص موافقتكم على صرف مبلغ مائتين واربعيـــــن ريالا عربيا لتعمير مسجد المفتاحه بابها . وهو المبلغ الذي قدرته الهيئة التي كشفت على الخـــراب الواقع بالمسجد ، ونخبركم بانه لا بأس من صرف ذلك للغرض المشار اليه . ولذا اصـــدر

نائب جلالة الملك
عنه
[signature]

صورة لامارة ابها للاحاطـــــة .

ملحق رقم (١١)

قصيدة شعرية في يوم فلسطين ألقيت في أبها في (١٣٦٠/٧/٢٣هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
ادارة التعليم

الرقم ...
التاريخ ..
المشفوعات

قصيدة من نظم المغفور له الاستاذ (موسى بن ناصر) القاها في يوم فلسطين فى أبهـا
فى اواخر الستينات لعام الثلاثمائة والألف

هتف داعى المجد من بعد الركود
ودنى الوقت لايقاظ الرقود

أيها النائم فى ظل المنى
ماالذى الهاك عن مجد الجدود

اهجر النوم وخض بحر العلا
واطلق النفس كاطلاق الاسود

ياشباب العرب هذى فرصة
سنحت فاسعوا لتحطيم القيود

وأجيبوا داعى الاوطان فى
عصبة تهدم اركان اليهود

بل اعيروا القول أسماعا تعى
فلعمرى انكم نعم الجنود

وانادوا العزم وقولوا صيحة
(يافلسطين ابشرى وافنى السعود)

يافلسطين العزيزة غردى
ذروة الاسلام انتى والبنود

سوف نفيديك بمال والدما
أو نلقى حتفنا وسط اللحود

ياسراة المجد ياقادتنا
ابلغوا الغرب بانا لن نحيد

ياسراة المجد ياقادتنا
ابلغونا ما الذى غر اليهود

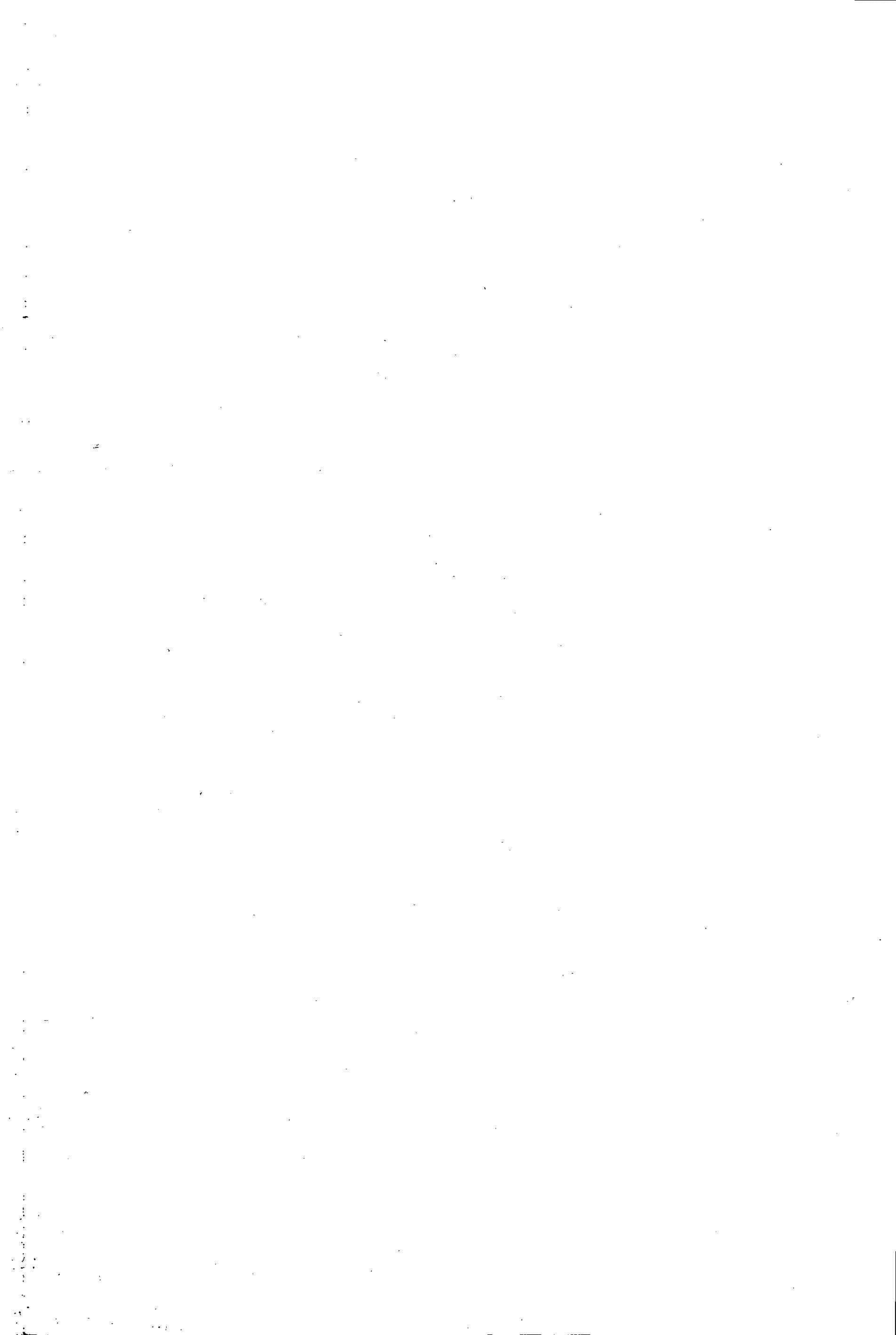
بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
ادارة التعليم ________

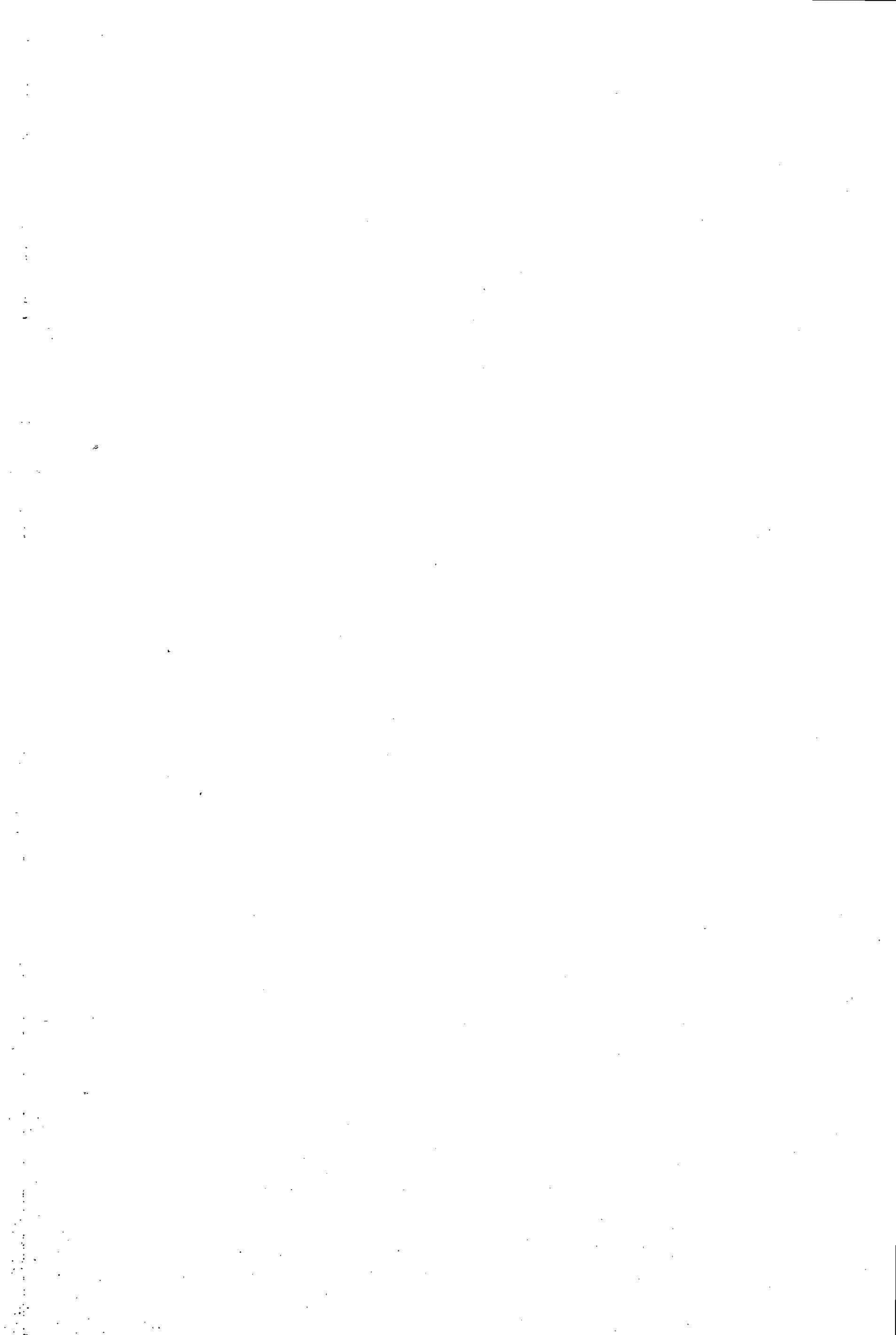
الرقم ... ________
التاريخ .. ________
المشفوعات ________

ان يكن غرهـم وافـك العـدا
فبنى العـرب بارواح تجـود
نحن لا نرضى قرارا ظالمـا
خالف الحق ونادى للصدود
اذ هو التقسيم تبا للـذى
قره ظلمنا لكى يرضى الحسود
كيف نرضى بقرار غاشـم
لا بلى والله نحن لا نريـد
نحن لا نطلب سلما قاتمـا
يهضم الحق ويرد ينـا ورود
حسبنا انا اباة كالاولـى
دوخوا الكفـار والعالم شهـود
حسبنا تركى يحـدونا الـى
ذروة العـز بعـزم كالحديد
حسبنا تركى قائد جندنـا
وسط حفل ماثل العليـا صعود
ايه تركى ابلغ الشـهم الـذى
خاض اشلاء العدا دون جمود
ابلغ الملك الذى افعاله
فى بهـود النحس امثال الرعود
اننا جندنا بمـال فـاذا
غرد الداعى فلن نرضى القعود
سوف يلقانا كمـاة بسلا
نرخص الارواح لـن نطلب مزيد

==========================



مصادر ومراجع الكتاب



مصادر ومراجع الكتاب

أولاً : المصادر والمراجع العربية المنشورة

- ابن الأثير ، **أبو الحسن علي أبي الكرم الملقب عز الدين** . الكامل فى التاريخ علق عليه وراجع أصوله ، نخبة من العلماء (بيروت : دار الكتب العربي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) أجزاء (٢ ـ ٧) .
- الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبدالله . **أخبار مكة وما جاء فيها** ، تحقيق رشدي ملحس ، ط ٤ (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .
- الألمعي ، زاهر عوض . **الألمعيات (ديوان شعر)** . (الرياض : مطابع إلفرزدق ، ١٤٠٣هـ) .
- الألمعي ، محمد بن حسن بن غريب . **النبات في عسير** (أبها : النادي الأدبي ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢) .
- الألمعي ، يحيى بن ابراهيم . **رحلات في عسير ، نصوص ، انطباعات ، وصف مشاهدات** (الناشر والتاريخ بدون) .
- الألمعي ، يحيى بن ابراهيم . **من روابي عسير** (ديوان شعر) (أبها مازن للطباعة ، ١٤٠٦هـ) .
- باشا ، أيوب صبري . **مرآة جزيرة العرب** ، ترجمة من اللغة التركية وقدم له ، أحمد فؤاد متولي ، والصفصاف أحمد مرسي (الرياض : دار الرياض للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

(*) سوف يلاحظ القارىء الكريم بأن هناك وثائق وردت في هذا الكتاب غير منشورة من قبل . ولا توجد ضمن ارشيف أو دار وثائق معينة . وإنما جمعت بطريقة شخصية من أنحاء جنوبي المملكة العربية السعودية ، ثم قام الباحث بفرستها تحت ارقام خاصة لديه حتى يسهل له ولجموع الباحثين الاستعانة بها من منطلق التعاون العلمى . وقد قام الباحث باستخدام بعض هذه الأرقام عند توثيق المادة العلمية على مدار هذا الكتاب .

- باشا ، سليمان شفيق . « بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق » مجلة العرب ، جـ ٤ ، (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ص ٢٤٩ـ ٢٥٤ .
- باشا ، سليمان شفيق . « بلاد العرب في مذكرات سليمان .. » مجلة العرب ، جـ ٥ ، (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ص ٣٥٠ـ ٣٥٨ .
- باشا ، سليمان شفيق . « بلاد العرب في مذكرات سليمان .. » مجلة العرب ، جـ ٤ ، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ، ص ٣٠٢ـ ٣٠٩ .
- باشا ، سليمان شفيق . « بلاد العرب في مذكرات سليمان .. » مجلة العرب ، جـ ٨ ، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ، ص ٦٢٢ـ ٦٣٠ .
- باشا ، سليمان شفيق . « بلاد العرب في مذكرات سليمان .. » مجلة العرب ، جـ ٦ ، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م) ، ص ٤١٣ـ ٤١٥ .
- باشا ، سليمان شفيق . « بلاد العرب في مذكرات سليمان .. » مجلة العرب ، جـ ٩ ، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ص ٦٧٦ـ ٦٧٩ .
- باشا ، سليمان شفيق . « بلاد العرب في مذكرات سليمان .. » مجلة العرب ، جـ ٢ ، (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ص ٩٢ـ ٩٧ .
- باشا ، سليمان شفيق . « مذكرات سليمان شفيق باشا » (متصرف عسير) ، جمع وتحقيق محمد بن أحمد العقيلي (أبها : النادي الأدبي ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) .
- بدون ، روبن . الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية . ترجمة عبدالله آدم نصيف (الرياض : د.ن ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) .
- البركاتي ، شرف عبدالمحسن . الرحلة اليمانية (دمشق وبيروت : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٨٤هـ) .
- ابن بشر ، عثمان . عنوان المجد في تاريخ نجد (القاهرة ، ١٩٧٣م) .
- ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله . رحلة ابن بطوطة (بيروت : دار صادر ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) .

- بيرين ، جاكلين . اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرات والعلم . ترجمة قدري قلعجي (بيروت : دار الكاتب العربي ، تاريخ النشر بدون) .
- تاميزيه ، موريس . « رحلة (تاميزية) إلى الجزيرة العربية سنة ١٨٣٤م » مجلة العرب ، جـ ٩ ـ ١٠ (الربيعان ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ، ص ٦٥٥ ـ ٦٧٤ .
- تاميزيه ، موريس . رحلة في بلاد العرب . الحملة المصرية على عسير (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) ترجمة محمد بن عبدالله آل زلفه (الرياض : مطابع الشريف ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .
- الجاسر ، حمد . في سراة غامد وزهران ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٨م) .
- ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد . رحلة ابن جبير (ليدن ، ١٨٥٢م) .
- ابن جريس ، غيثان علي . « أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية » مجلة العرب ، جـ ٩ ـ ١٠ (الربيعان ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٥٩٤ ـ ٦١٠ .
- ابن جريس ، غيثان علي . « أهم الملابس العربية خلال العهود الاسلامية الأولى » مجلة المنهل ، العدد (٤٩٨) مج (٥٤) (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٧٨ ـ ٩٥ .
- ابن جريس ، غيثان علي . « أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الاسلامية المبكرة » مجلة المنهل ، العدد (٤٩٢) مج (٥٣) (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، ص ٨٢ ـ ٩٦ .
- ابن جريس ، «بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى» مجلة الدارة العدد الثالث ، السنة التاسعة عشرة (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ص ٧٦ ـ ١١١ .
- ابن جريس ، غيثان علي . « بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين » . (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .
- ابن جريس ، غيثان علي . « بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الاسلامي الوسيط » مجلة العرب ، جـ ٩ ـ ١٠ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٦٠٧ ـ ٦٢٣ .

- **ابن جريس ، غيثان علي . « صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول »** . (جدة : مطابع البلاد ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) .
- **ابن جريس ، غيثان علي . « صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية » مجلة العرب** ، جـ ٧ ـ ٨ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٤٤٥ ـ ٤٦١ .
- **ابن جريس ، غيثان علي . « الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية الأولى » مجلة العرب** ، جـ ٧ ـ ٨ (محرم وصفر ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٤٤٧ ـ ٤٦١ .
- **ابن جريس ، غيثان علي . « العمائم تيجان العرب » مجلة بيادر** ، نادي أبها الأدبي ، عدد (٨) (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٦٦ ـ ٧١ .
- **ابن جريس ، غيثان علي . « ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير في عهد الملك عبدالعزيز » مجلة العرب** ، جـ ١ ـ ٢ (رجب وشعبان ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٢٧ ـ ٤٤ .
- **الجميعي ، عبدالمنعم . الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير ، ١٣٢٦ ـ ١٣٤٩هـ/ ١٩٠٨ ـ ١٩٣٠م** (خميش مشيط : دار جرش للتوزيع ، ١٩٨٧م) .
- **الجميعي ، عبدالمنعم . ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية** (خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع) ، (د.ت) .
- **الجميعي ، عبدالمنعم . عسير خلال قرنين ، ١٢١٥ ـ ١٤٠٨هـ/ ١٨٠٠ ـ ١٩٨٨م** (أبها : النادي الأدبي ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) .
- **الجميعي ، عبدالمنعم . « من وثائق التاريخ الاجتماعي لمنطقة عسير » مجلة العرب** ، جـ ٧ ـ ٨ ، (محرم وصفر ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٨ .
- **حافظ ، علي . أربعة أيام في منطقة الباحة** (جدة : شركة المدنية المنورة للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ) .
- **الحامد ، عبدالله . « الحياة الاجتماعية في جزيرة العرب خلال قرنين من الزمان (١١٥٠ ـ ١٣٥٠هـ) » مجلة العرب** ، جـ ٣ ـ ٤ ، رمضان وشوال (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص ١٩٥ ـ ٢٠٨ .

- ابن حزم . علي . **جمهرة أنساب العرب** (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .
- **الحفظي ، إبراهيم بن علي زين العابدين . تاريخ عسير ، رؤية تاريخية خلال خمسة قرون . تحقيق وتعليق محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشرى - (معلومات النشر غير مدونة) .**
- الحقيل ، حمد بن إبراهيم . **كنز الأنساب ومجمع الآداب** (القاهرة ، مطبعة ومكتبة التحرير ، ١٤٠٠هـ) .
- حمزة ، فؤاد . **في بلاد عسير** ، ط ٢ (الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) .
- حمزة ، فؤاد . **قلب جزيرة العرب** ، ط ٢ (الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) .
- ابن حميّد ، عبدالله . **أديب من عسير ، نماذج من شعره ونثره** ، جمع محمد بن عبدالله الحميّد (أبها : مطابع عسير ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .
- حيدر ، أحمد محمد . **الجغرافيا الزراعية لمنطقة عسير** (أبها : النادي الأدبي ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .
- أبو داهش ، عبدالله . **أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية** (الرياض : مطابع الشريف ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) .
- أبو داهش ، عبدالله . **الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ١٢٠٠ - ١٣٥١هـ/ ١٧٨٥ - ١٩٣٢م** . (أبها : النادي الأدبي ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .
- أبو داهش ، عبدالله . **عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى ١٢١٥ - ١٢٣٣هـ** (أبها : النادي الأدبي ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) .
- الدباغ ، مصطفى . **جزيرة العرب ، موطن العرب ومهد الاسلام** (بيروت : دار الطليعة ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) .

- دحلان ، أحمد زيني . خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام . (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .
- الدمياطي ، محمود . معجم أسماء النبات الواردة في تاج العروس (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥م) .
- الدوسري ، شعيب عبدالحميد . إمتاع السامر بتكملة الناظر (القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٣٦٥هـ) .
- الدينوري ، أبو حنيفة أحمد . كتاب النبات ، القسم الثاني من القاموس ، تحقيق محمد حميد الله (القاهرة ، ١٩٧٣م) .
- الدينوري ، أبو حنيفة أحمد . كتاب النبات ، الجزء الثاني والنصف الأول من الجزء الخامس ، تحقيق برنهاردلفين (بفيسبادن ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) .
- رسلان ، عبدالمنعم . « بعض استحكامات منطقة عسير الحربية في العهد العثماني » مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، أم القرى ، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) سنة (٥) عدد (٥) ص ٣٨٩ ـ ٤٢٨ .
- الرفاعي ، وهبي الحريرى . عسير ، تراث وحضارة (الرياض : شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
- رفيع ، محمد عمر . في ربوع عسير (القاهرة : دار العهد الجديد للطباعة ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) .
- الريحاني ، أمين . ملوك العرب ، رحلة في البلاد العربية (بيروت : دار الجيل ، ١٩٨٧م) .
- ابن زبارة ، محمد بن يحيى . أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة (اليمن : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) .

- آل زلفه ، محمد . **دراسات في تاريخ عسير الحديث** (الرياض ، مطابع الشريف ، ١٤١٢هـ) .
- آل زلفه ، محمد . « **دور عسير في أحداث الحجاز في الفترة مابين – 1855/1272) (1850/1267 في عهد الشريف عبدالمطلب على ضوء الوثائق العثمانية** » السنة (١٠) العدد .pp.47-60 (1983) (29-30)
- الزهراني ، محمد مسفر . **بلاد زهران في ماضيها وحاضرها** (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٣٩٠هـ) .
- سادلير ، ج . فورستر . **مذكرات عن رحلته عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع البحر الأحمر عام ١٨١٩م** . ترجمة أنس الرفاعي ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .
- السبيت ، عبدالرحمن وآخرون . **رجال وذكريات مع عبدالعزيز** (الرياض : الحرس الوطني ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .
- السبيت ، عبدالرحمن وآخرون . **من وثائق الملك عبدالعزيز** (الرياض : الحرس الوطني ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .
- ابن سعد ، محمد . **الطبقات الكبرى** (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .
- السيد ، عصام ضياء الدين . **عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية (١٣٣٨ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩١٩ ـ ١٩٣٤م)** (القاهرة : دار الزهراء للنشر ، ١٤٠٩/ ١٩٨٩م) .
- ابن سيده ، أبو الحسن . **كتاب المخصص** . (القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) .
- شاكر ، محمود . **شبه جزيرة العرب ، عسير ، ط ٣** (بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

- **الشريف ، عبدالرحمن صادق . جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقليم جنوب غرب المملكة** (الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
- **آل طالع ، عبدالكريم عائض . قبيلة شهران بين الماضي والحاضر** (مكان وتاريخ النشر بدون) (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
- **العارف ، يوسف حسن . أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا** (أبها : النادي الأدبي ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) .
- **عاكش ، حسن أحمد . الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض** ، تحقيق عبدالله بن علي بن حميّد (مكان واسم الناشر بدون ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) .
- **عسيري ، علي أحمد . أبها في التاريخ والأدب** (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .
- **عسيري ، علي أحمد عيسى . عسير في ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م - ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م دراسة تاريخية** (أبها : النادي الأدبي ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) .
- **عسيري ، علي . « وادي الغيل » مجلة الجنوب** (أبها ، ١٤٠٩هـ السنة (٦) عدد (٦٢) .
- **العقيلي ، محمد بن أحمد . تاريخ المخلاف السليماني** (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) .
- **أبو العلا ، محمد . « إقليم عسير »** ، بحث منشور في **الدراسات الخاصة رقم (١) ، والمنشورة في معهد البحوث والدراسات العربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** (القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ص ٨٧ - ٢٢٠ .

- **العلي ، صالح أحمد . « تحديد الحجاز عند المتقدمين » مجلة العرب** ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ، جـ ١ ، ص ١ ـ ٩ .
- **العمروي ، عمر . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد بارق** (الرياض : وزارة المعارف ، ١٣٩٨ ـ ١٣٩٩هـ) .
- **العمروي ، عمر . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد رجال الحجر** (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧ ـ ١٣٩٨هـ) .
- **العمروي ، عمر . « حول قبيلة الحجر » مجلة العرب** جـ ٩ ـ ١٠ (١٣٩٦هـ) ، ص ٧٤٦ ـ ٧٤٩ .
- **العمري ، عوض . أدب وتاريخ من بني عمرو** (جدة : مطابع سحر ، ١٣٩٨هـ) .
- **العوتبي ، سلمه بن مسلم . الأنساب** (سلطنة عمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
- **عيسى ، ابراهيم بن صالح . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم ، وبناء بعض البلدان** (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) .
- **الغامدي ، جمعان . « العيد في الباحة قبل ربع قرن » مجلة الباحة** ، عدد (٣٤) (١٤١١هـ) ، ص ٤١ .
- **أبو الفتح ، حسين . نباتات طبية من الجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية** (خميس مشيط : مطبعة الثغر ، ١٩٨٧م) .
- **ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم . كتاب الأنواء في مواسم العرب** (حيدر اباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) .
- **القحطاني ، عبدالله سالم . موجز تاريخ وأحوال منطقة عسير ١٢١٥ ـ ١٣٤١هـ** (الرياض : الناشر غير مذكور ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

- القحطاني ، محمد بن مفرح . « التحليل المكاني للخدمات ... في وادي تندحة بمنطقة عسير » مقالة منشورة في سلسلة محكمة غير دورية تصدرها الجمعية الجغرافية السعودية ، جامعة الملك سعود - الرياض (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) .
- ابن المجاور ، جمال الدين . صفة بلاد اليمن ومكة وبلاد الحجاز (المسمى تاريخ المستبصر) ، تحقيق أوسكر لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١م) .
- مسفر ، عبدالله علي . السراج المنير في سيرة امراء عسير (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) .
- مطاعن ، أحمد إبراهيم . «ماضى الحياة الاقتصادية في منطقة عسير» مجلة الجنوب ، عدد (٤٣) (١٤٠٧هـ) ص ٤٥ - ٤٩ .
- المعبدي ، مبارك محمد . النظم الادارية والمالية في تهامة عسير خلال الاشراف السعودي ١٣٤٥ - ١٣٥١هـ (جدة : شركة دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ) .
- معبر ، محمد أحمد . مدينة جرش من المراكز الحضارية القديمة (خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .
- مغربي ، محمد علي . ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر ، ط ٢ (جدة : دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) .
- النعمي ، هاشم . تاريخ عسير في الماضي والحاضر (معلومات النشر وتاريخه بدون) .
- المهان ، محمد ذيب . شعراء من الجنوب (الرياض : مطابع الاشعاع التجارية ، ١٤٠١هـ) .
- الهمداني ، الحسن بن أحمد . صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض : دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

- **الهمداني ، الحسن بن أحمد . كتاب الأكليل** ، تحقيق محب الدين الخطيب (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٦٨هـ) جـ ١٠ .
- **الهمداني ، الحسن بن أحمد . كتاب الأكليل** ، تحقيق محمد بن علي الأكوع (بيروت : شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) جـ ١ .
- **الواسعي ، عبدالواسع يحيى . تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن** (صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
- **الوهيبي ، عبدالله . « الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب » مجلة كلية الآداب** ، جامعة الرياض ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ، جـ ١ ، ص ٥٣ - ٧٠ .
- **ياقوت ، شهاب الدين . معجم البلدان** (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

ثانيا : الأبحاث غير المنشورة والمقابلات :

أ - الأبحاث غير المنشورة :

- **الأحمري ، عبدالله سعيد عبدالله . « النتائج الجغرافية لتطوير العقبات بين الجوه وشعار »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود - (كلية التربية بأبها ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .
- **الأحمري ، عثمان سعيد . « بلاد بللحمر من ١٢١٥ - ١٣٦١هـ »** ، بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ .
- **أقرع ، علي رازم . « وثائق تعكس الصور الاجتماعية والاقتصادية بمنطقة جازان خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٢هـ .

- **البراق ، ماجد خالد** . « **بيش المدينة والإقليم** » بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- **البشري ، إسماعيل محمد** . « **إقليم عسير في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٣٨ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩١٩ ـ ١٩٥٣م)** رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، القاهرة ، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .
- **البشيري ، أحمد بن حسن** . « **معجم النباتات في منطقة جازان** ، **بحث تاريخي غير منشور** ، لنيل درجة البكالوريوس من جامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ .
- **التركي ، عبدالعزيز عبدالكريم** . « **أثر تطور شبكة الطرق في انعاش منطقة أبها الحضرية الداخلية** » بحث جغرافي ، غير منشور ، لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- **حقوي ، محمد أحمد** . « **النباتات والأعشاب الطبيعية في منطقة جيزان** » ، بحث تاريخي غير منشور ، لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ .
- **الحقوي ، يحيى ابراهيم** . « **الحالة الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة بيش خلال القرن الرابع عشر** » بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود كلية التربية بأبها ١٤١٣هـ .
- **حمير ، علي سعيد** . « **الحياة الاجتماعية في بلاد شهران خلال القرن الثالث عشر الهجري** » ، بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ .
- **دحموس ، سعيد حسين** . « **بحث جغرافي تطبيقي عن التطور الحضاري في أحد رفيده** » ، دراسة غير منشورة لنيل درجة البكالوريوس ، جامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

- **الدربي ، علي صليع . « الدرب في القرن الثالث عشر الهجري »** بحث تاريخي لنيل درجة البكالوريوس ، جامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- **راجحي ، حسين عبدالله . « معجم الأدوات الأثرية المستخدمة في منطقة جيزان »** بحث تاريخي غير منشور ، لنيل درجة البكالوريوس - بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ١٤١٣/ ١٤١٤هـ .
- **الزهراني ، محمد حمدان . « تاريخ بلاد زهران بالسراة »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٢هـ .
- **الزهراني ، محمد سعيد المضحوي . « تهامة بلاد زهران : تاريخ وحضارة (١٢٥٥ - ١٣٥٣هـ) »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس - بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- **أبو شرحه ، أحمد علي . « استغلال الثروة السمكية في سواحل جيزان »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس - بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- **الشمراني ، سفر خلف عائض . « الحياة الاجتماعية في بلاد شمران خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور ، لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
- **الشهراني ، مسعود محمد تومان . « جغرافية النخيل الزراعية في منطقة بيشه »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- **الشهري ، حسن بن محمد حمدان . « الخدمات العامة في النماص وتنومة (دراسة مقارنة) »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٦هـ .

- **الشهري ،رشاد عبدالله . « آثار وادي عياء ببلاد بللحمر »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، جامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ .
- **الشهري ، سالم علي . وعبدالرحمن مناع العمري « عن قرى بني ثابت ببلاد بني شهر »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
- **الشهري ، سعد بن علي بن عبدالله . « النشاط الاقتصادي في منطقة النماص »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .
- **الشهري ، صالح علي محمد . « دراسة جغرافية مقارنة للأسواق الريفية الاسبوعية الدورية في منطقتي سراة وتهامة بني شهر »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .
- **الشهري ، عبدالله حاسن . « سكان منطقة النماص ، دراسة ايكولوجية »** بحث جغرافي لنيل درجة البكالوريوس ، جامعة الملك سعود ـ كلية الآداب بالرياض ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .
- **الشهري ، علي محمد خلوفة . « جغرافية الانتاج الزراعي لمنطقة النماص »** بحث جغرافي غير منشور ، بجامعة الملك سعود ـ كلية التربية بأبها ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- **الشهري ، محمد علي ، وعبدالرحمن علي عبدالرحمن . « جغرافية وادي زيد ببني شهر »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود كلية التربية بأبها ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

- **الشهري ، مفرح سعد عبدالله . « مخططات التنمية وتطور المدن في المنطقة الجنوبية الغربية ، مثال مدينة المجاردة في تهامة بني شهر »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ .
- **طوهري ، محمد علي . « النباتات في وادي خلب بمنطقة جيزان - أسماؤها وفوائدها »** بحث تاريخي جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ .
- **عباس ، عائض أحمد . « جماليات أشكال العمران وزخارفه بمنطقة عسير »** بحث جغرافي لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود ، كلية التربية بأبها ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
- **عبدالله ، علي مغرم مريع . « النبات في إقليم عسير »** بحث جغرافي لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
- **عطيه ، ربيع مهدي . « الحياة الاقتصادية في منطقة صبيا خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ .
- **العلياني ، ظافر صالح . « بلاد باشوت خلال القرن الرابع عشر »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ .
- **العمري ، حبيب محمد سليم . « جغرافية مصادر المياه في منطقتي النماص وبني عمرو - عسير »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٨هـ .

- **العمري ، عبدالرحمن محمد مشرف . « بلاد بني عمرو خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
- **العمري ، علي صالح مانع آل سالم . « بلاد بني رافع (بنو عمرو - عسير) خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
- **العمري ، محمد علي آل غازي . « قبيلة بني عمرو خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- **العمري ، مشرف علي مشرف . « الحياة الاجتماعية في بلاد بني عمرو خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
- **العنبر ، سلطان عنبر « الطرق في منطقة عسير ودورها في تطوير الخدمات »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .
- **العواد ، عبدالعزيز عبدالله . « التطور الزراعي في منطقة عسير »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس - بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .
- **عيسى ، عمر محمد جبران . « الحياة الاجتماعية في مدينة صبيا خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ .

- فقيه ، عرار حسين . « **الحياة الاجتماعية في مدينة جازان خلال القرن الرابع عشر الهجري** » بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
- القحطاني ، حسن أحمد حنش . « **تطور شبكة الطرق في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية** » بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
- القحطاني ، يحيى محمد شويل . « **استغلال الأراضي الزراعية في منطقة سراة عبيدة** » بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .
- القرني ، تركي عبدالله . « **بلاد بلقرن خلال الربع الثاني من القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري** » بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ .
- القرني ، سعد سعيد . « **جغرافية الزراعة في منطقة تنومة** » بحث جغرافي لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٦هـ .
- القرني ، سعود سعد . « **الأسواق الريفية في بلاد بلقرن - السراة** » بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
- القرني ، عبدالله ظافر . « **تنومة المدينة والإقليم** » بحث جغرافي لنيل درجة البكالوريوس ، بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .
- المقر ، علي غرم . « **النماص** » بحث جغرافي لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٨هـ .

- **محفوظ ، حسين ابراهيم . « الحياة الاجتماعية في المخلاف السليماني خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
- **مريع ، عبدالله محمد . « قبيلة بني مغيد خلال القرن الثالث عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، جامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٢هـ .
- **النهاري ، علي بن أحمد . « دراسة في تاريخ بلاد الحقو (حقو ماغص بجازان) خلال القرن الرابع عشر الهجري »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ .
- **نهاري ، ملهي أحمد . « معجم الأدوات الأثرية وبعض العادات والتقاليد في مدينة بيش »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود ، كلية التربية بأبها ، ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ .
- **الوادعي ، سعيد بن سعد . « الزراعة في بلاد وادعة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود ، كلية التربية بأبها ، ١٤١١هـ .
- **وهاس ، عبدالمجيد حسن . « تهامة بلقرن وشمران »** بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤١٢هـ .
- **آل يعن الله ، محمد علي . « بلاد بللسمر بين الأمس واليوم »** بحث جغرافي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بجامعة الملك سعود - كلية التربية بأبها ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

ب ـ المقابلات الشخصية :

ـ مقابلة شخصية مع كل من الشيخ سعد بن شبيلي وزارع بن محمد بن زارع الشهري في منزل الشيخ سعد بن شبيلي بتنومة في ٤/٢/١٤١٠هـ .

ـ مقابلة شخصية مع مناع بن علي بن عمره من قرية آل مقبول بقبيلة بني كريم بلاد بني عمرو ـ عسير ، في ١٣ و ١٤/٩/١٤٠٩هـ .

ـ مقابلة شخصية مع الشاعر الشعبي حامد بن ظافر بن حامد العمري بعشيرة آل سليمان ببلاد عمرو الشام ، الأجزاء السروية ـ عسير ، في ١١ ، ١٢/١/١٤١٠هـ .

ـ مقابلة شخصية مع الأستاذ يحيى بن حسن بن مستور في منزله بحي شمسان بأبها في ٢٢/١٢/١٤١٣هـ .

ـ مقابلة شخصية مع الأستاذ قاسم بن موسى بن ناصر بن فرج ، وكيل ادارة تعليم أبها ، في منزله بسرثبته بأبها في ٢٧/١/١٤١٤هـ .

ـ مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد مطاعن في منزله بحي الخالدية بأبها في ٢٣/١٢/١٤١٣هـ .

ثالثا : المراجع الأجنبية

- Ahsan, M.M. Social Life Under the Abbasids, (London:Longman, 1979.)
- Bidwell, Robin and Rex Smith. Islamic Studies. Articles Presented to R.B. Serjeant on the Occasion of his retirement from the Sir Thomas Adam's Chair of Arabic at the Univ. of Cambridge (London: Longman, 1983).
- Blehed, A.S. Aspects of Emergence and Change in Asir, Saudi Arabia. Ph.D. Thesis, Univ. of Southampton (England, 1982).
- Burckhardt, J.ludwig Travels in Arabia (London: Henrycolburn, 1829).
- Burton, Sir Richard. Personal Narrative of a Pilgrimage to al-Madinah and Mecca (London: G.Bell and Sons, 1913).
- Cornwalls, Sir Kinahan. Asir Before World War-I: A handbook (New York and Cambridge, 1976).
- Dayton, J.E. "Midianite and Edomite Pottery" Proceeding of the fifth Seminar for Arabian Studies (London, 1971) pp.25-38.
- al-Dinawari, Abu-Hanifa Ahmad. Abu-Hanifah al-Dinawari's Book of Plants (Kitab al-Nabat) an Annotated English Translation of the Extent Alphabetical Portion. by A.Y. Breslin, Unpublished Master's thesis, University of Arizona, 1986.
- Doughty, Charles. Travels in Arabia Desert -(New York = Dover publication) nc., 1976.
- O'Fahey, R.C. Enigmatic Saint, Ahmad Ibn Idris and Idrisi Tradition (London: Hurst & Company, 1990).
- Gingrich, Ander and Johann Heib. "A note on Traditional Agricultural Tools in Sadah Province (with Special Reference to the Ard" Proceeding of the Seminar for Arabian Studies (London, 1986) vol. 16, pp. 51-64.

- Heliss, Johann. "Historical and Social Aspects of Sadah, A Yemen Town" Proceeding of the Seminar for Arabian Studies (London, 1987) vol. 17, pp. 63-80.

- Hogarth, David George. Hejaz Before World War-I (England, 1978).

- Hurgronje, C.Snouck. Mecca in the Later Part of the 19th Century, tr. From Dutch by J. Monohon (Leiden, 1970).

- Jrais, Ghithan Ali. The Social, Industrial and Commercial History of the Higaz Under the Early Abbasids, 132-232/749-847, Ph.D. Thesis, Victoria Univ. of Manchester, 1989).

- Lane, Edward William. Arabian Society in the Middle Ages. ed. by Stanly Lane-pole and intro by C.E. Bosworth. (London, 1987).

- Lawrence, T.E. Seven Pillars of Wisdom. (New York, Penguin Books, 1962).

- Mughram, A.A. Assarah, Saudi Arabia. Change and Development in A Rural Context, Ph.D. Thesis, Durham Univ. (England, 1973).

- Philby, H.St. Arabian Highlands (New York, Da Capo Press, 1976).

- Serjeant, R.B. Islamic Textiles (Beirut, 1972).

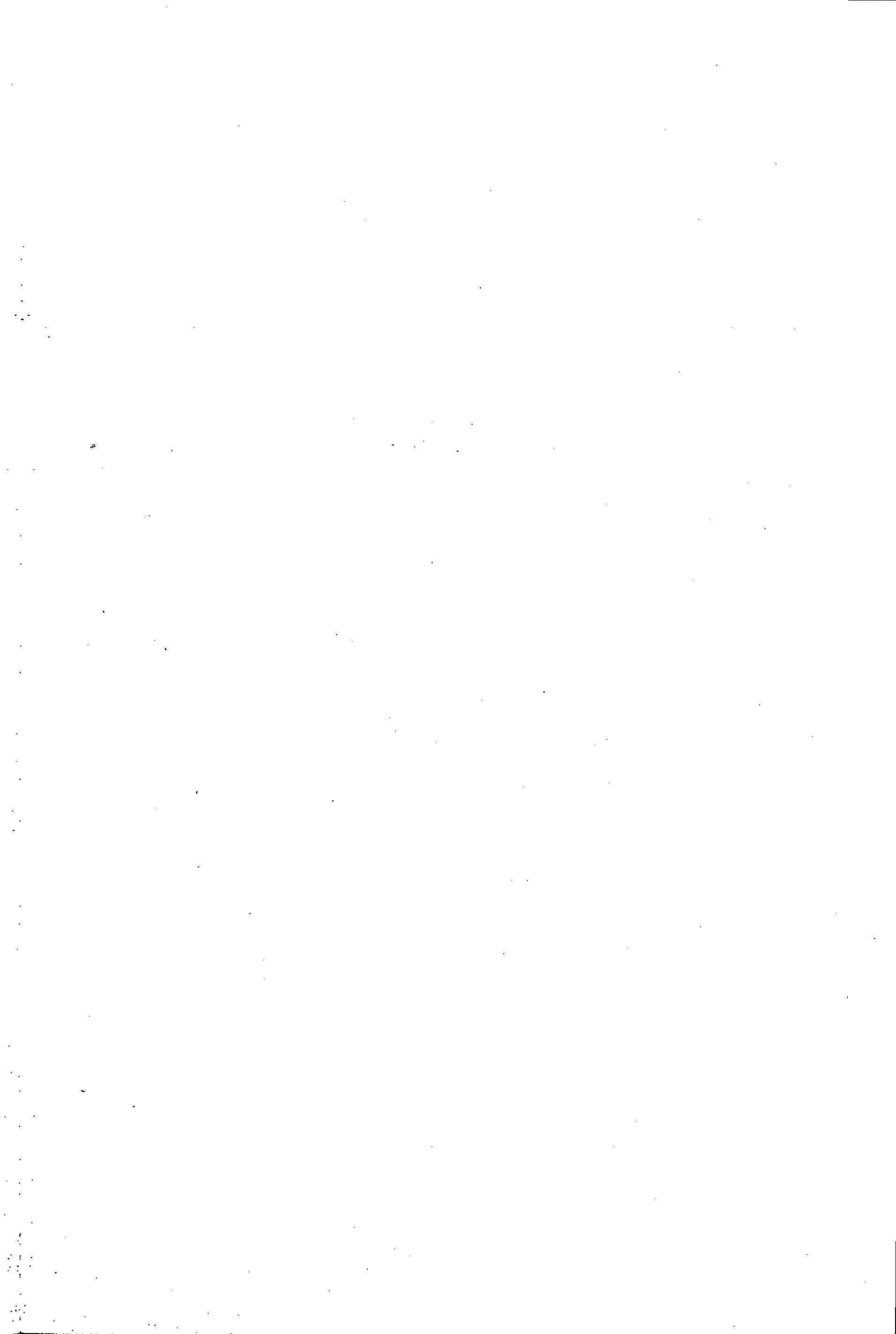
- al-Shomrany, Salih Ali. Agricultural Land Use Patterns in Relation to the Physical, Locational and Socio-economic Factors in Assarah Region of Saudi Arabia. Ph.D. Thesis, Michigan State Univ. USA, 1984.

- Stevens, J.M. "The Role of Major Agricultural Projects in the Economic Development of Arabian Peninsula countries" Proceeding of the Seminar for Arabian Studies, 1971. pp. 140-144.

- Twitchell, K.S. Saudi Arabia, with an Account of the Development of its Natural Resources (New York, Greenwood Press, 1969).

- Weir, Shelagh. "Some Observation on Pattery and Weaving in the Yemen Arab Republic" Proceeding of the Seminar for Arabian Studies (London, 1971) pp. 65-76.

- al-Zaidi, Shakir Khalaf. The Process of Change in Relation to the Impact of Oil-Related wealth in the Emirate of al-Baha South western Saudi Arabia. M.Phil. Thesis, Univ. of East England (England, 1981).



الفهــرس

« محتويات الكتاب »

« محتويات الكتاب »

مسلسل الموضوع رقم الصفحة

« كتب وبحوث للمؤلف »

أ ـ الكتب :

١ ـ افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية .
٢ ـ بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين .
٣ ـ صفحات من تاريخ عسير ... (الجزء الأول) .
٤ ـ بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية (الجزء الأول) تقديم ومراجعة الاستاذ الدكتور/ سعيد عبدالفتاح عاشور ، رئيس اتحاد المؤرخين العرب .
٥ ـ عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨ ـ ١٩٨٠م) .

ب ـ بعض البحوث :

١ ـ بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة .
٢ ـ بلاد تهامة والسراة كما رواها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل .
٣ ـ بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني .
٤ ـ تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى .

« كتب وبحوث للمؤلف »

٥ ـ دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة .
٦ ـ بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط .
٧ ـ أهمية النباتات في الغذاء والدواء ببلاد السراة من خلال كتب التراث الإسلامي المبكرة .
٨ ـ أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية .
٩ ـ من رسائل الملك عبدالعزيز آل سعود ورجال حكومته الى بعض الشيوخ والعشائر العسيرية .
١٠ ـ ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير في عهد الملك عبدالعزيز .
١١ ـ من رسائل الملك عبدالعزيز الى الشيخ عبدالوهاب محمد أبو ملحه .
١٢ ـ العادات والتقاليد في عسير من خلال الوثائق .
١٣ ـ صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية .
١٤ ـ وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩هـ ـ ١٣٣٧هـ) .
١٥ ـ أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٥٨هـ ـ ٧٧٤م/ ١٦٩هـ ـ ٧٨٥م) .
١٦ ـ الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية الى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة .
١٧ ـ أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة .

١٨ ـ صور من تطور نظام « الاستخبارات » خلال القرون الإسلامية المبكرة .
١٩ ـ الأوضاع السياسية والحضارية في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦هـ ـ ٧٥٣م/ ١٥٨هـ ـ ٧٧٤م) .
٢٠ ـ تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس .
٢١ ـ صور من تاريخ المثلة منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس .
٢٢ ـ أثر العرب المسلمين على الحياة السياسية والثقافية في مقديشو خلال العصور الوسطى .
٢٣ ـ تطور العلاقات السياسية . والتجارية بين الحبشة والنوبة وبين الحجاز في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين .
٢٤ ـ مواقف خلفاء بني العباس الأوائل الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٣٢هـ ـ ٢٣٢هـ) .
٢٥ ـ علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس الأوائل (١٣٢هـ ـ ٢٣٢هـ) .
٢٦ ـ العمائم تيجان العرب .
٢٧ ـ المستشرقون ونشاطهم تجاه دراسة التراث الإسلامي .
٢٨ ـ الدونمة بين اليهودية والإسلام .
٢٩ ـ المخطوطات بكلية التربية بجامعة الملك سعود بأبها .

« كتب وبحوث للمؤلف »

٣٠ ـ الإمارة في الحجاز خلال العصر العباسي الأول (١٣٢هـ ـ ٢٣٢هـ) .

٣١ ـ يهود الدونمة في الميزان .

٣٢ ـ المدينة المنورة .. ورقات من ذاكرة التاريخ (١٣٢هـ ـ ١٦٩هـ) .

٣٣ ـ آراء حول التاريخ وكيفية تدريسه في الجامعة .

٣٤ ـ كيف نبني ثقافتنا .

٣٥ ـ أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى .

٣٦ ـ تاريخ القدس الشريف خلال القرون الإسلامية المبكرة .

٣٧ ـ ملامح من الحياة الاجتماعية في العراق خلال عصر بني العباس .

٣٨ ـ مكانة شعر اللحية والرأس عند سكان المجتمعات العربية القديمة .

٣٩ ـ من مراكز صناعة السيوف الإسلامية في العصور الوسطى .

٤٠ ـ زي الطيلسان : دراسة تاريخية .

٤١ ـ ذكر البحر في كتب التراث الإسلامي .

٤٢ ـ الاحتفالات الرمضانية عبر العصور الإسلامية .

د. غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

تاريخ الميلاد : ١٣٧٩هـ في قرية آل مقبول بمنزل أجداده لأمه ، بلاد بني عمرو ، عسير . ثم قضى بداية حياته بمنزل والده ، في قرية آل رزيق بني شهر ، وحصل على الثانوية العامة من النماص في عام ١٣٩٦هـ .

التعليم الجامعي : البكالوريوس من كلية التربية بأبها/ فرع جامعة الملك سعود ١٤٠٠هـ-١٤٠١هـ ، الماجستير من كلية الآداب جامعة انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية ١٤٠٥هـ ، الدكتوراة من قسم الدراسات الشرقية ، بجامعة مانشستر ببريطانيا في أواخر عام ١٤٠٩هـ .

العمل الجامعي الحالي : رئيس قسم التاريخ بكلية التربية في أبها .

النتاج العلمي : خمسة كتب .

والمساهمات الأخرى : له أكثر من أربعين بحثاً منشورة في مجلات علمية



متخصصة (باللغتين العربية والانجليزية) وفي مجلات ثقافية وفكرية وأدبية .

- ألقى العديد من المحاضرات العامة في مجامع علمية مختلفة .
- له العديد من البحوث وبعض الكتب تحت التأليف .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو الجمعية التاريخية السعودية .
- عضو لجنة التاريخ والتراث بنادي أبها الأدبي .
- عضو مجلس الكلية .
- عضو مركز البحوث بالكلية .
- حكّم عدداً من المقالات المنشورة في بعض المجلات العلمية وكذلك بعض الكتب العلمية والثقافية .
- شارك في عدد من الندوات والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها .
- له مساهمات عديدة في بعض الجرائد المحلية .
- عضو الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع .




دار
للطباعة والنشر
جدة
تليفون ٦٧٠٠٣٣٣



ASSIR

A HISTORIOGRAPHIC STUDY OF SOCIAL AND ECONOMIC LIFE 1100 - 1400 H - 1688 - 1980

BY :
DR. GHITHAN ALI JRAIS
ASSOCIATE PROFESSOR
CHAIRMAN DEPT OF HISTORY
KING SAUD UNIVERSITY,
COLLEGE OF EDUCATION, ABHA

1415 - 1994